

اهداءات ٢٠٠١

الأستاذ الدكتور / محمد الفتاح منصور

قضايا إسلامية معاصرة

الدَّعْوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ

التجربة • الأخطاء • الحل

لأستاذ الدكتور

رؤوف شبلي

وكيل الأزهر

تصديدها

الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية

بالأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ
إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ٣٣ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ
أَدْفَعُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ
وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ ٣٤ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا
إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ ٣٥ « صدق الله العظيم »

(فصلت ٣٣ - ٣٥)

أولاً : التجربة :-

— الاقناع أو محاولة التدريب على التفكير المنظم .

— المنهجية .

— مرونة الأساليب .

— النتائج ج .

(الإقناع أو محاولة التدريب على التفكير المنظم)

على فترة من الرسل جاءت رسالة الإسلام الحنيف لتصحيح علاقة الإنسان بربه ، ولتعيد إلى البشرية توازنها الفكري والاجتماعي ، ولتسير الحياة سعيدة هانئة رغيدة ، ولتستمر هذه الحياة السعيدة الهانئة الرغيدة إلى يوم الدين. يقول الله تعالى :

﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا نَفَرَ قَالِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ ﴿٥﴾

(البينة ١ - ٥)

لقد كانت أهمية الإسلام عائدة إلى ذلك التحريف الهائل الذي شاع في الحياة بما صنعه أهل الكتاب من الأهواء ، وما نسجه المشركون من خزعبلات حسبوها ديناً فاستباح الكل أن يقتصر العقيدة حسب هواه ومزاجه كما أضاف على نعم الله أحكاماً من، الحل والحرمة حسب الشهوات والعادات والتقاليد ، فضلت البشرية بإرادتها طريقتين :-

أ - طريق العقيدة السليمة الصحيحة .

ب - طريق الحياة الاجتماعية النقية السعيدة .
وقد أخذت انحرافات البشرية شوطاً طويلاً جداً في هذه
الانحرافات على نحو ما هو مسجل في كتب الملل والنحل والأهواء
والبدع ...

وليس من شك أن صاحب الكون ربنا ورب كل شيء سوف
لا يبقى على هذا الضلال، فقد خلق الكون لحكمة وخلق الإنسان
لوظيفة ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ وتبعاً لهذا
فلا بد وأن يرحم الله هذه البشرية برسول أمين يهديها إلى سواء
السبيل وكان اصطفاء الله لهذا النبي الخاتم سيدنا محمد ﷺ
الذي بعثه الله رحمة للعالمين .

ومع أن سيدنا محمداً ﷺ بعث ومعه قوة السماء والأرض من
جند الله، إلا أنه ﷺ لم يلجأ إلى العنف ولا إلى القسوة ولا إلى
القهر ، ولا إلى التسلط في تبليغ دعوته لا من حيث النص
المعصوم وحى الله إلى جنابه الكريم ولا في ممارساته الزكية
النبيلة المشهودة بل اختار طريق الاقناع كأسلوب ثابت في جميع
مراحل الدعوة وهو ﷺ ليبلغ رسالة الله .

ولكى تتضح الصورة يجدر بنا أن ننوه إلى أن الوحي إلى
سيدنا محمد ﷺ نزل عليه بمكة المكرمة والكعبة يعلوها مئات من
الأصنام ، والجاهلية تضرب بأطنابها في جميع أنحاء الحياة
العربية .

فكيف ومتى أنهى سيدنا رسول الله ﷺ هذه الصورة
البغيضة للأصنام وهي في جوف البيت الحرام ؟
كم استغرق من الزمن
وكم استخدم من الأساليب
حتى يصل إلى هذه الغاية ... ؟؟

إن هذا السؤال الذى نطرحه لا يجد جواباً غير أن الزمن كان
طويلاً وأن الأسلوب الذى استخدمه سيدنا رسول الله ﷺ كان
متناسباً مع هذا الطول وهو الإقناع .

وقد امتاز أسلوب الإقناع الذى اختاره الإسلام كأسلوب
للحوار في تبليغ الدعوة بعدة امتيازات منها :
١ - رفع أثقال العادات والتقاليد .

٢ - توجيه الإقناع إلى العقول والقلوب والوجدان .
ولنضرب لذلك أمثلة :

أ - رفع أثقال العادات والتقاليد : -

كانت التعلّة عند العرب في عدم استطاعتهم قبول الدعوة إلى
الله أنهم وجدوا آباءهم كذلك يفعلون فتصدى القرآن الكريم لهذه
التعلّة من جذورها وبين لهم أنهم ليسوا وحدهم الذين يتعللون
بهذه التعلّة بل هي علة إبليسية من قديم الزمان .

فقد قالها من قبل قوم نوح :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾

(المؤمنون ٢٣ ، ٢٤)

فانغلاق الفكر والحجر على التفكير لعله أن الذي جاء لم يكن عليه الآباء الأولون تعلقة قديمة حاكها الإنسان بغيه حول عقله ومشاعره دون ما سبب ولا ذريعة صادقة مقبولة وقد قالها كذلك قوم هود :

﴿إِذْ قَالَ لَهُم أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّهُ الْوَسِيلُ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا ﴿١٢٦﴾ وَأَطِيعُوا أَمْرًا مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ وَلَا يَأْمُرْ بِفُحْشٍ مَّا بَيَّنَّا لَكُمُ الْحَرَامَ لَكُمْ أَنْ تُقْرَبُوا إِلَيْهِ إِنَّهُ بِغَيْبَاتِكُمْ خَبِيرٌ ﴿١٢٧﴾﴾

(الشعراء ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦)

فتحجروا بل إن التحجر العقلي لديهم ليصل بهم إلى قولهم :

﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

(الشعراء ١٣٦)

وتعللوا بنفس العلة :

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾

(الشعراء ١٣٧)

وإذا كان هذا هو خلق الأولين فهل تستمر القدوة بهم دون
مراجعة حتى

﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾

(المائدة ١٠٤)

وفاجأتهم الدعوة بفصل التكاليف وتحمل التبعات وأن ليس
للإنسان إلا ما سعى فتلا عليهم الوحي الكريم :

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾

(الإسراء ١٥)

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ

(الزلزلة ٧ ، ٨)

﴿وَأَنْ لِّسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ

(النجم ٣٩ ، ٤٠)

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَتْقَارَ رَبِّكُمْ وَأَخْشَوُا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ
وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾

(لقمان ٣٣)

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ

(المدثر ٣٨ ، ٣٩)

٢ - محاولة اقناع العقول والشعور

وإذن فلم تعد لتعلة الانقياد للعادات وتقاليد الآباء ذريعة فنقلهم إلى مرحلة الحوار والبراهين وحدد منهم نقاط الخلاف :

— في الألوهية .

— وفي النبوة والقرآن .

— وفي البعث .

الألوهية : —

أما قضية الألوهية فقد سألهم سؤالاً واضحاً صريحاً

— من خلق السموات والأرض ؟

— من يرزقكم من السماء والأرض ؟

— من يجيب المضطرب ؟

— من أنزل من السماء ماء فأنبث به هذه الحدائق ؟

— من يكشف السوء ؟

— من يرسل الرياح بشراً ؟

— من جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً ؟

أما هم فإنهم يجيبون ؟

﴿ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ
الْعَلِيمُ ﴾

(الزخرف ٩)

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ
فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾

(يونس ٣١)

﴿ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾

(الزخرف ٨٧)

إذن فهم لا ينكرون الألوهية ولكنهم مشوشون فكرياً ويقولون
ما نعبد الأصنام إلا زلفى. تعلقة عقلية فسررها علماء النفس حديثاً
بأنها تبرير لسلوك غير مرضى ويرد الله على شبهتهم هذه : أفمن
يخلق كمن لا يخلق ؟ أفلا تذكرون ؟

وبعد ما استخرج القرآن الكريم من نفوسهم الحق في قضية
الاعتقاد الصحيح نحو الله الحق استعرض معهم في مناقشة
واسعة كل دعاويهم .

مناقشة دعاوى المشركين

(١٠) لا اله إلا الله

- كانت معركة انتقال المجتمع المكي من الجاهلية إلى الإسلام - رغم ضخامة المجابهة وطول الزمن - ذات أثر إيجابى أثمرت فيه الدعوة ثماراً طيبة بقيت ركائز للحياة الإسلامية حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وفي مقدمة هذه الثمار :
- إثبات التنزيه والوحدانية لله جل جلاله .
- وإثبات النبوة والقرآن لسيدنا محمد ﷺ .
- وإن البعث حق الخ .

وإنه بالإضافة إلى ما عالجت في الباب الثالث عند الحديث على منهاج التفكير، ورأينا كيف أثبت القرآن الوحدانية لله جل جلاله : وحدانية الذات والسلطان والتدبير ، فإن القرآن الكريم قد عمق مناقشة هذه القضية مع مشركى العرب فلم ينته العهد المكي إلا وقد استقرت فكرة التوحيد في جلاء جلى ووضوح واضح ، ولم يبق لمعاند فيها أدنى شبهة، وسأعتصم بإذن الله بقدر الإمكان بالجو القرآنى المكي فى عرض مناقشات القرآن الكريم للشبهات التى أثارها القوم .

لقد قالوا :

﴿ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ١٥٢ ﴾

(الصافات ١٥٢)

﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ۝١٥٣ ﴾

(الصافات ١٥٣)

﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ۝٥ ﴾

(ص ٥)

وادعوا أنهم ما يعبدونها إلا زلفى :

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾

(الزمر ٣)

والقرآن الكريم يفند هذه الدعوى فى أنواع من المناقشة :

النوع الأول : يتجه نحو ما يشركون به :-

— ماذا خلقوا من السموات والأرض ؟

— ماذا يملكون للبشر من ضر أو نفع أو رزق ؟

— ماذا يملكون للبشر من شيء إن جاء عذاب الله ؟

وآيات القرآن الكريم حول هذه الأسئلة كثيرة انتخب منها
باقية ميسرة كنموذج يصور هذا النوع الذى جابه به القرآن
الكريم ادعاءات المشركين .

أولاً : ماذا خلقوا من السموات والأرض ؟

يقول الله تعالى :

﴿ أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ ١٩١ ﴾

(الأعراف ١٩١)

﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ ١٧ ﴾

(النحل ١٧)

﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ۞ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً
وَلَا نُشُورًا ۝ ٣ ﴾

(الفرقان ٣)

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ
فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ ١١ ﴾

(لقمان ١١)

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ
شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ ٤ ﴾

(الأحقاف ٤)

ثانياً : ماذا يملكون للبشر من نفع أو ضرر أو رزق ؟

يقول الله تعالى :

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ ^{١٩٢} وَإِنْ تَدْعُهُمْ
إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ^{١٩٣}
إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ فَأَدْعُوهُمْ
فَلَيْسَتْ جِبُورًا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ^{١٩٤} ﴿

(الأعراف ١٩٢ / ١٩٤)

﴿أَلَمْ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ
يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ
فَلَا تُنْظَرُونَ﴾ ^{١٩٥} ﴿

(الأعراف ١٩٥)

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ
يَنْصُرُونَ﴾ ^{١٩٧} وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يُنْظَرُونَ
إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ^{١٩٨} ﴿

(الأعراف ١٩٧ / ١٩٨)

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ
وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلِ اتَّبِعُوا اللَّهَ يَمَّا
لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا

يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾

(يونس ١٨)

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ كُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

(الروم ٤٠)

ثالثاً : وماذا يملكون للبشر إن جاءهم عذاب الله ؟
يقول الله تعالى :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

(الأنعام ٤٠)

﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

(الأنعام ٤١)

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

(الأنعام ٤٦)

ولا تنتهى هذه الموجة حتى تحدد إجابات القوم عن الخلق والرزق . يعنى بدء الإنسان وعناصره ووجوده وفيها يقر المشركون بالالوهية والوحدانية لله تعالى :

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٣١)

(يونس ٣١)

وإذن فالحقيقة التى يجب أن يقر بها القوم :
﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ (٣٢)

(يونس ٣٢)

فإذا سئلوا بعد ذلك عن شركائهم أقحموا وأجاب عنهم القرآن الكريم فما حيلة العاجز أمام الحق الأبلج :

﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (٣٤)

(يونس ٣٤)

﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ

﴿ تَحْكُمُونَ ﴾ ٣٥

(يونس ٣٥)

ثم يكشف القرآن الكريم عن واحدة من مسببات الكفر
وهي فساد منهج التفكير .

﴿ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ ٣٦

(يونس ٣٦)

ثم يتحداهم :

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ دُونِي فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ
وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ ٥٦

(الإسراء ٥٦)

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْآزِمَةِ
وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ ٥

(الأحقاف ٥)

﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنِ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ
نَذِيرِ ﴾ ١٧

(الملك ١٧)

النوع الثانى :-

— فى تسميتهم الملائكة بنات الله . وقالوا اتخذ الله ولدا ، وقد ناقشهم القرآن الكريم فى هذه المسألة من عدة جوانب :
الجانب الاول :

— جانب تقاليدهم وعاداتهم فهل هم يستبشرون خيراً إذا بشر أحدهم بالأنثى ؟

لقد وضع القرآن الكريم بل فضح أساريهم الحزينة إذا بشر أحدهم بالأنثى . يقول الله تعالى :

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ۝٥٧ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٥٩ ﴾

(النحل ٥٧ / ٥٩)

﴿ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثَاءً إِنَّكُمْ لَقَوْمٌ قَوْلًا عَظِيمًا ۝٤٠ ﴾

(الإسراء ٤٠)

﴿ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَكَ بِنَاتٍ بِالْبَنِينَ ۝١٦ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝١٧ ﴾
(الزخرف ١٦ / ١٧)

﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَادُوا خَلْقَهُمْ
سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ ١٤٩

(الزخرف ١٩)

وهنا يسألهم القرآن الكريم :

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ ١٤٩ أَمْ خَلَقْنَا
الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴾ ١٥٠ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ
لَيَقُولُونَ ﴾ ١٥١ وَلَدَ اللَّهِ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ ١٥٢ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى
الْبَنِينَ ﴾ ١٥٣ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ ١٥٤ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ١٥٥ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ
﴿ ١٥٦ فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ١٥٧ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ
عَلِمَتِ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ ١٥٨ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ ١٥٩

(الصافات ١٤٩ / ١٥٩)

هكذا يحاصر القرآن الكريم أسطورتهم في كل مآربها ،
ويحاجهم بمنطقهم ومنطق البيئة التي يمسون بترائها وثقافتها
الجاهلية .

إنهم يعدون ولادة الأنثى محنة عويرونها مخلوقاً له درجة دون
درجة الذكر ثم هم يدعون أن الملائكة إناث ، وأنهن بنات الله ،
فمن أين جاءت هذه الأسطورة وهم مع الرتبة الدون لأنهم خلق
محتاج إلى بارئه الأجل الأعظم لا يقبلون الأنثى لهم ذرية

وامتدادا لحياتهم فهل اختار الله البنات وترك لهم البنين ؟
استفتهم عن هذا الزعم السقيم المتهافت ؟ !

ويسترسل القرآن في تفنيد أسطورتهم حتى الخاتمة .

﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ۝ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَتَنَيْنِ ۝ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ۝ ١٦٣
وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ۝ ١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ
الْمُسَبِّحُونَ ۝ ١٦٦ ﴾

(الصافات ١٦١ / ١٦٦)

فينفى قدرتهم على أن يضلوا من عباد الله إلا من هو محسوب
من أهل الجحيم وإنهم عاجزون عن فتنة قلب مؤمن محسوب من
الطائعين .

ولكل مقامه لا يتعداه :

فالملائكة عباد من خلق الله لهم وظائف في طاعة الرحمن
يصلون الصلاة ويسبحون بحمد ربهم ويقف كل منهم على درجة
لا يتجاوزها. والله هو الله الملك القدوس ذو الجلال والإكرام^(١)
— ومثال آخر في حياتهم المعيشية وهو مثل واضح حاسم لا مجال
للجدل فيه :

(١) في ظلال القرآن جـ ٢٣ ص ٧١ / ٧٢ .

﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَارَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

(الروم ٢٨)

وهو مثل شامل لكل ما كانوا يتخذونه شريكاً من دون الله جناً أو ملائكة أو أصناماً أو أشجاراً .

إنهم - في العادة الغالبة - لا يرتضون أن يشركهم مواليتهم في شيء مما تحت أيديهم من مال، ولا يسوون عبيدهم بأنفسهم في شيء أفليس من العجيب أن يجعلوا لله شركاء من عبيده وهو الخالق الرازق وحده ؟

إنهم يأنفون أن يجعلوا لأنفسهم من عبيدهم شركاء في أموالهم التي هي منحة الله ورزقه الذي ساقه إليهم ، أفليس من المضحك أن يأنفوا ذلك لأنفسهم . ثم يشركون مع الله واحداً من خلقه ، وتعبيرات القرآن الكريم دقيقة ، إنها تخطوبهم رويداً رويداً في ضرب هذا المثل (ضرب لكم مثلاً من أنفسكم) ، فهو مثل قريب لا يحتاج إلى رحلة أو جهد في تدبير

﴿ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَارَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾

(الروم ٢٨)

فهم لا يرضون أن يشاركهم العبيد في شيء من الرزق فضلاً
عن المساواة في ملكيته .

إنهم لا يرضون ذلك لأنفسهم ، وإذن فكيف ترضونه في حق
الله وله المثل الأعلى (٢) ؟

سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً

﴿ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ٤٣ ﴾ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ
وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ
تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ٤٤ ﴾

(الإسراء ٤٣ / ٤٤)

الجانب الثاني — السلطان الإلهي :

﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَهُمْ أَوْلِيَاءَ لَوَلَّوْا أَفَّا تَعْلَمُونَ ١٧ ﴾

(الأنبياء ١٧)

﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ١٨ ﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ١٩ ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا
ءَالِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ٢٠ ﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٣١ في ظلال القرآن جـ ٢١ ص ٤٠ .

فَسَبِّحْ لِلَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ
 ﴿٢٣﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ
 وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

(الانبياء ١٩ / ٢٤)

« لو » مجرد فرض جدلى تفيد امتناع وقوع اللهول لأن الله جل ثناؤه لم يرده أزلا ولن يكون أبدا هناك لهول لأن الفعل منقضى منذ الأزل، وهذا تقرير لحقيقة أساسية هي أن اختراع البشر شركاء من دون الله ونسبتهم ذلك إلى الله تجرؤ لا يملكه العباد لأن الله خلق الكون كله حسب علمه وإرادته ولم تتوجه إرادة الله إلى مثل هذا اللهو فلو كانت إرادة الله توجهت للهو ما احتاج الأمر إلى اقتراح لهو من العباد ينسبونه إلى ذاته المقدسة وذلك استنكار لما وقع منهم وتهكم بالهتيم أن لها قدرة على شيء من نشر إذا من أوليات صفات الإله أن ينشر الأموات من الأرض . فإن الخالقية صفة لله وحده ومن مظاهر الخالقية أن يبعث ما فى القبور ، إذن فما يقولوه :

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾

(الزمر ٣)

انحراف عن الطريق السوى وتبيح لا يملكون له سندا .

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَأَلَّفَهُ هُوَ الْوَلِيَّ وَهُوَ يَحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(الشورى ٩)

لقد استقرت شهادة التوحيد : استقرت في الدليل واستقرت في الاعتراف واستقرت في صدور الذين آمنوا بها .

﴿ قُلْ أَى شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَبَيْنَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾

(الأنعام ١٩)

﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾

(الأنعام ١٠٢ / ١٠٣)

﴿ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَآذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾

(يونس ٣٢)

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ (الإخلاص)

تصحيح التدين :

ومن هذه الثمرة الأساسية لتوحيد الله جل شأنه تبدو ظاهرة التدين الصحيح كثمرة ملحقة بالثمرة الأولى ، فإن القوم لم يكفروا بالله ، فهم يعتقدون أنه الخالق والرازق والنافع والضار ولكنهم اتخذوا طريقاً منحرفاً في العبادة. أسرفوا في العقيدة حتى وسع إيمانهم مخترعات آبائهم وأجدادهم. فكانت الدعوة في هذا العهد المكي تحاول أن تردهم إلى طريق الله السواء (٣) .

﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾

(الزمر ٣)

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۚ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۚ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۚ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ۚ ﴾

(الزمر ١١ / ١٤)

« لله الدين الخالص » « الدين الخالص هو القاعدة التي تقوم عليها الحياة كلها بل يقوم عليها الوجود كله ومن ثم ينبغي أن ترسخ وتتضح وتعلن في هذا الأسلوب الحاسم الجازم : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾

(٣) ربيع الإسلام والعقل ص ٩٧ / ٩٨ .

والقلب الذى يوحد الله هو الذى يدين الله وحده لا يحنى هامته لأحد سواه .. ولا يطلب شيئاً من غيره ولا يعتمد على أحد من خلقه فالله وحده هو الولي الحميد وهو وحده القوى المتين وهو وحده القاهر فوق عباده ، والعباد كلهم مهازيل ضعاف لا يملكون نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، وإذن فلا حاجة البتة إلى أن يحنى الإنسان هامته لواحد من المخلوقات المحتاجة بالطبع إلى الله الصمد. فهو وحده المانع والمانع، وهو وحده الغنى والناس جميعاً هم الفقراء إلى الله .

والقلب الذى يوحد الله يؤمن بوحدة الناموس الإلهى الذى يصرف الوجود كله ويؤمن إذن بأن النظام الذى اختاره الله للبشر هو طرف من ذلك الناموس الواحد الذى لا تصلح حياة البشر إلا باتباعه. ومن ثم لا يختار غير ما اختاره الله ولا يتبع إلا شريعة الله المنسقة مع نظام الوجود كله ونظام الحياة كلها .

والقلب الذى يوحد الله يدرك القرابة بينه وبين كل ما أبدعت يد الله فى هذا الكون من أشياء ويحيا فى الكون بقلب يحس بيد الله فى كل ما حوله فيعيش فى أنس الله ورعايته ويشعر بالتحرج أن يشرك بالله شيئاً يعلمه أو لا يعلمه .

وتبدو كذلك آثار التوحيد فى التصورات كما تبدو فى السلوك فلا تبدو عقيدة التوحيد كلمة تقال باللسان بل تصير حالاً للمرء فى تفكيره وسلوكه وقلبه وعقله وجميع أنماط تصرفاته (٤) .

(٤) راجع الإسلام والإيمان ص ٢١٩ / ٢٢١ - فى ظلال القرآن جـ ٢٤ ص ١٠ ، راجع الإسلام والعقل ص ١٠٠ - راجع المصطلحات الأربعة فى القرآن ص ١١٥ .

وقد أعلنها القرآن كذلك فيما يتعلق بالنبي ﷺ :
« قل إنى أمرت أن أعبد الله » ، وقيمة هذا الإعلام كبيرة جداً
لأنها تحوى أساساً مفهوم التدين وهو الخضوع الكامل
والاستسلام التام لجانب الله الأعظم .

إن قيمة هذا الإعلام في تجديد العقيدة خالصة من كل شائبة ،
فالنبي ﷺ وهو المصطفى من عند الله هو في هذا المقام عبد الله ،
وفي مقام العبادة يقف العبيد كلهم حسب مراتبهم الأمتل فالأمتل
وترتفع ذات الله سبحانه وتعالى منفردة فوق الجميع ، وعندئذ
تتميز العبودية عن الألوهية فلا يختلطان ولا يشتبهان وتتجرد
صفة الله الأحد الصمد بلا شريك ولا شبيه ولا ند ، وحين يقف
سيدنا محمد ﷺ في مقام العبودية لله وحده . وهو من هو في
تاريخه الطويل الحافل بالقمم الشريفة من الأخلاق، تتلاشى
مخترعات الذين أشركوا، وتنمحي دعوى شفاعة الأصنام
والملائكة ويبقى مفهوم التدين خالصاً : « قل الله أعبد مخلصاً له
ديني » . ليس فيه خلط ولا تشابه .

فقد وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من

المشركين

﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ
لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝ ﴾

(الأنعام ١٦٢ / ١٦٣)

إنه التجرد الكامل لله بكل خالجة في القلب، ونبضة في العرق
وطرفة من العين وبكل حركة في الحياة .

إنها تسبيحة التوحيد المطلق، والعبودية الكاملة تجمع الصلاة
والاعتكاف والمحيا والممات وتخلصها لله وحده رب العالمين. فهو
المهيمن المتصرف المربي الحاكم ، إنها تسبيحة في إسلام كامل
لا يستبقى في النفس ولا في الحياة بقية إلا ويعبدها الله وحده
ولا يحتجز دونه شيئاً في الواقع وفي الضمير « وبذلك أمرت » ،
فسمع ﷺ وأطاع حق السمع والطاعة حتى تخطت قدماه وعبد
بذلك الطريق المستقيم فبانت علامات التدين الصحيح (٥) وهي
مع تلك الهداية نيرة في قوله تعالى :

﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا
مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾

(الأعراف ٣)

﴿ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^{١٠٥}
وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ
الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ
وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾

(يونس ١٠٥ - ١٠٧)

(٥) راجع في ظلال القرآن ج ٨ ص ١٠٠ .

﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ
الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾

(لقمان ٢٢)

﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾

(الزمر ٥٥)

٣ - مفهوم الدين وعناصره :

﴿ قُلْ يَتَّيِّبُهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ﴿ وَلَا أَنْتُمْ
عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴾ ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ
مَا أَعْبُدُ ﴾ ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

(سورة الكافرون)

إن التوحيد منهج، والشرك منهج آخر مقابل. ولا لقاء بين
المنهجين البتة، والتوحيد منهج يتجه بالإنسان مع الوجود كله إلى
الله وحده لا شريك له. ويحدد الجهة والمصدر الذى يتلقى منه
الإنسان عقيدته وشريعته وأخلاقه وموازين آدابه وقيمه ، ...
وتصوراته كلها عن الحياة وعن الوجود .

هذه الجهة التى يتلقى المؤمن عنها هى الله وحده لا شريك له ،

ومن ثم تقوم الحياة كلها على هذا الأساس غير ملتبسة بالشركة في
أية صورة من صوره الظاهرة والخفية .

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ
مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾

(الأنعام ١١٤)

فالآية تستنكر أن يبتغى غير الله حكماً في شأن من الشئون على
الإطلاق ، وتقرر أن الحاكمية لله وحده، وتنفي أن يكون هناك أحد
غير الله يجوز أن يتجه إليه البشر طلباً لحكم منه في أمر من أمور
الحياة ، والقرآن كثيراً ما يؤكد هذا المبدأ ويكرره في كل مناسبة .

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
ذَٰلِكَ الَّذِي يُقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(يوسف ٤٠)

﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ
وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

(القصص ٧٠)

﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا
وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

(القصص ٨٨)

وإذن فالدين هو منهج الله للبشر، وهو وحى الله إلى أنبيائه
ليسلك العباد طريقهم إلى الله (٦) .

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

وإذا كان الدين هو وحى الله فإن القرآن الكريم قد حرص على
أن يبرز عناصر هذا الدين الذى حمله موكب الأنبياء على
التعاقب .

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ
وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴾

(الأنعام ٩٢)

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ۖ لِتُنْذِرَ بِهِ ۖ وَذِكْرَىٰ
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الأعراف ٢)

(٦) راجع المصطلحات الأربعة في القرآن للموددى ص ١٩٥ راجع هذا الدين ص ٤
المستقبل لهذا الدين ص ٥ / ٦ ، ١٨ / ١٩ .

﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾

(النحل ٢)

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

(النحل ٦٤)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾

(الكهف ١)

﴿ وَآتَى مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجْعَلَ مِنْ دُونِهِ مَلْتَحَدًا ﴾

(الكهف ٢٧)

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

(الزمر ٦٥)

﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(غافر ٦٦)

في هذه الآيات البيّنات يحدد القرآن مجموعة العناصر التي يكتمل بها الدين الذي يرتضيه الله لعباده :

العنصر الأول : الموحى أو المصدر وهو الله سبحانه وتعالى .
العنصر الثانى : الموحى به وهو الشريعة المرسلّة من قبل الله جل شأنه .

العنصر الثالث : الموحى إليه وهو الرسول النبي الذي اصطفاه الله ليبلغ رسالته إلى الناس .

العنصر الرابع : الوحي أو حامل الموحى به وهو الملك - الملك الذي وكله الله تعالى بالسفارة إلى رسوله المصطفى .

﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾

(النحل ٢)

— ينزل : فاعله هو الله جل شأنه .

— الملائكة : الموحى معه .

— بالروح : الموحى به .

— على من يشاء من عباده : الرسول المصطفى .

— أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون .

ذلك هو الهدف والغاية التي من أجلها خلق الله الجن والإنس على السواء ...

٤ - وحدة الدين :

وعلى هذا فإن ثمرة الدعوة الإسلامية في مكة تعلن منذ
الفجر الصادق أن كل دين لا تجتمع فيه هذه العناصر فهو
دين باطل .

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾

(الأنعام ١١٤)

﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ ٦٤

(الزمر ٦٤)

وعلى هذا فكل ما حملته الأنبياء عن ربهم هو دين واحد
يتجه إلى غاية واحدة

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدُونِ ﴾ ٢٥

(الأنبياء ٢٥)

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ ٦٢

(الأنبياء ٦٢)

﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ ٥٢

(المؤمنون ٥٢)

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ
كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ
وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾

(الشورى ١٣)

فالآية تقرير لوحدة الوحي . وحدة مصدره ، فالوحي هو
الله العزيز الحكيم والوحي إليهم هم الرسل على مدار
الزمان .

والوحي واحد في جوهره على اختلاف الرسل واختلاف
الزمن. وهذه الحقيقة تبدو قوية في العهد المكي لتشد أواصر
الصلة بين اتباع الوحي في كل زمان ومكان. فهذه أسرتهم
تضرب في بطون التاريخ وتمتد جذورها في شعاب الزمن
وتتصل كلها بالله في البدء والنهاية فيلتقوا جميعاً ، وفي مسلم
« الأنبياء أخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد » (٧) .

وإذا كان الذي شرعه الله من الدين للمسلمين الذين آمنوا
بمحمد ﷺ وهو ما وصى به نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى فإن
الغاية العظمى هي :

(٧) مسلم ج ٤ ص ١٨٣٧ / راجع في ظلال القرآن ج ٢٥ ص ٧ / ١١ وج ٨
ص ١١٣ .

﴿ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُون ﴾ فليقفوا جميعاً تحت هذه الراية صفّاً واحداً. هذه الراية التي رفعها موكب الأنبياء على التوالي .

نوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم حتى انتهت إلى سيدنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام .

وقد أعلن هذه الوحدة من قبل سيدنا يوسف عليه السلام .

﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

(يوسف ٣٨)

كما أعلنها بعده رجل من آل فرعون يكتُم إيمانه :

﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾

(غافر ٣٨)

إنه دين واحد تقرره الدعوة الإسلامية منذ فجرها الصادق في مكة المكرمة ، وتعلن أنها هي الخاتمة لهذا الدين وأنها التاج الأسمى والشرف الأكمل للبشرية أجمعين . .

﴿ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(الروم ٣٠)

هـ - عالمية الدين :

والدين الذى يدعو إليه سيدنا محمد بن عبد الله منذ أن نزل عليه (اقرأ) هو دين الله للناس كافة وللجن كافة .
يقول الله تعالى :

﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنعام ٩٠)

﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾

(الأعراف ١٥٨)

﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُفْرًا وَلَكِنْ أَرْسَلْنَا مِنْ رَّبِّكُمْ مُنْذِرًا فَأَتَيْنَا فِرْقَانًا فَنَزَّلْنَا طُوفَانًا مِنْ سَحَابٍ لِّثَابِتٍ وَالنَّاسُ بَصُلٌّ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ فَاحْتَدَوْا بِهِمْ هُنَّ حَتَايَا عَذَابِ الْغَايَةِ ﴾

(يونس ١٠٨)

﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾

(يوسف ١٠٤)

﴿الرَّكَّتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾

(إبراهيم ١)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

(الأنبياء ١٠٧)

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾

(الفرقان ١)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾

(سبأ ٢٨)

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

(ص ٨٧)

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

(القلم ٥٢)

﴿فَإِنَّ تَذٰهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾

(التكوين ٢٦ ، ٢٧)

وقد شهدت الجن بأنها على هذا الدين استجابة لداعى الله .

يقول الله تعالى :

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ

﴿ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَنْقُومَنَا
 إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي
 إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ
 يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾

(الأحقاف ٢٩ — ٣١)

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾
 يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا
 اتَّخَذَ صَحِيبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ ﴾

(الجن ١ — ٣)

٦ - تصحيح فكرة ان لله ولدا :

وفي هذا العمر المتقدم للدعوة في كنف البيت العتيق بمكة ظهرت
 فكرة نفى الولد عن الله سواء كان القائل بهذه الفكرة أهل
 الكتاب أو بعض العرب الذين قالوا إن الملائكة بنات الله .
 والقرآن الكريم في هذه المرحلة المكية يصور الدعوى ثم يرد
 عليها :

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ

مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾

(يونس ٦٨)

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۖ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۖ﴾ ﴿٨٨﴾ تَكَادُ
السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۖ ﴿٨٩﴾ أَنْ
دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۖ ﴿٩٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۖ ﴿٩١﴾ إِنْ كُلُّ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۖ ﴿٩٢﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۖ ﴿٩٣﴾

(مريم ٨٨ - ٩٤)

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۖ سُبْحَنَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۖ﴾ ﴿٩٤﴾

(الأنبياء ٢٦)

﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۖ﴾ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۖ ﴿١٥٢﴾

(الصافات ١٥١ - ١٥٢)

ومع أن هذه الآيات تصور الدعوى وترد عليها إلا أن القرآن
الكريم كذلك خصص آيات لنفي هذه الأسطورة التي صنعها
المشركون، وهذه الآيات ترد هذه الدعوى من جانبين :
— جانب السلطان الإلهي .

— إقرار الجن الذين جعل لهم المشركون بالرحمن نسبا .
(أ) أما فيما يتعلق بالجانب الأول فيقول الله تعالى :

﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١٠١ ﴾

(الأنعام ١٠١)

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكِبَرُهُ تَكْبِيرًا ۝١١١ ﴾

(الإسراء ١١١)

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ۝٩١ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٩٢ ﴾

(المؤمنون ٩١ — ٩٢)

﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا ۝٢ ﴾

(الفرقان ٢)

﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝٤ ﴾

(الزمر ٤)

إن الذى يبدع هذا الوجود من العدم ما تكون حاجته إلى

ولد ؟ والولد إنما هو امتداد للفانين وهو عون للضعفاء وقاعدة التكاثر أن يكون للكائن صاحبة من جنسه فكيف يكون لله ولد وليست له صاحبة. فقد تفرد جل جلاله بالالوهية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٨)

(الشورى ١١)

على أن الفرض الجدلى الذى يقبله العقل العادى. أن الله لو أراد أن يتخذ ولدا لاصطفاه هو جل شأنه من بين خلقه فأرادته مطلقة والأمر لا يحتاج إلى قرار من البشر أو اقتراح منهم ولكن مشيئة الله لم تتجه نحو هذا الاصطفاء لأنه الواحد القهار ﴿خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَورُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَورُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ (الزمر ٥)

فهو صاحب السلطان المطلق فما حاجته إلى خلف ؟

(ب) وأما فيما يتعلق بالجانب الثانى :

فالجن تنفى ما ادعاه البشر وتبرا من أساطير الناس ،

يقول الله تعالى :

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ (١٥٨)

﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (١٥٩)

(الصافات ١٥٨ - ١٥٩)

(٨) فى ظلال القرآن ج ٧ ص ٣٢٥ .

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝
يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِك بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا
مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝﴾

(الجن ١ - ٣)

لقد أقرت الجن بالوحدانية لله وكذبت الأسطورة التي تزعم أن الملائكة بنات الله جاءت من صهر من الجن .
لقد نزهت الجن وسبحت بحمد الله فردت ترهات البشر المنحرف، وقد كان للجن أن تفخر بهذا الصهر الخرافي الأسطوري لكنها استنكرت هذا التحريف البشري فأعلنتها قذيفة ضخمة تحطم ذلك الذي حاكه المشركون .

٧ - عيسى ابن مريم :

وفي خضم نفى أسطورة الولد يصحح القرآن التصور عند أهل الكتاب فيما يتعلق بعيسى (٩) ، يقول الله تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَنَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ ٣٥

(٩) راجع مناقشة للرسول ﷺ في شأن عيسى عليه السلام في سيرة ابن هشام ج - ١ ص ٣٥٩ / ٣٧٠ .

وَلِإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾

(مريم ٣٤ - ٣٦)

لقد نطق عيسى ابن مريم بنفسه وبحالته : « ما كان لله أن يتخذ من ولد » . « وأن الله ربى وربكم فاعبدوه » ، « فلم يبق من بعده مجال للأساطير والأوهام وبتلك التنقية تبدو عالمية الدعوة الإسلامية في مكة بالموضوع : إنها ليست عقيدة لجنس خاص ، ولا دعوة لطائفة من الناس ، ولكنها إنهاء لسلطة الأساطير البشرية ، وإحلال للإيمان الإسلامى في الصدور والسلوك فهي نقلة من عالم الحيوان الذى يعيش فيه البشر إلى عالم الإنسانية الذى يقدس فيه الناس ربهم وقد حمل هذه العقيدة جعفر بن أبى طالب والذين هاجروا معه إلى الحبشة فصادت موقعا ملائما حيث كانت العقيدة عند النجاشى كذلك ، فكان ذلك اللقاء دليلا واضحا على عالمية الدعوة بالموضوع وهو الهدف الرئيسى لها « لا إله إلا الله » كمنهج للعقل والقلب والسلوك والوجدان .

وبذلك فقد قررت النصوص القرآنية منذ ذلك الفجر أنه لا أديان متعددة ولا مقارنة بين أديان ، وأن الدين واحد هو نظام الله الموحى به إلى عباده عن طريق سفرائه المرسلين المصطفين الأخيار ، وأن الدعوة الإسلامية شاملة للجنس البشرى كله فى كل صقع وحين ، وقد حافظت نصوص القرآن

الكريم على ذلك الهدف في العهد المدني إذا كانت تنادى الناس جميعاً وتهتف بهم .

﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾

(النساء ١)

﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾

(الحج ١)

﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(الحجرات ١٣)

ودلالة هذا أن الهدف الأساسي للدعوة هو أن يشهد الناس جميعاً « أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » فلا يبقى لسان بشر على وجه الأرض ، إلا وقد رطب بها وصعد صوته يدوى بجلالها ، ولا يشغل المسلمون أنفسهم بعوارض الحياة الدنيا ويقبعون في زاوية من الأرض ويتركون الأساطير تحيا والإشراك يفشو وبناء الأصنام يعيشون في سلام .

أن : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » هي وظيفة الدعوة اليوم لا سيما في جنوب شرق آسيا ، ماليزيا ، سنغافورا ،

تاييلاند ، الهند الصينية ، حيث توجد الأصنام في الشوارع وعلى قارعة الطريق وفي قلاعها وفي بيوتها وفي منازل الناس الذين مازالوا يجهلون الطريق السواء إلى الله الواحد الصمد العزيز الجبار المتكبر سبحانه الله وتعالى عما يشركون .

(النبوة والقرآن الكريم)

لم يكن كفار قريش ولا الجوار البعيد والقريب من مكة المكرمة ينكر ابتعاث نبي بشرت به الكتب السماوية السالفة . لقد كانت الجزيرة العربية تنتظر نبياً سيبعث، وكانت النصارى في نجران وبصرى واليهود في يثرب وهرقل في أوروبا القديمة ينتظرون مبعث النبي الذي بشرت به التوراة والإنجيل .

ولم يشك العرب قط في أن محمداً ﷺ حقاً الصادق الأمين وأنه حقاً رسول الله ... ولكنهم عارضوه لعل وضحتها في كتاب « الدعوة الإسلامية في عهدنا المكي » ولكن الذي أحب أن أشرحه هنا هو كيف كثف القرآن جهده ليزيل غشاوة المعاندين فيما يتعلق بشبهاتهم نحو النبوة والقرآن الكريم، وسوف نعرض لها في هذا الإطار :

— ما أنزل الله على بشر من شيء .

— أنزل عليه الذكر من بيننا .

— إن هذا إلا قول البشر .

اما فيما يتعلق بالنقطة الاولى :

﴿ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ (الأنعام ٩١)

فإن القرآن الكريم يردّها من زاويتين :

١ - زاوية اعترافهم بأهل الكتاب .

٢ - وزاوية الأساس الدافع لهذه الشوشرة .

يقول الله تعالى :

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا طَبِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَن تُمْلَوا أَبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

(الأنعام ٩١ / ٩٢)

١ - لقد كان المشركون في معرض العناد واللجاج يزعمون أن الله لم يرسل رسولا من البشر ولم ينزل كتابا يوحي به إلى البشر بينما كان إلى جوار هؤلاء المشركين أهل الكتاب من اليهود الذين يتعاملون معهم في التجارة ويلتقون معهم في

الأسواق ولم يكونوا ينكرون عليهم أنهم أهل كتاب . فلم إذن يقولون : ما أنزل الله على بشر من شيء ؟ ذلك منطق العناد واللجاج .

وتمضى آيات أخرى من السور المكية تقرر أن الأنبياء بشر أوحى إليهم من عند الله ؟

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ اِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

(النحل ٤٣)

﴿ قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَّمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ ﴾

(الإسراء ٩٥)

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ اِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَّشَاءُ وَاهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾

(الأنبياء ٧ / ٩)

٢ - أما زاوية الأساس الذى دفعهم ليختلقوا هذا الزعم فهى السنة المشئومة التى وجدوا عليها آباءهم . فقد كانت

تلك التعلقة هي الداء الدفين الذي جعل الناس من قبل يردون دين الله .

يقول الله تعالى :

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كَابِدُوا لِرَأْيٍ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ ﴿٢٧﴾

(هود ٢٧)

وبهذه اللغة كفر قوم نوح وقالوا له :

﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿٢٤﴾

(المؤمنون ٢٤)

﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ ﴿٣٣﴾

(المؤمنون ٣٣)

﴿ قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كُنَّا يَعْبُدُ

ءَابَاؤُنَا فَآتُونَا إِسْلَاطِنِ مُبِينٍ ﴿١٠﴾

(إبراهيم ١٠)

ويرد القرآن هذه المقالة على لسان الرسل :

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى
مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كُنَّا لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١١﴾

(إبراهيم ١١)

ويقدر القرآن أن هذه التعللة واحدة من أسباب الكفر :

﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا
رَّسُولًا ﴾ ﴿١٢﴾

(الإسراء ٩٤)

﴿ قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا
عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ ﴿١٣﴾

(الإسراء ٩٥)

والذين في الأرض بشر وليسوا ملائكة، ولقد كفر أصحاب
القرية في سورة يس لهذا المنطق :

﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

(يس ١٤ / ١٥)

فارتدت الشوشرة واستقرت النبوة اصطفاء من الله لمن شاء من عباده
المكرمين .

والنقطة الثانية : -

﴿ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ يَمِينِنَا ﴾

(ص ٨)

ذلك دافع الحسد « فالله أعلم حيث يجعل رسالته » ،
﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو
يرسل رسولا ﴾ ، وتلك إرادة الله لا مدخل لواحد من الخلق
فيها البتة ، ويجب القرآن في بساطة وسهولة :

﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُورُوا عَذَابٍ ﴿٨﴾ أَمْرٍ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ
رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا
فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ ﴾

(ص ٨ / ١١)

إنه الحسد وضيق الصدر دون داع ، وبغض الخير دون مبرر ، وقد ظهر ذلك في اقتراحهم .

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾

(الزخرف ٣١)

فرد عليهم القرآن الكريم مستنكرا هذا الاقتراح . فهو خروج على الأدب مع جانب الله عز وجل . يقول الله تعالى :

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

(الزخرف ٣٢)

إنهم لا يملكون لأنفسهم شيئا ، فمعيشتهم منحة من الله ومراتبهم الاجتماعية تكريم لهم من عند الله لغاية تدبر بها شئون الحياة ، فدونك الحياة لا يدور إلا بهذا التفاوت في الرزق وفي المراتب الاجتماعية .

ومحمد ﷺ من ذؤابة قريش ثم ذؤابة بنى هاشم وهم في العلية الرفيعة من العرب ، وكانت ذاته الشريفة عليه الصلاة والسلام فيما قبل البعثة على الأمثل الرفيع جدا من مكارم الأخلاق .

نعم لم يكن زعيماً لقبيلة ولا رئيساً لعشيرة وتلك هي موازين

القوم التي دفعتهم ليعترضوا أو ليقترحوا : « لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ » . (الزخرف ٣١)
وهم أنفسهم يشهدون بذلك قال عتبة بن ربيعة : يا ابن أخى إنك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب (١٠) .

وقالها أبو سفيان له رقل « هو من أوسطنا نسبا » (١١) ، فأى دافع لهم اذن على هذا الاقتراح ؟ « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ولقد اختار لها من يعلم أنه لها أهل . وهم يعلمون أنه كذلك لها أهل فلماذا يقترحون ؟ أنه الحسد الذى حاك في الصدور .

ولم يترك القرآن القضية تمر دون أن يثبت النبوة لنبينا ﷺ لتبقى في التاريخ والذمة أن القوم كفروا حسدا وتعننا ولجأنا .

فردهم إلى حاله وحثهم على دراسة أسرارهم أنه منذ المولد حتى المبعث وهو معروف السريرة مكشوف الخطوات في شرف سامق ، وعزة أبيه ، وكمال محترم ، وما كان يقول هذا القول من قبل فإذا جاءهم بالهدى ، قالوا :

﴿ أءَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ (ص ٨)

(١٠) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٩٣ .

(١١) فتح الباري ج ١ ص ٣٨ .

يقول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا
أَنْتِ بِشُرَرٍ أَنْ غَيْرَ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ أَقُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدَّلهُ مِنْ
تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ إِيَّائِي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ
وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (١٢)

(يونس ١٥ ، ١٦)

لقد لبث فيهم من قبل ذلك أربعين عاماً ما حدثهم عن نبوة
أو رسالة ولا كان يتلو من كتاب .
يقول الله تعالى :

﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابَ
الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

(العنكبوت ٤٨ - ٤٩)

(١٢) راجع القرطبي ط الشعب ص ١٦٠ / ٣١٨٢ .

إن الحق الذى جاء به محمد ﷺ يشهد له حاله ويشهد له تاريخه، فهو أمى لم يقرأ ولم يكتب، وقضى فى هذا المستوى أربعين عاماً فإذا ما طلع بين عشية وضحاها فكلم الناس بالوحي وحمل إليهم قانون ربهم ليعبدوا الله على بصيرة. أفى مثل هذا يقول قائل إنه ليس بنبى ؟

إننا إذا وقفنا قليلاً عند هاتين الآيتين فإننا نجد أن الآية الأولى تنفى وقوع الارتياب من عاقل على فرض أن رسول الله ﷺ كان يقرأ ويكتب ذلك . لأن معانى القرآن الكريم ومفاهيم الدعوة آيات بينات فى صدور أهل العلم (١٣) وقد جعل الله لها من قبل علامات وبشائر ، وهى فيما تدعو إليه إنما تتفق مع مطالب الفطرة وتتلاءم مع العقل السليم يقول أكثم بن صيفى :

« إن الذى يدعو إليه محمد لو لم يكن ديناً لكان فى أخلاق الناس حسناً » (١٤) .

وقد استدلل هرقل على صدق الدعوة بحال الداعية. يقول :
فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله (١٥) وكذلك النجاشى قالها مؤمناً :

(١٣) الإسلام والعقل ص ١٣٢ .

(١٤) التفكير الفلسفى فى الإسلام ص ٣٠ .

(١٥) فتح البارى ج ١ ص ٣٩ .

إن هذا والذي جاء به عيسى-ليخرج من مشكاة واحدة (١٦)
وقالتها السيدة خديجة راضية مرضية .

وقالها أبو سفيان رغم أنفه .
ولهذا يركز القرآن الكريم على استيعاب حال الداعية
كدليل على صدق النبوة بقول الله تعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا
رُسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُمْ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ
وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

(المؤمنون ٦٨ / ٧٠)

إذن ليست هناك شبهة من الشبهات قائمة على أصل محترم .
إنما هي كراهيتهم للحق لأن الرسالة ستسلبهم قيمهم الاجتماعية
الباطلة ، وتلغى أهواءهم المغرورة ، والحق لا يمكن أن يدور مع
هواهم « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن
فيهن » .

ثم يتصدى القرآن بعد أن أثبت النبوة عن طريق حال
الداعية فيجابه أسئلتهم التي يشاغبون بها ويصدون عن دين
الله ببريقها يقول الله تعالى :

(١٦) فقه السيرة ص ١٢٠ في هذا النص ، تعبيرات شتى ، راجع الكامل في التاريخ جـ ٢
ص ٨١ ، السيرة لابن هشام جـ ١ ص ٣٣٧ .

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ الْقُضَى الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا

يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ ﴾

(الأنعام ٨ / ٩)

﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿١٠﴾ ﴾

(الإسراء ٩٠)

فرد عليهم في صرامة :

﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿١٣﴾ ﴾

(الإسراء ٩٤)

﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿١٥﴾ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿١٨﴾ ﴾

(الفرقان ٧ / ٨)

فريد عليهم :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ
كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

(الفرقان ۱۰ / ۱۱)

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ
الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ
فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۚ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۚ ﴾

(الفرقان ۲۰)

وقالوا :

﴿ ۞ ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ﴿ ۞ ﴾

(الفرقان ۲۱)

ويجيب القرآن الكريم :

﴿لَقَدْ اَسْتَكْبَرُوا فِيْ اَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيْرًا ﴿١١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرٰى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِيْنَ وَيَقُوْلُوْنَ حِجْرًا مَّحْجُوْرًا ﴿١٢﴾﴾

(الفرقان ۲۱ / ۲۲)

(١٧) في خلال القرآن جـ ١٧ ص ١٣ جـ ١٨ ص ١٨ / ١٩ ، ٢٠ .

ولا يترك القرآن الجانب التاريخي كدليل على إثبات النبوة
يقول الله تعالى :

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ
الشَّاهِدِينَ﴾ ٤٤ ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ
وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا
كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ٤٥ ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ
رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٤٦ ﴿

(القصص ٤٤ / ٤٦)

هل كان رسول الله ﷺ شاهداً ميقات موسى مع ربه ؟ حتى
يعلم نبأه المفصل كما ورد في سورة الأعراف وأن بينه وبين
هذا الحادث لقرون وأجيال متطاولة ؟
هل كان رسول الله ﷺ مقيماً في أهل مدين يتلقى عنهم
أخبارهم ؟

هل سمع رسول الله ﷺ نداء الله لسيدنا موسى (١٨) ؟

(١٨) في ظلال القرآن جـ ٢٠ ص ٧٢ / ٧٣ ، راجع النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله
دراز ص ٣١/٣٠ ، الإسلام والعقل ص ١٣٠/١٣٣ ، راجع التفكير الفلسفي في الإسلام
ص ٥٩/٥٥ .

إنه الوحي وإنها الرحمة التي شاءها الله جل شأنه لعباده
لمن شاء منهم أن يستقيم ..

يقول ابن خلدون :

النفوس البشرية على ثلاثة أصناف : صنف عاجز بالطبع
عن الوصول إلى الإدراك الروحاني .

وصنف متوجه بالحركة الفكرية نحو العقل الروحاني
والإدراك الذي لا يفتقر إلى الآلات البدنية بما جعل فيه من
الاستعدادات لذلك .. الخ .

وصنف مفضل على الانسلاخ من البشرية جملة جسمانياتها
وروحانياتها إلى الملائكة من الأفق الأعلى ليصير في لحظة من
اللحظات ملكا بالفعل ويحصل له شهود الملأ الأعلى في أفقهم
وسماع الكلام النفساني والخطاب الإلهي في تلك اللحظة
وهؤلاء هم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم^(١٩) .

وهذا ما اصطلحت عليه سالفًا بالبشرية السوية الخاصة
بالأنبياء وذلك ما أثبتته القرآن الكريم واستدلّت بأحواله
العقول الكريمة الفياضة بالنور والسناء الوضئ ، ولقد كان
سيدنا محمد ﷺ هو قلادة هذا العقد النبوي الكريم وكان هو
وحده ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين .

(١٩) مقدمة ابن خلدون جـ ١ ص ٣٥٧/٣٥٨ .

النقطة الثالثة : إن هذا إلقاء قول البشر : -

النبوة والقرآن نعمتان اختص الله جل شأنه بهما حبيبه سيدنا محمدا ﷺ وكلاهما مستند إلى الآخر في الإثبات والتقرير فإذا ما ثبتت النبوة فقد ثبت أن القرآن من عند الله فلا نبوة بغير قرآن ولا قرآن بغير نبوة .

وقد استفاض القرآن الكريم في إثبات النبوة لسيدنا محمد ﷺ وكانت تلك الاستفاضة كافية في إثبات أن القرآن من عند الله . غير أن لجاج القوم وعنادهم كان قد ملأ الدنيا بالصخب والضجيج مما ادعوه بهتانا وما نشره بين القبائل في المواسم والأعياد فأخذ القرآن الكريم يواجه هذه الجحافل الظلماء ليكشف عن الحق .

وللقرآن منهجه الخاص في معالجة الأمور والقضايا .
— فهو يصور أولاً ما يدعيه المعارضون .
— ثم يصور موقف النبي ﷺ وهو موقف كاف في الرد على المعاندين .

— ثم يقيم البيان على أن القرآن وحى من عند الله جل شأنه بطريقتين :

الأول : طريق النص ، إنه من عند الله ، وأن لا مدخلية للرسول فيه .

الثاني : بطريق التحدى وبهذا يتقرر حقيقة القرآن .

— ثم يأمر النبي ﷺ أن يستمر على ما هو عليه من الحق
واتباع ما يوحى إليه من عند ربه ويؤكد الذين أوتوا العلم من
قبله أنه الحق من ربهم .

أولاً : دعاوى المعارضة : -

أما فيما يتعلق بالنقطة الأولى فقد جمع القرآن الكريم
دعاوى القوم وصورها فقال الله تعالى :

﴿ وَإِذَا تَلَّيَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا
أَنْتِ بِشُرَرَانِ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ
تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾

(يونس ١٥)

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا آفَاكُ أَفْتَرْتَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ
ءَاخِرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿١٦﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ
أَكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١٧﴾ ﴾

(الفرقان ٤ - ٥)

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا

يَا لَذَى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴿٣٠﴾

(سبأ ٣١)

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَافِ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ ﴿٣١﴾

(فصلت ٢٦)

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ﴿٣١﴾

(الزخرف ٣١)

﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ ﴿٣٥﴾ (المدثر ٢٥)

وهي كلها آمال جوفاء وشوشرة أطفال لا يدركون مستوى مسئولية الخطاب والتعقل (٢٠). ويكفي في هذه المواجهة أن الرسول ﷺ يقر بأن القرآن وحى من عند الله يقول فضيلة المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز .

الحق أن هذه القضية لو وجدت قاضيا يقضى بالعدل لاكتفى بسماع هذه الشهادة التي جاءت بلسان صاحبها على نفسه ، ولم يطلب وراءها شهادة شاهد آخر من العقل أو النقل ، ذلك أنها ليست من جنس الدعاوى فتحتاج إلى بيئة وإنما هي من نوع الإقرار الذي يؤخذ به صاحبه .

(٢٠) راجع التصوير الفني لمداول هذه الآيات كما شرح في تفسير ظلال القرآن جـ ٢٩ ص ١٩٠ .

ولا يتوقف صديق ولا عدو في قبوله منه . إذ أية مصلحة للعاقل الذى يدعى لنفسه حق الزعامة ويتحدى الناس بالأعاجيب والمعجزات لتأييد تلك الزعامة ؟ نقول أية مصلحة فى أن ينسب بضاعته لغيره وينسلخ منها انسلاخاً ؟ على حين أنه كان يستطيع أن ينتحلها فيزداد بها رفعة شأن ، ولو انتحلها لما وجد من البشر أحدا يعارضه ويزعمها لنفسه ، الذى نعرفه أن كثيراً من الأدباء يسطون على آثار غيرهم فيسرقونها أو يسرقون منها ما خف حمله وغلّت قيمته وأمنت تهمة حتى إن منهم من ينبش قبور الموتى ويلبس من أكفانهم ويخرج على قومه فى زينته من تلك الأثواب المستعارة .

أما إن أحداً ينسب لغيره أنفس آثار عقله وأغلى ما تجود به قريحته فهذا ما لم يلبه الدهر بعد (٢١) .

ثانياً : موقف النبي ﷺ :

وأما فيما يتعلق بالنقطة الثانية :

(٢١) راجع النبأ العظيم ص ١٤/١٥ لقد قدم المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز حول هذا الموضوع دراسة أكاديمية ممتازة دافع فيها عن القرآن الكريم فجاءه الله خيراً غير أن هذا المنهج مع امتياز وجوده إسلامياً وعلمياً فإنه يفاير من ناحية الطريقة لا من ناحية الهدف ولا من ناحية الموضوع الأسلوب الذى انتهجه فى إبراز ثمار العهد المكي فى جوها القرآنى وحده .

فقد أقر النبي ﷺ بأن القرآن وحى من عند الله ، يقول الله تعالى :

﴿ قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾

(الأنعام ١٩)

﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾

(الأنعام ٥٠)

﴿ وَإِذَالَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا أُجْتَبِئَتْهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

(الأعراف ٢٠٣)

﴿ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

(يونس ١٥)

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ

رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

(الكهف ١١٠)

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ﴿١٠٨﴾

(الأنبياء ١٠٨)

﴿إِنْ يُوحِي إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٧٠﴾

(ص ٧٠)

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ ۖ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿٦﴾

(فصلت ٦)

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٩﴾

(الأحقاف ٩)

ثالثاً : الدليل على أن القرآن وحى :

وأما فيما يتعلق بالنقطة الثالثة :

فمع هذا الإقرار الكافي في صد غارات الشوشرة التي يشنها الأعداء فإن الله جل جلاله يتصدى للمعركة مع

الكافرين على حد المنطق القرآنى

(القلم ٤٤)

﴿ قَدَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾

فيقرر القرآن أن الله أوحى القرآن من عنده إلى نبيه محمد ﷺ بطريقتين :-

الطريق الاول : طريق النص أنه من عند الله :

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ

مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

(هود ٤٩)

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ
قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾

(يوسف ٢ / ٣)

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾

(الحجر ٨٧)

﴿ وَنَزَّلْ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ

إِلَّا خَسَارًا ﴾

(الإسراء ٨٢)

﴿ وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾

(الإسراء ١٠٦)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ فِيمَا يُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ ﴾

(الكهف ١ / ٢)

﴿ طه ١ ﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا نَذِيرًا لِّمَن

يَخْشَى ﴿٣﴾

(طه ١ / ٢)

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾

(طه ١١٣ / ١١٤)

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾

(الفرقان ١)

﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ

(الفرقان ٦)

غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾

﴿وَإِنَّهُ لَكَنَزِيرٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

(الشعراء ١٩٢ / ١٩٩)

﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنَ الذَّنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾

(سبأ ٦)

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾

(القصص ٨٥)

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۖ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾

(العنكبوت ٤٧)

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۚ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾

(السجدة ٢ - ٣)

﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ
وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾

(النمل ٦)

﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ
اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾

(فاطر ٣١)

﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾

(يس ٦٩)

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾

(الزمر ١ - ٢)

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾

(غافر ٢)

﴿ تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

(فصلت ٢ - ٣)

﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدِّقِلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ٤٣ ﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجْمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ٤٤ ﴾

(فصلت ٤٣ — ٤٤)

﴿ كَذَٰلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٣ ﴾

(الشورى ٣)

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ٧ ﴾

(الشورى ٧)

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٣ ﴾

(الزخرف ٣)

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ٢ ﴾

(الدخان ٣)

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ٢ ﴾

(الجاثية ٢)

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾

(الأحقاف ٢)

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۚ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۖ ﴾

(النجم ٢ - ٥)

﴿ الرَّحْمَنُ ۚ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۚ ﴾

(الرحمن ١ - ٢)

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۚ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۚ ۞ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا

الْمُطَهَّرُونَ ۚ ۞ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۚ ﴾

(الواقعة ٧٧ - ٨٠)

﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۚ ۞ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ ۚ ۞ وَلَا يَقُولُ

كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ۚ ۞ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۚ ﴾

(الحاقة ٤٠ - ٤٣)

﴿ لَا تَحْرَجْ بِهِ ۚ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ ۞ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ ۚ وَقُرْآنَهُ ۚ ۞ فَإِذَا

قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۚ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۚ ۞ ﴾

(القيامة ١٦ - ١٩)

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ۚ ۞ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعِ مِنْهُمْ

﴿إِنَّمَا أَوْكَفَرُوا ۚ﴾

(الإنسان ٢٣ — ٢٤)

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ﴾ (القدر ١)

هذه الآيات الجمّة التي حشدتها القرآن الكريم هي نصوص تثبت أن الله جل شأنه هو الذي أوحى القرآن الكريم إلى عبده ونبيه الخاتم سيدنا محمد ﷺ، وهي كافية في مواجهة ما يثيره الحاقدون .

ب - طريق إثبات أن لا مدخلية للنبي ﷺ في شيء من القرآن الكريم بالنص القرآني :
يقول الله تعالى :

﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ
فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ۚ﴾

(القصص ٨٦)

﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ۚ﴾ ٤٤ ﴿لَا خَذَانَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۚ﴾ ٤٥ ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ
الْوَتِينَ ۚ﴾ ٤٦ ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ۚ﴾ ٤٧

(الحاقة ٤٤ — ٤٧)

الطريق الثانى - التحدى :

ادعى القوم أن القرآن الكريم حديث مفترى، وصور القرآن الكريم هذه المقالة ورد عليها بما يفهم أصحاب اللجاج والعنت. يقول الله تعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْنَاهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يَكْفُرُونَ ٣٥ ﴾

(هود ٣٥)

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ٣ ﴾

(السجدة ٣)

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَبِمَتَّ اللَّهُ الْأَبْطُلَ وَبُحُّ الْحَقِّ بِكَلِمَتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٢٤ ﴾

(الشورى ٢٤)

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْنَاهُ فَلَاتَمَلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٨ ﴾

(الأحقاف ٨)

﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الطور ٣٣)

في هذه الآيات وأمثالها في القرآن الكريم رد عام للدعوى المشوشة المهرجة التي افتعلها القوم ظلما وعلوا ، ومادام الأمر كذلك وأنهم رددوا هذه الدعوى التي لا يمكن إقامة دليل عليها ، فقد تصدى الله جل جلاله لهم وتحداهم ، وبلغ رسوله الكريم الأمين الصادق المصدق أن يأتوا بمثله ؟

قال الله تعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (يونس ٣٨)

﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ ۚ مُفْتَرِيَتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (هود ١٣)

﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ ۚ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ (الطور ٣٤)
وعلى حسب وجود هذه الآيات في سورها (٢٢) فقد تحداهم الله

(٢٢) حول ترتيب هذه الآيات جاء حديث طويل في تفسير المنار جـ ١٢ من ص ٣٢ إلى ص ٤١ كذلك كتب الدكتور محمد أحمد الغمراوي عدة مقالات في مجلة الأزهر خاصة عدد ربيع الأول سنة ١٤٣٩ هـ من ص ١٨٢ إلى ص ١٨٩ وعدد ربيع الآخر سنة ١٣٨٩ هـ من ص ٢٤١ إلى ص ٢٥٤ وفي ظلال القرآن جـ ١٢ ص ٣٩ تعليق على ترتيب الآيات الخاصة بالتحدي ولكني فضلت إيراد الآيات في جوها القرآني مصوراً لمنهج القرآن بعيداً عن مناقشات العلماء .

أولاً أن يأتوا بسورة مثل سورة من القرآن وسمح لهم أن يستعينوا بمن شاءوا واستطاعوه إن كانوا صادقين في ادعائهم الافتراء ؟

ثم تحداهم بعشر سور مفتریات ليصححوا زعمهم أن القرآن مفترىء وأباح لهم الاستعانة بمن شاءوا وقدرُوا معه على خلق عشر سور مفتریات .

والذى يلاحظ هنا أن التحدى الأول ليس فيه قيد الافتراء فوق التحدى بسورة واحدة للدلالة على أنه غير مقدور للبشر الاتيان بشيء مثله .

والتحدى الثانى فيه قيد المفتریات فوق التحدى بعقد كامل لأنه لو كان مفترى كما يزعمون لكان أمره سهلاً مقدوراً إذ ما يفعله واحد بنفسه يمكن أن يفعله الزاعمون، بله أنه لأمر جد يسير إذا استعانوا بمن يشاءونه من البشر .

فترقى القرآن من التحدى بسورة واحدة إلى عشر ملاحظ فيه هذا القيد فكأنه تنازل مع الزاعمين من التحدى بالقرآن صافياً ربانياً إلى زعمهم هم . فلئن كان حقاً كما يزعمون هو قرآن مفترى فما أيسر أن يجاء بمثله ويجاء بمثله كثير لا قليل فلما عجزوا بان وتأكد أنه ليس مفترى ولهذا يأتى التحدى الأخير كاملاً كلياً جامعاً فليأتوا بحديث مثله ، مثله مطلقاً فى الصفاء والنقاء كما جاء به الوحي وعجزوا عنه فى التحدى الأول ، أو مثله على حسب زعمهم فى ادعاء الافتراء كما جاء فى التحدى

الثانى وعجزوا عنه أيضاً ، فثبت بذلك التحدى أن القرآن الكريم وحى من عند الله وأنه تنزيل من حكيم حميد نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين . وإذن فليضح القرآن الكريم حقيقة الأمر يقول الله تعالى عقب هذه الآيات على التوالى :

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّابٌ أَذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾^(٢٣)

(يونس ٣٩)

﴿ فَالَّذِينَ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^{١٤}

(هود ١٤)

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾^{٣٥} أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾^{٣٦} أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ ﴾^{٣٧}

(الطور ٣٥ - ٣٧)

فأظهرت آيات سورة الطور علة نكرانهم لربانية القرآن ، أنهم لا يوقنون ولا يؤمنون ، ذلك لأنهم لا ينكرون الخالقية لله ولا يجحدون أن السموات والأرض وهم أنفسهم من خلق الله

(٢٣) راجع تفسير القرطبي ص ٣١٨٢ / ٣١٨٤ .

جل شأنه ، ولكن من أغلق قلبه عن الإيمان حجب لنفسه إنكار الحق ولو كان الحق أشد نصاعة من وهج الشمس في زابغة النهار .

وإذن فكل ما يدعيه القوم بعد ذلك :

﴿ وَقَالُوا أَيَّتُهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ٦ ﴾

(الحجر ٦)

﴿ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ ١٠٣ ﴾

(النحل ١٠٣)

﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ٧٠ ﴾

(المؤمنون ٧٠)

﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ٥ ﴾

(الفرقان ٥)

﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ٣٢ ﴾

(الفرقان ٣٢)

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ٣١ ﴾

(الزخرف ٣١)

﴿ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ١١ ﴾

(الأحقاف ١١)

﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبَرَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ٣٠ ﴾

(الطور ٣٠)

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ٥١﴾

(القلم ٥١)

كل ذلك وأمثاله من دعاوى القوم إن هو إلا إفك وحسد من عند أنفسهم .

﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ١١١ ﴾

(يوسف ١١١)

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٣٧ ﴾

(يونس ٣٧)

وخاتمة المطاف :

﴿ قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٨٨ ﴾

(الإسراء ٨٨)

والنقطة الأخيرة :

رابعاً - اتبع ما أوحى إليك من ربك :

والجو القرآنى نفسه شاهد صدق على أن القرآن من عند الله وأن سيدنا محمداً ﷺ تلقاه عن ربه وأمر باتباع ما أوحى إليه .

يقول الله تعالى :

﴿ أَتَبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١٠٦﴾
(الأنعام ١٠٦)

﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ ﴿١٠٩﴾
(يونس ١٠٩)

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١٢٣﴾
(النحل ١٢٣)

﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۚ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا ﴾ ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن تَبْنَتَكَ لَقَدْ كُنتَ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾
(الإسراء ٧٣ / ٧٥)

﴿وَأْتِلْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ﴿٢٧﴾ (الكهف ٢٧)

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَدًّا﴾ ﴿٩٧﴾ (مريم ٩٧)

﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ (العنكبوت ٤٥)

﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٤٣﴾ (الزخرف ٤٣)

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ ﴿١﴾ (الجن ١)

— هذه الحقيقة لا ينكرها الذين أوتوا العلم. يقول الله تعالى :

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٢٠﴾

(الأنعام ٢٠)

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ﴿١١٤﴾ (الأنعام ١١٤)

﴿ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ؕ أَوْ لَا تَتُومِنُوا إِنَّا الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ؕ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ ﴾
(الإسراء ١٠٧)

﴿ أَوْ لَرِيكَنْ لَهُمْ ؕ آيَةٌ أَن يَّعْلَمَهُ ؕ عُلِّمَتْ ءَابَتِي إِسْرَءِيلَ يَلِ ﴿١٩٧﴾ ﴾
(الشعراء ١٩٧)

﴿ الَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ ؕ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ؕ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا ؕ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾
(القصص ٥٢ / ٥٣)

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ۖ فَالَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۖ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾
(العنكبوت ٤٧)

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ مُبَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾
(العنكبوت ٤٩)

وبهذا ثبت أن القرآن وحى من عند الله، وبهذا أيضاً ثبت أن محمداً رسول الله ﷺ حقاً وصدقاً .

يقول ابن خلدون : في الغالب تقع الخوارق مغايرة للوحى الذى يتلقاه النبي ، ويأتى بالمعجزة شاهدة بصدقه ، والقرآن هو نفسه الوحى وهو الخارق المعجز فشاهده بعينه لا يفتقر

إلى دليل مغاير له كسائر المعجزات ، فهو أوضح دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه ، وهذا معنى قوله ﷺ : « ما من نبي من الأنبياء إلا وأوتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحى إلیّ ، فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » .

يشير إلى أن المعجزات متى كانت بهذه المشابهة فى الوضوح وقوة الدلالة وهى كونها نفس الوحى ، كان الصدق لها أكثر لوضوحها ، فكثير المصدق المؤمن وهو التابع والأمة (٢٤) ، أهـ .

وأنا أشهد أن محمداً حقاً وصديقاً لرسول الله وأن القرآن كتاب الله أوحى إليه ليكون للعالمين مبعثاً ونذيراً .

(٢٤) مقدمة ابن خلدون ج ١ ص ٣٥١ .

(عقيدة البعث)

أرقى عقلية إنسانية هى العقلية التى تتعشق الخلود وترى أن الحياة السرمدية هى الحياة الثانية بعد الموت، وأن العدل المطلق ، والسعادة النقية لها يوم مشهود بعد هذه الحياة المشوبة بالظلم والكدر ، وما الموت إلا رحلة انتقال بين حياتين : حياة فانية وحياة أبدية يقام فيها العدل ، وتنعم النفوس الطيبة بالسعادة الأبدية .

ولقد كانت العقلية المصرية من أولى العقليات المؤمنة بهذا السمو من الخلود بعد الموت ، وكانت العقلية العربية فى أشعارها ومعلقاتها ، وأحاديث سمرها فى هجعات الليل حيث تطل أضواء القمر الهادئة على موجات الرمال فى سفوح الجبال ووديانها ... كانت كذلك تؤمن بالبعث بعد الموت ولكن العناد فى المناقشة مع سيدنا رسول الله ﷺ دفع الناس إلى العناد .. وتصدى لهم القرآن الكريم وحشد كل فنون الأدلة والبراهين ليدفعهم من طينية الفكر الدنيوى الثانى إلى شفافية الفكر الطموح الخالد .

وكان قصد القرآن الكريم رحيماً وهو يأخذ بيدهم من وهدة الانحطاط إلى آفاق السمو الرفيع ، وعلى عادة القرآن الكريم فى معالجته للقضايا فقد عالج قضية البعث مع كفار قريش على النحو التالى : -

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الجاثية ٢٤)

﴿ أَمْ دَامَتْنَا وَكُنَّا ثَرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ ﴾ (ق ٣)

﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا ثَرَابًا وَعِظْمًا أَمْ نَأْتِ الْمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الواقعة ٤٧)

﴿ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ (القيامة ٣٦)

تلك مجموعة من آراء القوم تصورها هذه النماذج من آيات القرآن الكريم ...

الثانى - الرد على المعاندين (٢٥) .

أ - يرد الله عليهم :

﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجُدُ لِأَيْدِيكُمْ فَتُتَبَّعُونَ أَنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾ (الإسراء ٥٠ - ٥٢)

(٢٥) نؤثر في هذا المقام إيراد الآيات القرآنية دون شرحها أو بسط تفسيرها اظهاراً لمنهجية القرآن الكريم في طريقة تدليله وحثاً للقارئ على أن يتدبر القرآن الكريم .

- صور مقالات المشركين حول مفهوم البعث .
- ثم نوع الرد عليهم في اتجاهات عدة : -
- أ - رد عليهم في جو السلطان الإلهي .
- ب - رد عليهم في جو الحكمة من البعث .
- ج - ثم نبه غفلتهم إلى المشاهدات الحسية التي لا يختلف فيها اثنان وجعلها أصلاً لإدراك البعث .

الأول — تصوير مقالات المشركين :

* في الجانب الأول يقدم القرآن الكريم تصويراً لدعاوى القوم، نماذج هذه الآيات قول الله تعالى :

﴿ وَقَالُوا آءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفًّا آءِذَا نَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۚ ﴾ ٤٩

(الإسراء ٤٩)

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا آءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّآبَاءُنَا أَرِنَا لِمُبْخَرَجُونَ ۚ ﴾ ٦٧

(النمل ٦٧)

﴿ آءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَّعِظْمًا آءِذَا نَا لَمَبْعُوثُونَ ۚ ﴾ ١٦ (الصافات ١٦)

﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ۚ ﴾ ٣٥ (الدخان ٣٥)

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾
 ﴿١٩﴾ (الإسراء ٩٩)

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ ﴾
 ﴿١٠٤﴾ (الأنبياء ١٠٤)

﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾
 ﴿٢٨﴾ (لقمان ٢٨)

﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾
 وَقَالُوا يَنْوِيلُنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِءُ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾
 ﴿٢١﴾ (الصافات ١٨ / ٢١)

﴿ أَهْمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِيعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْتَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾
 ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا
 بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ
 أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ (الدخان ٣٧ / ٤٠)

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ
 بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
 ﴿٣٣﴾ (الاحقاف ٣٣)

﴿ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٥ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْثُورًا ۖ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَيْدِيَنَا إِلَيْهِ فَأَنزَلْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝١٦﴾

(ق ١٥ / ١٦)

إن المسألة سهلة بسيطة إذا قيست بمقاييس السلطان
الإلهي :

﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
بِعَزِيزٍ ۝١٧﴾ (فاطر ١٦ / ١٧)

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝٨٢﴾
(يس ٨٢)

ب - يبرز القرآن الكريم الغاية من البعث. إنها إقامة العدل
في دار الجزاء حيث توفي كل نفس ما كسبت :

﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴿١﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢﴾
وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴿٣﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٤﴾ وَمَا أَذْرَكَ
مَا هِيَ ﴿٥﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿٦﴾﴾ (القارعة ٦ / ١١)

وحول هذه الحكمة تأتي نماذج من آيات الله البينات يقول
الله تعالى :

﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۖ

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ
شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾

(يونس ٤)

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعَدًا
عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي
يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾

(النحل ٣٨ / ٣٩)

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَ كُكُمْ عَلِيمٌ
الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا
أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ ﴿٤﴾

(سبأ ٣ / ٥)

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا
وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ ﴿١﴾

(النجم ٣١)

جـ - ويعرض القرآن الكريم دليلين .

دليلاً من المشاهدة .

ودليلاً من العقل .

أما دليل المشاهدة ففي قوله تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

(فصلت ٣٩)

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَّ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾

(ق ٧ / ١١)

فيجرهم القرآن الكريم إلى ملاحظة هذه العملية الدائمة المتكررة فيما حولهم من الأرض فكذاك الخروج من القبور على هذه الوتيرة السهلة فهم في ملكوت الله شيء من الأشياء التي ينزل عليها الماء فتحيا به ويجف عنها فتموت ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب .

وأما دليل العقل والفكر ففي آيات سورة يس :

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي
 جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾
 أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
 بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ
 فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾

(يس ٧٨ / ٨٢)

وأعرج في استخلاص عقلياتها على ما جاء في كتاب
 أستاذنا الإمام الدكتور عبد الحليم محمود :

١ - وجود الشيء من جديد بعد كونه وتحلله للسابقين
 ممكن بدليل مشاهدة وجوده بالفعل مرة لا سيما أن جمع
 المتفرق أسهل من إيجاده وإبداعه عن عدم وإن كان لا يوجد
 بالنسبة لله شيء هو أسهل وشيء هو أصعب ، هذا الدليل
 موجود في قوله تعالى :

﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (يس ٧٩)

٢ - ظهور الشيء من نقيضه كظهور النار من الشجر
 الأخضر ممكن وواقع نحت الحس ، وإذن يمكن أن تدب الحياة
 في الجسد المتحلل الهامد مرة أخرى وذلك على أساس المبدأ
 الأكبر وهو أن الشيء يمكن أن يوجد من العدم المطلق بفعل
 المبدع الخالق ، وهذا الدليل العقلي موجود في قوله تعالى :

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴾
(يس ٨٠)

٣ - خَلَقُ الإنسان أو إحياءه بعد الموت أيسر من خلق العالم الأكبر بعد إن لم يكن هذا الدليل موجود في قوله تعالى :
﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾
(يس ٨١)

٤ - الخلق والفعل مطلقاً مهما عظم المخلوق لا يحتاج من جانب الله المبدع لا إلى مادة ولا إلى زمان خلافاً للفعل البشرى الذى لا يتم إلا في زمان ويحتاج إلى مادة تكون موضوع الفعل وهذا الدليل موجود في قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾
(يس ٨٢)

والقرآن نفسه يشير إلى هذه الأدلة ففيما يتعلق بالدليل الأول يقول الله تعالى :

﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾
(الإسراء ٥١)

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾

(الأنبياء ١٠٤)

أما فيما يتعلق بالدليل الثانى يقول الله تعالى :

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمتَعَالٍ الْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾
(الواقعة ٧١ / ٧٣)

وفىما يتعلق بالدليل الثالث ، يقول الله تعالى :

﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾
(غافر ٥٧)

وفىما يتعلق بالدليل الرابع يقول الله تعالى :

﴿ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ﴿١٥﴾ ﴾
﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾
(النحل ٤٠)

﴿ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾
(الروم ٢٧)

وبذلك يثبت البعث ويستقر عقيدة راسخة فى نفوس
الصادقين الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه .

ولكن القرآن الكريم لا يترك المسألة تمر دون أن يفضح بواعث هذا الإنكار إنهم ينكرون البعث مع وجود أدلة يشاهدونها بالعين وينتفعون بها ، ويمكن لعقلهم إذا شفى من دائه أن يتعقلها ، ولكن العلة أنهم ألفوا ثقافة ودأبوا على تقاليد ربطوا عقولهم وأعناقهم في حبالها فحقت عليهم لعنة الله ، إنهم يقولون مقالة السالفين الكافرين من قوم نوح .

﴿ أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ﴾ ٣٥ ﴿ هِيَآتَ هِيَآتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ ٣٦ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ ٣٧ (المؤمنون ٣٥ / ٣٧)

بمثل هذا المنطق الأعمى قال كفار مكة :

﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴾ ٨١ ﴿ قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ ٨٢ ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنَّا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ٨٣

(المؤمنون ٨١ / ٨٣)

فليس هناك باعث على الجحود والكفر وإنكار البعث إلا تلك المقالة القديمة التي ردها السالفون من المشركين وهم على آثارهم يهرعون ، أما يوم البعث فهو حق لا ريب فيه :

﴿ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ

الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ
اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾

(غافر ١٦ / ١٧)

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ
شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ وَأَشْرَقَتِ
الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ
وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٠﴾

(الزمر ٦٨ / ٧٠)

﴿ يَوْمَ يَذِيضُ الدُّرُّ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ ﴾ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا
يَرَهُ ﴿٨﴾

(الزلزلة ٦ / ٨)

والله عاقبة الأمور ..

النتائج

- أ - نشر لواء التوحيد .
- ب - بناء الدولة الإسلامية .
- ج - تحويل الخصوم إلى اتباع مجاهدين .

تقاس الدعوات ومناهجها ومبادئها بالأهداف التي اهتمت إليها وحققتها حسب ما دعت إليه دون تبديل أو تغيير .

وكل دعوة توفر لها المنهج والوسائل والسلطة التنفيذية ، ثم لم تستطع أن تقدم النتائج الطبيعية حسب مبادئها ، فهي دعوة بعيدة عن الفطرة وغير قابلة للتنفيذ .

ولقد أعلنت الدعوة الإسلامية مبدأ توحيد الله منذ العهد المكي وأعلنت كرامة الإنسان ووحدته في مساواة كاملة في الخلق والحقوق والواجبات .

ومن خلال التشريعات المنهجية فقد طالبت بسلطة تحمي حقوق الله في ذمة البشر وفي كل مرحلة من مراحل العمل الإسلامي تدعى الدعوة أنها لخير الناس طرا

فهل صحيح أن الدعوة الإسلامية حسبما عرضناه في المراحل السالفة استطاعت أن تحقق غاياتها وفقا لما أعلنته من مبادئ وأيديولوجيات ؟؟

إن الجواب الواضح الصريح يؤكد أن الدعوة الإسلامية قد استطاعت أن تنجح في كل غاياتها وبخاصة في :

أ - نشر لواء التوحيد

الحقيقة العليا :

الحقيقة العليا التي حملها الأنبياء جميعاً هي : أن الله تعالى واحد لا شريك له في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله ، وقد طمس بعض أتباع الرسل السابقين هذه الحقيقة فجاء سيدنا محمد ﷺ ليجليها ويدفع عنها ركام العبث الجاهلي الذي استحدثه السابقون للهوى والتفكه الخاص .

وتنطق آيات كثيرة في القرآن الكريم بهذه الحقيقة العليا ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ وهو طلب توجيه يذكر بالحقيقة العليا التي يقوم عليها أمر الأنبياء جميعاً ، وهي أساس جميع مطالب الحياة ، وهي ركيزة التوجيهات والتكاليف التي ستأتي ، ثم هي الغاية العليا للإنسان في حياة الدنيا والآخرة

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦ ﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿ ٥٨ ﴾

((الآيات ٥٦ - ٥٨))

فالنص يعطينا حقيقة كبرى وهي أن الله لا يستقيم للبشر حياة في الأرض بدون إسماء الحقيقة العليا وهي عبادة الله الحق الواحد الأحد القرد الصمد ، بل إن النص يجعل وظيفة

الإنس والجن قائمة على أداء حق العبادة لله سبحانه وتعالى ، فمن قصر في العبادة فقد أبطل غاية وجوده ، وصار شيئاً من الجمار أو الأنعام فقد أصبح بلا وظيفة، وأصبحت حياته فارغة من معناها الجليل خاوية من وظيفتها الأساسية وساعتها فقد انفلت من عقال الناموس الذى ينظم له وجوده في الحياة وينقله إلى الخلود الأبدى المرضى عنه .

والنص يعطينا صورة فسيحة لمعنى العبودية لله ، إنها ليست فقط في إقامة الشعائر بل هي الخلافة في الأرض ، فقد قال الله تعالى للملائكة : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾ . فالخلافة في الأرض هي عمل هذا الكائن البشرى ، وهي تقتضى ألواناً من النشاط الحيوي في عمارة الأرض وتحتاج عمارتها إلى التعرف على قوانينها وقواها ومخزونها وطاقاتها وذخائرها ومكنونها ، ولن تتحقق هذه الخلافة إلا إذا تحققت العبودية لله الواحد الأحد ، فهذه العبودية لله هي قاعدة الفلاح ، وهي الحقيقة العليا التى تيسر كل شيء في الاستخلاف على هذه الأرض .

ومن ثم يعرف الإنسان العاقل أن حضارته الكريمة التى استخلف من أجلها لن تبلغ شأوها الراقى النبيل إلا إذا قامت على ركيزة من الحقيقة العليا وهى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ والعلم بأن الله الواحد يتمثل في :

(أ) استقرار العبودية لله وحده في النفس الإنسانية
استقراراً يميز الإحساس بالحاجة إلى الله الواحد الأحد عن جميع
القوى المغايرة إلى درجة التأكد من أنه لا يجرى شيء في هذه
الحياة إلا بإرادة الله وقدرته .

(ب) التوجيه الكلى إلى الله في كل حركة وسكون على نمط
التوجيه القرآنى

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ
لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾

(الأنعام ١٦٣)

وقد جاء في السنة المطهرة : « يا ابن آدم تفرغ لعبادتي
أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت صدرك شغلا
ولم أسد فقرك » .

(رواه أحمد)

فالوظيفة إذن : إسلام كامل لا يستبقى في النفس
الإنسانية ولا في الحياة كلها بقية ما لا تعبد الله ، فهي
تسبيحة التوحيد الخالص المطلق، والعبودية الكاملة التي
تجمع كل تحرك في الوجود لتخلصه لله عبادة نقية .

الشهادة عليها :

ولقد شهد الله على هذه الحقيقة ، وشهد على أن الذى جاء به محمد هو الحق ، وأن الله سيظهره على الدين كله ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران ١٨)

فشهادة الله هنا مسبوقة ليرتب عليها مستلزم لها وهو : أن الله جلت قدرته لا يقبل من العباد - وبخاصة الذين يدعون الإيمان - إلا عبودية خالصة لله متمثلة في الإيمان الصحيح الذى جاء به محمد ﷺ . وتشير الآية إلى ملازمة الألوهية للقسط فهو سبحانه وتعالى الحى القيوم على كل شىء في الوجود ، وقيوميته قيومة قسط وعدل فلا يتحقق عدل مطلق إلا مع هذه الحقيقة العليا وهى شهادة التوحيد الخالص ، ولذلك عقب بقوله تعالى :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ ورتب على هذه العندية أن ما عليه أهل الكتاب من الخلاف يبعدهم عن الإسلام الذى رضىه الله تبارك وتعالى .

فالألوهية واحدة ولا شأن للإنسان بنعتها بل عليه أن يستقبل الوحي الذى يأتى من عندها ، فمعنى العبودية لله هى

الانصياح إلى هذه الألوهية الواحدة فهي المصدر، فلا تناقش ولا يقترح عليها ولا يتدخل أحد في قيوميتها ، فالاختلاف بين أهل الكتاب مبعثه الخلط والهوى والمصلحة لا العلم ولا التفكير ولا المنطق الحميد .

وقد أعلن الله هذه الشهادة في كثير من الآيات القرآنية :
﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ٢٨ ﴾
(الفتح ٢٨)

يقول المفسرون : أرسله بالعلم النافع والعمل الصالح ، فإن الشريعة تشتمل على شيئين : علم وعمل ، فالعلم الشرعى صحيح والعمل الشرعى مقبول فأخباراتها حق . وإنشاءاتها عدل ، ويظهره على الدين كله ، على أهل جميع الأديان من سائر أهل الأرض من عرب وعجم ومليين ومشركين ، وكفى بالله شهيدا ، أى أنه رسوله وناصره (٢٧) .
وآيات مثلها :

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ١ ﴾
(التوبة ٣٣ ، الصف ٩)

وهذه الشهادة لها واقع عملى ، فقد أظهر الله هذا الدين على اليهود وعلى النصارى على نحو ما ذكرناه آنفا ، كما أظهر

(٢٧) ابن كثير ج ٤ ص ٢٠٣ .

الله هذا الدين في العالم كله : فليس هناك قارة ولا دولة عظمى إلا وفيها الإسلام يغلب بنظمه الرفيعة سائر النظم الوضعية ، وكلما أرادت القوانين الوضعية أن تقترب من الفضيلة والحق عدلت نفسها فإذا بها تقترب من النظام الإسلامى ، ومع جحافل المخططات منذ عدة قرون التى تحاك لضياح الإسلام من كثير من البلاد فى آسيا وأفريقيا. إلا أن الإسلام مازال حيا ولو فى قلة من أتباعه. لكنه كنظام فإنه ظاهر برحمته وعدله وإحسانه واحترامه للكيان الإنسانى على كل اللوائح والقوانين .

والنبي ﷺ شاهد على هذه الحقيقة العليا .

﴿ قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَیُّكُمْ لَتَشْهَدُنَّ أَنَّ مَعَ اللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَاحِدٌ وَإِنِّی بَرِئٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

(الأنعام ١٩)

ففى هذا النص مواجهة للمشرکین لیبین لهم الحقيقة العليا والغاية الأساسية للإنسان فى وجوده : إن الله سبحانه وتعالى هو أكبر شهادة ، فهو الذى يقضى بالحق وهو خير الفاضلين ، والله يعلن ويأمر نبيه ﷺ بالشهادة على هذا الإعلان : إنه واحد فإن شهد المشرکون بغير هذا فقل : لا أشهد ، ولإثبات

الحقيقة العليا قل : إنما هو إله واحد وإننى برىء مما تشركون .

ولقد أقر القرآن الكريم من قبل فى سورة البقرة. أن هذه الحقيقة العليا قد أقر بها محمد ﷺ

﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾

(البقرة ٢٨٥)

فالذى تلقاه محمد ﷺ من ربه وآمن به هو ومن معه من المؤمنين هو الحقيقة العليا : الله واحد لا شريك له ، فهو الإيمان السليم ، ثم هو الإيمان الشامل الذى يليق بالامة الوارثة لدين الله ، وهى الامة القائمة على دعوته فى الأرض إلى يوم القيامة .

فهى فى إيمانها بالله تكون الامة التى تحمل فى حنايا صدورها الحقيقة العليا الصحيحة، ثم هى بإيمانها ضاربة بالجذور البعيدة فى أعماق التاريخ لأنها تؤمن بجميع الرسل والأنبياء السابقين .

وهى أمة ضاربة فى رفعة السمو الغيبي، فهى تؤمن بالملائكة والكتب السابقة التى أوحى الله بها إلى السابقين من الأنبياء والمرسلين .

فهي الأمة التي تقود موكب الدعوة بالإيمان الصحيح وبثبات
تحرس الإيمان في مستقبل التاريخ إلى قيام الساعة . تحرسه
وهي تسمع له وتطيع ، ولا تطيع أحداً غيره أبداً .

ولقد شهد العقلاء من أهل الكتاب والحكمة من قبل :

— لقد شهد ورقة بن نوفل .

— وخديجة بنت خويلد .

— وقس بن ساعدة الأيادي .

— وبحيرا .

— ونسطورا .

— والنجاشي .

— وهرقل .

— وعكرمة .

— وصفوان .

— وأم كلثوم بنت عقبة بن معيط .

— ومخيريق .

— ثم كعب بن أسد قبيل أن يموت .. !!

شهدوا جميعاً أن الذي جاء به ﷺ هو حقيقة التوحيد

الخالص الذي قاد موكبه جميع الأنبياء ثم ختمه ﷺ .

— العمل لنشر هذه الحقيقة العليا :

﴿ يَأَيُّهَا الْمَدِّيرُ ﴿۱﴾ قُرْآنَدِرْ ﴿۲﴾ ﴾

لقد كان المشوار شاقاً وصعباً بين الأمر بهذه الآية

والجيش الذى قاده النبي ﷺ إلى تبوك ، فقد كانت الأرض فاسدة كل مفسدة فى التصور الاعتقادى ، والأسس الاجتماعية . فكانت الديانات جرافات وكانت أسس العلاقات نكرة وحمية الجاهلية والقبلية . فقام عليه الصلاة والسلام ليبلغ الناس كافة بمنهج عمل رسم به أسلوب التبليغ وقواعده ومنهجيته ، وانتقل عليه الصلاة والسلام من الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة إلى القتال فقال عليه الصلاة والسلام : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » .

(متواتر متفق عليه)

وكان القتال منهجياً له قواعده وأساليبه وأحكامه ، فسبقته الدعوة إلى الإيمان بالحققة العليا أو الإذعان لسيادتها بدفع الجزية ، أو الحرب ، فهى ليست مفروضة على كل حال ، بل هى مشروعة لضرورة الحال ، وقد جهز النبي ﷺ جيوشاً كثيرة لتبليغ الدعوة وتأديب المارقين على الحققة العليا المفسدين فى الأرض ، وقد عدها ابن سعد فى الطبقات فجعلها سبعا وعشرين غزوة ، وسبعا وأربعين سرية .

« وكانت الغزوات التى قاتل فيها تسعا فقط هى . بدر

القتال ، أحد ، المريسيع ، الخندق ، بنى قريظة ، خيبر ،
حنين ، الطائف ، وفتح مكة » (٢٨) .

غير أنى لا أرى أن النبي ﷺ كان قد حارب يوم فتح مكة
وإن وقع فيها قتال بدأ به المشركون سيدنا خالد بن الوليد
رضى الله عنه .

ولقد حدد الله له الغاية من هذا القتال كما حدد النبي ﷺ
للمجاهدين الغاية منه كذلك .

(١) قال الله تعالى :

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ
مَآحَرَمَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾

(التوبة ٢٩)

فالفئات التى تقاتل هى :

- (أ) كل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر .
 - (ب) كل من لا يحرم ما حرم الله ورسوله .
 - (جـ) كل من لا يدين بدين الحق من أهل الكتاب .
- وغاية القتال أحد أمرين :

(أ) إما أن يذعنوا لله ولرسوله ويسلموا .

(٢٨) الطبقات الكبرى جـ ٢ ص ٥ / ٦ .

(ب) أو يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون .
والذي يلاحظ في الآية أن القتال ليس مبعثه فقط الإيمان
بالله ورسوله . بل أيضاً مبعثه الخضوع لما شرعه الله ورسوله
بمعنى أنه لا يليق بالدولة الإسلامية أن تترك فساد الأخلاق
يستشري من سلوك غير المسلمين فكما تحارب الكفرة على
العقيدة تحاربهم على الخضوع للسيادة الشرعية لله ورسوله .
وقد حكمت الآية كذلك أن أهل الكتاب لا يدينون دين الحق ما لم
يؤمنوا بما جاء به سيدنا محمد ﷺ .
ولقد قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ
لِلَّهِ ۚ ﴾

(الأنفال . ٣٩)

وقد وضحت آية التوبة المراد من الضمير في قوله تعالى
فاتلوهم :
فقال الله تعالى :

﴿ فَقَاتِلُوا أِيمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ
ۚ ﴾

(التوبة ١٢)

فالقتال في الإسلام له أهمية وغاية هي أن يكون الدين كله
للـه : إما قبولاً بالإرادة المختارة والمحبة القلبية لمن اكتفى

بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وإما خضوعاً وامتناناً
لسيادة هذا الدين الخاتم .

ولقد أسلمت العرب كلها يوم أن رأت قريشاً قد انصاعت
للإيمان ، وأسلمت مكة كلها يوم أسلم أبوسفیان وهند
وعكرمة وصفوان فجاءوا جماعات يستغفرون ويعلمون
الإسلام .

وكذلك أسلمت أطراف الجزيرة العربية يوم أن رأت
الأكاسرة والقيصرة قد خابت مساعيهم في مواجهة هذا
الدين .

فالقتال الهجومي في الإسلام يتوجه إلى رؤوس الكفر الذين
يشكلون العقابيل الكئود التي تحجب الناس عن الحق والنور
والصراط المستقيم .

ولقد بلغ النبي ﷺ أطراف الحياة المعاصرة لحضرتة
الشريفة دين الله ودعوة الله على نحو ما هو مفصل في البعوث
والوفود والرسائل والسرايا والغزوات والعمال والمعلمين (٢٩) .
والرسول ﷺ يحدد لنا الغاية من الجهاد في سبيل الله
فيقول : « انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان
بى وتصديق برسلى أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو
أدخله الجنة ، ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية

(٢٩) يراجع كتابنا : الجهاد في الإسلام منهج وتطبيق .

ولوددت أنى أقتل فى سبيل الله ، ثم أحيأ ثم أقتل ، ثم أحيأ ثم أقتل . » .

(رواه البخارى والنسائى وابن ماجه)

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« إن من جاهد يبتغى عرض الدنيا فلا أجر له » .

(رواه أبو داود وأحمد)

« من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » .

(رواه البخارى وابن ماجه)

« إن النار أول ما تسعر بالعالم والمنفق والمقتول فى الجهاد

إن فعلوا ذلك ليقال » .

(من حديث عن مسلم رواه الترمذى)

فالعمل على تبليغ الدعوة لآبد فيه من الإخلاص المطلق
لوجه الله الكريم ، ونشهد أن الصحابة الأجلاء قد رضى الله
عنهم بإخلاصهم فى جهادهم لتكون كلمة الله هى العليا وقد
حقق الله لهم الغاية فأرسلوا خيل الله عبر البحار والديار حتى
كانت كلمة الله على فوق الأرض كلها .

توريث هذه الوظيفة ؟

تكاليف تبليغ الدعوة على قدر موضوعها ومحتواها ،
والدعوة الإسلامية تحمل للبشرية جمعاء الحقيقة العليا

والغاية الرئيسية لوظيفة الإنسان على وجه هذه البسيطة
مادام هناك بشر يحيا فوق ظهرها .

فهي رسالة عالمية بالموضوع .

وهي رسالة عالمية بالغاية .

والتكليف بتبليغها يأخذ هذه الصفة : فهو تبليغ عالمي ولذلك
ورث الله هذه الأمة مسئولية التبليغ كما ورثها النبي ﷺ من
بعده كذلك مسئولية التبليغ .

(١) يقول الله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ
وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ
الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾

(فاطر ٣٢)

يقول ابن كثير :

جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من
الكتب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هذه الأمة ثم قسمهم
إلى ثلاثة أنواع فقال :

— فمنهم ظالم لنفسه : وهو المفرط في فعل بعض الواجبات .

— ومنهم مقتصد : وهو المؤدى الواجبات .

— ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله : وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات (٣٠) .

وهذا التنويع للأمة الإسلامية التي أخرجت لتكون خير أمة أخرجت للناس جاء بعد حقيقة ثابتة تتعلق بقيمة الكتاب الذي ورثه الله تعالى لهذه الأمة في قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ۝٣١﴾

(فاطر ٣١)

فدلائل الحق على هذا الكتاب واضحة يعرفها أهل الكتاب كما يعرفون أبناءهم ومن دلائل أنه الحق تصديقه لما بين يديه من الكتب السابقة وهيمنته عليها ، وقد نوهت بذلك جميع الرسائل السماوية ، غير أن هذا الكتاب لن ينقطع ذكره ، ولن تتوقف شريعته مادام الكون موجوداً فقد ورث الله هذا الكتاب للذين اصطفاهم وهم أمة سيدنا محمد ﷺ الممتدة إلى يوم القيامة .

والواقع الذي عاشته الدعوة طوال القرون الماضية يشهد بصحة هذا التقسيم . ظالم لنفسه ، ومقتصد ، وسابق بالخيرات بإذن الله .

(ب) والنبي ﷺ يكلف هذه الأمة بالتبليغ عنه كل حسب

(٣٠) ابن كثير ج ٢ ص ٥٥٤ .

طاقته وقدرته ومعرفته ، فالكل مسئول عن تبليغ الرسالة حسب امكاناته ، وقدراته ، ومسئوليته وما تحت يديه من سلطان ، أو مال ، أو جاه ، أو حيلة صادقة ، يقول النبي ﷺ : « بلغوا عن الله فمن بلغته آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله » (٣١) .

« بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

(رواه البخارى والترمذى وأحمد)

والمراد من التحديث عن بني إسرائيل رواية تاريخ بني إسرائيل لا أن نأخذ منهم أحاديث عن رسول الله ﷺ ، قال الشيخ المناوى : حدثوا عن بني إسرائيل بما بلغكم عنهم مما وقع لهم من الأعاجيب ولا ضيق عليكم في التحديث به إلا أن يعلم أنه كذب » (٣٢) .

« من أشد أمتى لى حباً من يكونون بعدى يود أحدهم لو رآنى بأهله وماله » .

(رواه مسلم)

ومعنى الحديث أن أناسا من أتباع سيدنا رسول الله ﷺ يحبونه فيؤدون رسالته وهم يتمنون أن لو جاهدوا معه بأموالهم وأنفسهم .

(٣١) راجع تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٢٦ .

(٣٢) شرح الجامع الصغير للعلامة المناوى جـ ١ ص ٤٣٥ .

ولقد انتشرت كتائب الجهاد عصر النبي ﷺ وساحت
سفراؤه في كل صوب وحذب ، وجاءته الوفود من كل صقع
وجهة فبلغ الرسالة شرقاً وغرباً ، وجنوباً وشمالاً وأوصلها
إلى الفارسيين ، والرومانيين ، والمصريين والأحباش ،
والشام ، والأحرار ، والعبيد ، والسادة ، والسوقة ، والملوك ،
والأمراء ، والعامّة ، والسابلة ، والأغنياء ، والفقراء ،
واليهود ، والنصارى ، والمجوس وغيرهم ثم ورثناها لمن شاء
أن يحظى بالمعية في العمل والجهاد والشفاعة يوم القيامة .

ب - بناء الدولة الإسلامية

كيف تقام الدول : ؟

نحن نشاهد في العصر الحديث كيف تقام الدول ...
والوضع الحديث هو نفسه الوضع القديم باختلاف في
الوسائل حسب ظروف كل عصر ، لكن مضمون ومحتوى
كيفية إقامة الدول في العصر الحاضر هو كیفيتها في العصر
القديم :

الهجرة الجماعية .

أو الثورة العسكرية .

أو وراثة الملك .

يقول الكاتبون في تاريخ العصور الوسطى :

وبتولى الإمبراطور ديكْيوس Decius (٢٤٩ - ٢٥١)
منصب الإمبراطور بدأت سلسلة متصلة الحلقات من الأباطرة
العسكريين الذين أخذوا يتباعدون عما تبقى من مظاهر الحكم
الجمهوري ، حتى جعلوا من الجمهورية نظاماً استبدادياً
يعتمد على الجيش في تنفيذ مشيئة الإمبراطور والضغط على
أهالي الإمبراطورية (٣٣) .

ولهذه العلة نجد دقلديانوس (٢٧٤ - ٣٠٥) قد استخدم

(٣٣) أوديا القرون الوسطى ج- ١ ص ١٦ د . سعيد عاشور .

في الجيش نوعاً خاصاً من العساكر يرجع أصلهم إلى أكثر شعوب الإمبراطورية تخلفاً وبخاصة الجرمان والبرابرة المرتزقة الذين اعتمد عليهم في حماية الإمبراطورية. (٣٤)

ولما تنحى دقلديانوس عن الحكم لكبر سنه عام ٣٠٥ م اشتعلت الحرب الأهلية من أجل السيطرة على كرسى الإمبراطورية وقد استمرت هذه الحرب سبع عشرة سنة ، ولم يتم توحيد الإمبراطورية تحت عرش قسطنطين إلا عام ٣٢٣ م. (٣٥)

فالأسلوب العسكرى كان واحداً من عوامل قيام الدولة في القديم ، كما كان عامل الوراثة موجوداً بصورة أوضح في الدولة الساسانية ، بل إن شراهة الحكم جعلت الولد يقتل والده كما قتل شيرنويه والده كسرى ابرويزبن هرمز .

وهذه الأساليب كلها ديكتاتورية تلغى إرادة الشعوب وحرية الأفراد وتمتص ثروات الأقاليم وعرق العاملين دون مقابل أو رغبة من الرعية ، أو إحساس ببديل في المستقبل أو وجود قوة تجمع بين شتات الناس في هذه الدول .

والدولة الإسلامية وحدها دون سواها إلى اليوم في عرض التاريخ وطوله القديم والحديث هي الدولة التي قامت برغبة

(٣٤) أوروبا القرون الوسطى جـ ١ ص ٢٥ د . سعيد عاشور .

(٣٥) نفس المرجع السابق ص ٢٦ .

كل واحد فيها وبفرحة كل قوم انتسبوا إليها فهذا هو حويطب
ابن عبد العزى يقول لمكرز بن حفص ما رأيت قوماً قط أشد
حباً لمن دخل معهم من أصحاب محمد لمحمد ولبعضهم
لبعض. (٣٦)

وقال عروة بن مسعود يوم الحديبية قد وفدت على كسرى
وهرقل والنجاشى وانى والله ما رأيت ملكاً قط أطوع فيمن هو
بين ظهرانيه من محمد فى أصحابه. (٣٧)

والصحابى الشهيد خبيب بن عدى عندما احتالت قريش
بقرصنتها على أسرته لقتله ثأراً لمن مات منهم يوم بدر ، عندما
أرادوا قتله مصلوباً قالوا له :

أفتحب أن محمداً فى مكانك وأنت جالس فى بيتك ؟ فقال :
والله ما أحب أن يشاك محمد شوكه وإنى جالس فى بيتى ،
فجعلوا يقولون : يا خبيب أرجع .. وإلا قتلناك ؟ قال : والله
لا أرجع . فأحضروا أبناء من قتل يوم بدر وكانوا أربعين
غلاماً فطعنوه جميعاً كل برمخ (٣٨) .

وهند بنت عتبة تقول : والله يا رسول الله ما كان على ظهر
الأرض أهل خباء أحب إلى أن يذلوا من أهل خبائك ثم

(٣٦) الامتاع جـ ١ ص ٢٩٤ .

(٣٧) الامتاع جـ ١ ص ٢٨٧ .

(٣٨) الامتاع بتصرف جـ ١ ص ١٧٧ .

ما أصبح اليوم أهل خباء أحب إلى أن يعزوا من أهل خبائك .
وعندما أشاع ضعاف الأعصاب عند تقسيم الغنائم التي
غنمها المسلمون من هوان أن المهاجرين أخذوا نصيب الأسد
من الغنائم ، كانت فتنة أظهر الله من خلالها التفاف الأنصار
وجدانيا بالنبى ﷺ . فلما خطب فيهم وطلب رأيهم قالوا :
رضينا برسول الله قسما ، وحظا (٣٩) .
فهذه الالتفاتة القلبية تجاه النبى ﷺ فريدة في واقع بناء
الدولة ليس لها ند ولا شبيه ولا نظير في بناء دولة أخرى .

الفكرة والتنفيذ :

ولقد كانت فكرة الدولة أساسية عند النبى ﷺ منذ
العهد المكي ، لأنه أعلن عالمية الدين مراراً :

﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾

(الأعراف ١٥٨)

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(سبأ ٢٨)

(٣٩) السيرة لابن هشام .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠٧﴾

(الأنبياء ١٠٧)

«وفي مناقشة مع كبار قريش أول سنى البعثة قال النبي ﷺ : رأيتم إن أعطيتكم هذه هل أنتم معطى كلمة ، إن أنتم تكلمتم بها ملكتم بها العرب ودانت لكم بها العجم » (٤٠) .

وإرسال المهاجرين الأول إلى الحبشة كان بدافع عالمية الدعوة موضوعياً ، وعالميتها دولة ، وثقة في أن ملك الحبشة لديه من علم الكتاب ما يتساوى مع هذا الدافع ، وكانت النتيجة العملية التي احتفظ بها التاريخ أن النجاشي قال لو قد قريش : « لو أعطيتمونى دبرا من ذهب ما سلمتهم اليكما ، ثم أمر فردت عليهما هداياهما ورجعا بشرخية » (٤١) .

ومن لوازم الدولة تحديد سلطة التشريع وقد حرص النبي ﷺ على توضيح هذه السلطة في نفوس المؤمنين كما بدأ غرس الجذور الأساسية لخطة التشريع التي تربو على ذمة سياسة الاستطراق العرضى حسب الحاجة والتوجيه والتربية .

(٤٠) الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٢٠٢ .

(٤١) الامتاع جـ ١ ص ٢١ .

ففيما يتعلق بالسلطة التشريعية فقد حددها الله سبحانه وتعالى في السور المكية :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَلًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ ٥٩

(يونس ٥٩)

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ ١١٦

(النحل ١١٦)

﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴾ ٣٩

(النحل ٣٩)

﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ٤٤

(النحل ٤٤)

فالسلطة التشريعية هي الله والوحي إلى رسول الله ﷺ .
كذلك شرعت أحكام في العهد المكي كأساس لخطة ستتكمّل
حسب منهجية بناء الدولة .

ومن الأحكام التى شرعت :
الأخلاق ، وتحريم الفواحش ، وتحريم القتل ، وتحريم
أكل مال اليتيم ، والتحضير لتحريم الربا ، والأمر بإخراج
الزكاة والعدل ، والإحسان ، والوفاء « بالعهد » (٤٢) :
فتهيأت الجماعة الإسلامية بهذا لتكوين دولة عندما يحين
وقت إعلانها .

وبناء الدولة شئ وفكرتها شئ آخر ، فالفكرة موجودة لكن
الأهم من الفكرة هو إبرازها فى إطار حركى عملى والسياسة
الإسلامية فى تنفيذ البناء وضعت هذه الخطة فى العهد المكي
لتنمو الدولة على نمط القوانين الطبيعية ، لا تتقدم خطوة على
غير موضعها ، ولا تسرع خطوة عن زمنها ، ولا تولد خطوة
بدون أصرة بسابقتها وأن تكون مهياة لما سيأتى من بعدها .
فالدور المكي كان مهمته وضع أسس تربو رويداً رويداً
حتى تقوم الدولة دون مضاعفات وكل أساس فيها يورق
ويثمر .

وكان من أخريات العهد المكي معاهدات العقبة وهى
معاهدات ذات صفات دولية :
الأولى : كانت لعرض فكرة الدعوة وأهدافها دون مراسيم
كتابية .

(٤٢) راجع كتابنا : الدعوة الإسلامية فى عهدها المكي ص ٥٩٤ وما بعدها
(دار القلم) .

الثانية : كانت بيعة على المبادئ والأخلاق والتعاليم .
الثالثة : كانت بيعة عسكرية يوم تقوم الدولة وتنقل
الدعوة إلى المدينة المنورة ، يلتزم الجميع بحمايتها والدفاع
عنها .

مكونات الدولة :

ولما انتقلت الدعوة إلى المدينة المنورة ولدت الدولة ميلاداً
واقعياً حيث :

« أ » يوجد لها دستور وسلطة تشريعية ورئيس للدولة .
فقد ضيع الإسلام على أبي بن سلول ملك يثرب بعد أن
صنعوا له تاج الملك ، وحلت النبوة الكريمة في الرياسة .
« ب » رعية لها أصرة واحدة هي الإيمان بالله ورسوله ﷺ
وهي أصرة ذابت فيها جميع العلاقات ، واتحدت بها جميع
القلوب ، وارتبطت بها جميع الأنشطة .

« جـ » لهذه الجماعة هدف واحد محدد هو : إعلاء كلمة
الله على وجه الأرض كلها وقد عاهدوا على ذلك وباعوا أنفسهم
من أجل تحقيق هذه الغاية ، ليس دون ذلك ما يرغب أو
يعوق .

« د » لهذه الجماعة تشريع له خصائص تنسجم مع فطرة
كل واحد يكون عضواً في رعية هذه الدولة .

« هـ » جيش لا يغيب منه واحد إذا نودي « يا خيل الله اركبى » .

« و » نظام اقتصادى خاص : الغنى فيه كريم ، والقوى فيه عادل والضعيف فيه لا يحرم ، والعرض ، والمال والنفس كلها محترمة قيمها ولكل واحد الحق فى الدفاع عنها .

« ز » نظام اجتماعى ،

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات ١٠)

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات ١٣)

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (التوبة ٧١)

« والمسلم أخو المسلم ، والمسلمون إخوة »

« والمسلمون يد واحدة على من سواهم يتكافتون دماءهم يرد عليهم أقصاهم » . (٤٣) ... الخ .

« ح » وهى دولة ذات سيادة لا تمس ، ولا يمس واحد من رعيته .

— وقد قامت الدولة الإسلامية بتأديب بنى قينقاع لاعتدائهم على عرض امرأة مسلمة ، كما جردت حملة عسكرية لمعاقبة قرية مؤتة لأنهم قتلوا واحداً من المسلمين هو الحارث بن عمير الأزدى .

— كذلك أدبت الدولة الإسلامية دولة الرومان فى غزوة تبوك .

(٤٣) الامتاع جـ ١ ص ٢٨٦ / ٢٨٧ .

— وأخضعت لها جميع الأطراف العربية والنصرانية من جنوب الجزيرة وشرقها وشمالها على حدود الدولة الفارسية والرومانية .

— وكان صلى الله عليه وسلم حريصاً على أن يجعل له نائباً على الدولة أثناء سفره^(٤٤) .

الاعتراف بالدولة الإسلامية :

وهذه الدولة الإسلامية ليست دولة نكرة أو مجهولة أو تجاهلها ملوك عصرها بل هي دولة معترف بها من جميع الأطراف على اختلاف مللهم وجنسياتهم :

« أ » لقد اعترف بها اليهود المجاورون لها في المدينة وهم : بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة ، وكان اعترافهم في وثيقة سياسية من الدرجة الأولى .

« ب » كذلك اعترفت قريش في معاهدة الصلح التي وقعها سهيل بن عمرو في أيام الحديبية .

« جـ » واعترف هرقل عظيم الروم وقال لأبى سفيان الذى أدار معه الحوار التاريخي المشهور في البخارى : « فلو أنى أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه^(٤٥) ..

(٤٤) راجع الامتاع جـ ١ ص ٥٣/٥٤ ، ١١٣/١٠٥ ، ١٩٣/١٧٩ ، ٢٤١/٢١٦ ، ٤٤٩/٣١٠ .

(٤٥) البخارى باب بدء الوحى جـ ١ ص ٦ .

وساعتها شهد أبو سفيان بهذا الإعراف وقال : فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله على الإسلام . (٤٦)
« د » واعترف النجاشي وقال : « لو كنت أستطيع أن أتية لأتيته ، وكتب إلى رسول الله ﷺ بإجابته وتصديقه وإسلامه » . (٤٧)

« هـ » وتضمنت المواثيق والمعاهدات مع الأطراف الخاضعة للدولة هذا المعنى ومثاله ما كتب ليوحنا بن روبة وفيه : فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه وأنه طيب لمن أخذه من الناس .
ومثاله فيما كتب لثقيف : « أن هذا أمر النبي محمد رسول الله ﷺ فلا يتعداه أحد فيظلم أحداً أفيظلم نفسه فيما أمر به رسول الله ﷺ » . (٤٨)

ممارسة السيادة :

وقد مارست الدولة سيادتها فأرسلت عمالا على الأقاليم :
* فأرسل النبي ﷺ فروة بن مسيك بن الحارث على مراد ، وزبيد ومذحج .
* وأرسل إلى اليمن صحابين جليلين كل في منطقة وهما :

(٤٦) البخاري باب بدء الوحي جـ ١ ص ٦ .

(٤٧) الطبقات لابن سعد جـ ١ ص ٢٥٨ .

(٤٨) الامتاع جـ ١ ص ٤٩٣ .

سيدنا على بن أبى طالب .. وسيدنا معاذ بن جبل ، ففى ابن
ماجة والإمام أحمد عن على قال : بعثنى رسول الله ﷺ إلى
اليمن ، فقلت يا رسول الله : تبعثنى إلى قوم أسن منى وأنا
حدث لا أبصر القضاء ، فوضع يده على صدرى وقال : اللهم
ثبت لسانه ، واهد قلبه ، يا على إذا جاءك الخصمان
فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر ما سمعت من الأول
فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك الحق ، فما اختلف على على قضاء
بعد .

وحديث معاذ مشهور : « بم تقضى إن عرض لك قضاء ؟
قال : بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله ،
قال : فإن لم تجد ؟ قال : اجتهد رأى ولا أوفضرب رسول
الله ﷺ فى صدره وقال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله
إلى ما يرضى الله ورسوله » .

كذلك مارست الدولة سيادتها داخلياً فأقامت الحد على
الزانى وقطعت يد السارق ، ودفعت الدية لمن قتل خطأ ووزعت
الأنفال والفيء حسب جدول التوزيع المشروع .. الخ .
كذلك أدبت الدولة الإسلامية كل من اعتدى على كرامة
أبنائها أو على دبلوماسى من سفراء رسول الله ﷺ . فقد سجل
التاريخ عدة حوادث تدور حول ممارسة الدولة لسيادتها فى
هذا المضمار منها .

أن النبى ﷺ بعث بسرية إلى حمص خلف وادى القرى

بقيادة زيد بن حارثة لأن الهنيد بن عارض في جمع من جذام قطعوا الطريق على سيدنا دحية الكلبي وهو أديب، من سفارته عند قيصر الروم فنهبوا ما كان معه من هدايا يحملها السفراء عادة عند عودتهم ودخل المدينة بسمل ثوب ، وسارت السرية وقوامها خمسمائة فارس ومعهم دحية الكلبي فدهموا مع الصبح. محلة الهنيد فقتلوه وقتلوا ولديه معه واستاقوا ألف بعير وخمسة آلاف شاة .. وكان قوم من بني الضبيب قد أسلموا وقرأوا القرآن فقدموا على النبي ﷺ بزعامة زيد بن رفاعة الجزامي وعرضوا أن يأخذ زيد بن حارثة ما كان القوم قد نهبوه وأن يرد إلى قومهم المال والولد والنساء فقبل النبي ﷺ منهم ذلك وأرسل على بن أبي طالب لينفذ أمر النبي ﷺ .

كما أرسل النبي ﷺ زيد بن حارثة إلى بني فزارة-ضاحية من ضواحي وادي القرى لأنهم خرجوا على زيد وهو في طريقه إلى الشام بتجارة لأصحاب النبي ﷺ فأخذوا التجارة وضربوه هو ومن معه حتى ظنوا أنهم قتلوا فتحامل زيد حتى رجع إلى المدينة وأخبر النبي ﷺ بالذي حدث فجهز رسول الله ﷺ سرية بقيادته إلى هذا النفر فأدبهم وضربهم وقاتلهم حتى نصرهم الله عليهم .

وأرسل النبي ﷺ كرز بن جابر الفهري إلى نفر من عرينة قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا ثم استوبأوا المدينة فأمر

بهم رسول الله ﷺ إلى لقاحه فظلوا بها حتى سمّنوا وكانوا قد استأننوه ﷺ أن يشربوا من البانها فأذن لهم ثم غدروا فاستاقوا اللقاح فأدركهم يسار مولى رسول الله ﷺ ومعه ثلة من الصحابة فقاتلهم لكنهم غلبوه فأخذوه فقطعوا يده ورجله وغرزوا الشوك في لسانه وعينه حتى مات ، فانطلق الخبر إلى النبي ﷺ فقد حمله قوم من بنى عمرو إلى المدينة فبعث رسول الله ﷺ سرية كرز بن جابر الفهري إلى ذلك النفر فأدركهم وأسرهم جميعاً حتى قدم بهم المدينة المنورة فنفذ فيهم رسول الله ﷺ حكم الحراية فقطعت أيديهم وأرجلهم وصلبوا تنفيذاً للآية الكريمة :

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(المائدة ٣٣)

وهذه السيادة للدولة الإسلامية كانت محل توقير من الخصوم ، فعندما تحايلت جماعة من قريش على إفساد صلح الحديبية لرعونتهم ودرسوا لحلفائهم من بكر ليغيروا على حلفاء النبي ﷺ في خزاعة أدرك أبو سفيان ، - وكان يومها شيخ قريش - أنهم قد انتهكوا حرمة سيادة الدولة الإسلامية فقال :

هذا أمر لابد له من أن يصلح ، فوافقت قريش على أن يسافر أبو سفيان إلى المدينة ليطلب تجديد العهد والزيادة في الهدنة .. ولكنه فشل وكان فتح مكة كمثال على ممارسة الدولة لسيادتها ، وكمثال على قيمة هذه السيادة في نظر الخصوم . وكان النبي ﷺ قد أرسل بكتاب إلى رعية السحيمي فلما وصله الكتاب رقع به دلوه ، وهذه إساءة دبلوماسية ضد سيادة الدولة فلم يسكت عنها رسول الله ﷺ فأرسل إليه سرية فهرب عرياناً إلى ابنته المتزوجة في ديار بني هلال وكانوا جميعاً مسلمين وقد أسلمت معم فغطته بثوب وحمله زوجها على بعير وذهب به إلى المدينة المنورة ليعتذر وليرد على النبي ﷺ أهله وماله ، فلما كان في المسجد أخذ النبي ﷺ بعضده ورفع ثم قال : أيها الناس هذا رعية السحيمي الذي كتبت إليه فأخذ كتابي فرقع بها دلوه .. فأسلم رعية^(٤٩) .

ومجال 'ممارسة سيادة الدولة الإسلامية واسع فسيح سجله التاريخ في عديد من الأحداث الخارجية والداخلية بصورة تؤكد أن قيام الدولة الإسلامية وتوقع الدول والشعوب الأخرى لقيمتها كان حدثاً يتيماً في التاريخ السياسي القديم ، الذي لم يجد له مثيلاً في مضمون السيادة وفي مستواها والاعتراف بها والتقدير لمكانتها .. !!

(٤٩) الامتاع جـ ١ ص ٤٤١ / ٤٤٢ .

الواقع الفعلى والتصور المستقبلى :

فالدولة الإسلامية إذن واقع حضارى :
إنها واقع حضارى بالفكرة والنصوص المعصومة ، والعمل
الدعوى الرتيب المنظم .
وواقع حضارى بالمعاهدات والمواثيق ، والوفود والسفراء
والبعث .
وواقع حضارى بمدنها وعلمائها ، وجيوشها ونظامها
الاجتماعى والاقتصادى .
وواقع حضارى بممارسة سيادتها على أقاليمها وتنفيذ
قوانينها .
وواقع حضارى باعتراف كل الخصوم بمبادئها وتعاليمها
وسيادتها على رعيته وأملاكها .
بل إن اتساعها كان ملاحظاً فى التصور النبوى الذى أخبر
به المصطفى ﷺ فقد كانت السواعد فى يوم الخندق تحفره ،
وتضيق حلقات الرجاء فى نصر ما إلا إذا شاء الله ، وبلغت
القلوب الحناجر يومها وفى هذه اللحظات العسيرة يأخذ
النبي ﷺ المعول من سلمان الفارسى ويضرب الكدية فيخرج
منها برقة تنير اليمن كالمصباح فى جوف ليل مظلم فكبر
النبي ﷺ وقال :
« أعطيت مفاتيح اليمن ، إنى لأبصر أبواب صنعاء من
مكاني الساعة »

ثم ضرب الثانية : فخرج نور من قبل الروم فكبر رسول الله ﷺ وقال : « أعطيت مفاتيح الشام ، والله إنى لأبصر قصورها . »

ثم ضرب الثالثة : وبرق برق فكبر وقال : أعطيت مفاتيح فارس ، والله إنى لأبصر قصور الحيرة ومدائن كسرى (٥٠) . ولم تكن مرة وانتهت بل كررها النبي ﷺ مع عدى بن حاتم عندما وفد على رسول الله ﷺ ، فقد روى أصحاب السير أن النبي ﷺ قال لعدى :

لعلك يا عدى إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم أتعرف الحيرة ؟ قال : « لم أرها وقد سمعت بها » ، قال : « فوالله ليتمن هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة وتطوف بالبيت من غير جوار أحد . ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم ، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم » .

قال عدى : قد رأيت المرأة تخرج من القادسية في بعيرها حتى تحج البيت ، وأيم الله ليكونن الثانية (٥١) . فالنصوص تقدم لعقل المنصف وثائق على وضوح مدلول فكرة الدولة الإسلامية في التصور بل ومدى اتساعها حتى بعد

(٥٠) الطيبة جـ ٢ ص ٣١٤ .

(٥١) الطيبة جـ ٢ ص ٢٢٦ .

أن يلحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى . وفي السنة الإسلامية ما هو أوسع من ذلك فقد روى البخارى عن أم حرام بنت ملحان قال :

— «أول جيش من أمتى يركبون البحر قد أوجبوا ، وأول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر مغفور لهم .
— لتفتحن القسطنطينية ، ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش»

(رواه أحمد والحاكم بإسناد صحيح)
— «لعلكم ستفتحون بعدى مدائن ، فإذا كان ذلك فردوا السلام ، واهدوا الأعمى وأعينوا المظلوم» .
(رواه الطبرانى عن وحشى بإسناد حسن)

— شهادة التاريخ وبساطة النظم :

ولقد شهد التاريخ بصحة كل هذه التصورات ففتحت القادسية والمدائن ، كما فتحت القسطنطينية وقبرى .. الخ .
والسؤال الآن : هل يمكن لعاقل أن يدعى أن النبي ﷺ لم يكن لديه تصور عن فكرة الدولة فضلاً عن رياستها ؟
صحيح أن الدولة الإسلامية سهلة النظام لأنها تفضل أن يصل الحق إلى أهله في صورة مبسطة وميسرة ، فقد بعثت أمة الإسلام ميسرة ومبشرة لا منفرة فالغايات عندها هي الأسمى والوسائل إليها بسيطة .. ومفهوم الدولة في نظر الإسلام هو

قيم الحكم ونظام الإدارة المريحة وليس مفهوم الدولة هو
البذخ والإسراف والكبرياء والعنجهية وكثرة التعقيدات .
ومعروف أن كل نظام للحكم له خاصية وطبيعة ، وطبيعة
النظام الإسلامى أنه ميسر وسهل وبسيط ، لا عقد فيه
ولا تكبر ، فهل يقاس النظام الإسلامى برحمته وإحسانه
وشفقته ومودته بعجرفة نظام أرضى فاشل ؟

— الدولة الإسلامية والمخططات المعادية :

الدولة الإسلامية أقامت نفسها فى ظل ثلاثة وعشرين
عاماً ، وأجهزت على قوى اليهود والنصرانية وفارس والروم ،
لعسكريتها الكادة ، وسماحة نظامها الإدارى السهل البسيط
وربانيته فى السلوك والعلاقات .

فالذين يروجون لفكرة أن لا دولة فى الإسلام هل هم قادرون
على تنفيذ عملية واحدة فقط من العمليات العليا التى حققها
سيدنا رسول الله ﷺ

وهى مواجهة دويلة إسرائيل وهى تركل الناس فى بيروت
بأحذية جلاديتها على مشهد من العالم كله فى أفلام التليفزيون
والتي تنشرها وكالات الأنباء العالمية ؟ والذين يريدون أن
يخدموا المخططات التى تهدف إلى تجويف الإسلام من
مضمونه السياسى وتحويله إلى كهنوت كنسى فارغ من
مقدساته ومقوماته هل هم فى تربيتهم وأسرهم على مستوى
التصور لفكرة الدولة ؟ كما اختص محمد ﷺ بيئة خاصة

رفيعة جمع الله فيها لرياسة قريش ، رياسة سدانة الكعبة
وشرف الرفاة والسقاية والقضاء .

اي الناس اولى بالتصور السليم لمعنى الدولة :
— رجل أرومته من الذروة في الشرف والرياسة طوال الدهر
وينتهى نسبه إلى الأنبياء ؟

— أم رجل ينحدر من جرثومة واطئة أقصى ما يمكن أن
نتصوره أن يصاهر خفيراً في قرية أو يعمل في شغل ما
ليرتزق ؟

هل تتساوى الملكات النفسية بين رجل أمه وأبوه من ذروة
النسب، بشهادة الله والتاريخ وإجماع الأمة ، ورجل أمه من
السوقة لا تعرف لها قراراً ووالده يتكفف الناس هائماً على
وجهه ترده اللقمة واللقمتان ؟؟

ولقد حذرنا النبي ﷺ من خضراء الدمن ، فقال : « إن
العرق دساس وخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا
فقهوا ؟ »

— واخيراً :

فإن سيدنا محمداً ﷺ رئيس أول دولة قامت بحب
صادق من كل واحد من رعيته في قيامها . وجاهد كل فرد
فيها في سبيل بنائها بالمال والنفس لغاية عليا هي : أن تكون
كلمة الله هي العليا وحدها . وهو ﷺ بما خلقه الله من أصل له

السؤدد والشرف والطهارة والرياسة أولى من الملوك والرؤساء
جميعاً بأن يبنى الدولة التى تصل الرحم وتكسب المعدوم .
وتعين على نوائب الدهر ، ولا يضيع فيها يتيم ولا معدوم
ولا يتكبر فيها غنى أو قوى أو عالم .

ولا يبطش فيها رئيس ولا وزير ، ولا يذل فيها ضعيف غير
مأثوم .. ؟؟

بل الناس فيها سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على
عجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح .

ولقد شهد التاريخ وقائع هذه الدولة واستقر فى تاريخ
الحضارة الإنسانية ميزان هذه الدولة وقيمتها وأهميتها فى
الأمن والرخاء وكرامة الإنسان .

فليوفر السياسيون على أنفسهم محاربة دولة الإسلام فقد
وعد الله بحمايتها وحفظها وتوعد كل من يشاقق الرسول
بالخسران والحسرة :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال ٣٦)

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ
يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾
(الأنفال ٣٨)

— فهل سيعقلون ؟

— لا علينا إن لم يعقلوها : فإن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

جـ - تحويل الخصوم إلى اتباع مجاهدين :

١ - سهيل بن عمرو :-

يعرف تاريخ الدعوة موقف سهيل بن عمرو فهو ذلكم الخطيب المفوه المصقع الذى كان يؤذى المسلمين بلسانه إلى درجة أنه لما وقع أسيراً فى غزوة بدر اقترح سيدنا عمر بن الخطاب على مولانا رسول الله ﷺ أن يقطع قواطعه حتى يدلع لسانه فلا يقوم خطيباً ضد الإسلام .

يقول المقرئ :

ولما أسر سهيل بن عمرو ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « يا رسول الله انزع ثنيته يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً أبداً » ..

ومعنى « يدلع لسانه » يسقط من بين أسنانه (٥٢) .
فهل كان من صالح الدعوة قبول هذا الاقتراح .. ؟ ؟
فننظر .

ويعرف التاريخ الإسلامى كذلك أن سهيل بن عمرو كان

(٥٢) امتاع الاسماع جـ ١ ص ٩٦ .

من المتشددين في اختيار الألفاظ التي كانت تكتب بها معاهدة صلح الحديبية وأنه ضرب ولده : أبا جندل عندما جاء يرسف في الأغلال وتوقف عن المضي في إبرام المعاهدة إن لم يرجع المسلمون ولده المسلم إلى دياجير دار سهيل ، وكان مشهداً تتقطع له الأفئدة وبكت له عيون المسلمين فلقد كان امتحاناً قاسياً على نفوسهم وقلوبهم .

فهل كان من صالح الدعوة ألا يتم صلح الحديبية ؟

— وسهيل بن عمرو هذا الذي كان يتشدد في انتخاب ألفاظ المعاهدة كما ترون هو الذي ساعد في إلغاء هذه المعاهدة عندما ساعد قبيلة بكر حليفة قريش لتعتدى على العزل من النساء والأطفال والرجال من قبيلة خزاعة التي دخلت في حلف مع سيدنا رسول الله ﷺ .. وزجت قريش بسفيرها أبى سفيان ليبقى مفعول المعاهدة سارياً بعد أن شعروا بالجريمة التي ارتكبوها .. ولكن الله كان قد هياً للإسلام مستوى جديراً من النصر فكان فتح مكة ودخل سهيل بن عمرو في دين الله ، فاكتسبت الدعوة بذلك انتصاراً آخر رائعاً وهو أن ينقلب أحد الخصوم الألداء إلى صديق وأخ مجاهد ، وتدور الأيام ويقف سهيل بن عمرو خطيباً لكنه من أجل حماية الإسلام بعد أن لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى ، وفاحت في مكة رائحة الردة وقف سهيل بن عمرو خطيباً يقول فيهم نفس المقالة التي

سمعها المسلمون في المدينة المنورة من رئيس الدولة سيدنا
أبى بكر رضى الله عنه .

يقول المقرئزي : نقلا لموقف سيدنا رسول الله ﷺ تجاه
اقتراح سيدنا عمر بن الخطاب الذى رويناه أنفا : فقال ﷺ
لعله يقوم مقاماً لا تكرهه فقام سهيل بن عمرو حين جاءه نبأ
وفاة النبي ﷺ بخطبة أبى بكر رضى الله عنه بمكة كأنه كان
يسمعها ، فقال عمر رضى الله عنه حين بلغه كلام سهيل :
أشهد أنك رسول الله يريد : قول النبي ﷺ : «لعله يقوم مقاماً
لا تكرهه» (٥٣) .

فأيهما أفضل للدعوة أكان يدلح لسان عمرو بن سهيل يوم
بدر ؟

أم كنا نتركه كامل الأسنان ليكون مفوها يحتاج إليه ليربأ
الصدع ويلم الشعث ويوحد الصف ويدفع نحر الفتنة ؟؟

— وسهيل بن عمرو الذى سعى فى إلغاء صلح الحديبية
وشارك فى حرب ضد الإسلام فانظر إليه يوم حجة الوداع
كيف كان يسوق النوق لينحرها سيدنا رسول الله ﷺ ويلتقط
الشعر الذى كان يحلقه رسول الله ﷺ ثم يجعله على وجهه
وعينييه وسيدنا أبو بكر رضى الله عنه يشهد هذا المنظر الرائع
فى الولاء والانتماء ، ويطوف بذاكرته يوم صلح الحديبية

(٥٣) امتاع الاسماع جـ ١ ص ٩٧ .

وسهيل يتمسك بألفاظ جافة كان يحرص عليها فيتعجب
أبو بكر ويروى للتاريخ هذا الموقف الرائع .
يقول المقرئزي حكاية عن سيدنا أبى بكر رضى الله عنه :
« لقد نظرت إلى سهيل بن عمرو فى حجة الوداع قائماً عند
النحر يقرب إلى رسول الله ﷺ بدنة ، ورسول الله ﷺ ينحرها
بيده ، ودعا الحلاق فحلق رأسه فانظر إلى سهيل يلتقط من
شعره وأراه يضعه على عينيه ، وأذكر إباءه أن يقر يوم
الحديبية بأن يكتب باسم الله الرحمن الرحيم ، وإباءه أن
يكتب : أن محمداً رسول الله فحمدت الله الذى هداه إلى
الإسلام » (٥٤) .

والذى حمده سيدنا أبو بكر رضى الله عنه لسهيل بن عمرو
رضى الله عنهما هو أحد المقاصد العليا للدعوة الإسلامية فى أن
تجعل الخصوم الذين عادوها أتباعاً أحبوا ويؤثرون على
أنفسهم من أجلها .

٢ — صفوان بن أمية :

ويعرف التاريخ كذلك ما فعله أمية بن خلف فى نبي
الإسلام ﷺ وفى أتباعه رضوان الله عليهم ، ومعروف كذلك
ما فعله صفوان .

(٥٤) امتاع الاسماع للمقرئزي ج ١ ص ٢٩٦ .

لقد كان يحرص على قتل النبي ﷺ يوم أحد .
يقول المقرئزي :

.. وجعل رسول الله ﷺ وقد انكشف الناس إلى الجبل وهم لا يلوون عليه ، يقول : إلى يا فلان ، إلى يا فلان ، أنا رسول الله ، فما عرج واحد عليه هذا والنبل يأتيه ﷺ من كل ناحية وهو في وسطها والله يصرفها عنه وعبد الله بن شهاب الزهري يقول : دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا ورسول الله ﷺ إلى جنبه ما معه أحد ، ثم جاوزه عبد الله بن شهاب فلقى صفوان ابن أمية بن خلف فقال له : ترحت ألم يمكنك أن تضرب محمداً فتقطع هذه الشأفة فقد أمكنك الله منه ؟

قال : وهل رأيته ؟ قال : نعم ، إنه إلى جنبك ، قال : والله ما رأيته ، أحلف أنه منا ممنوع خرجنا أربعة تعاهدنا على قتله فلم نخلص إلى ذلك . (٥٥) .

بل إن صفوان بن أمية ليحاول بعد غزوة بدر أن يقتل سيدنا رسول الله ﷺ فيتفق مع عمير بن وهب بن خلف بن وهب الجمحي أن يقتل رسول الله ﷺ على أن يتحمل صفوان ديته ويقوم بشأن عياله ، وجهز صفوان لعمير بغيراً وجهزه تجهيزاً حتى قدم عمير المدينة المنورة ودخل المسجد متقلداً سيفه يريد رسول الله ﷺ فأدخله عمر بن الخطاب رضى الله

(٥٥) امتاع الاسماع جـ ١ ص ١٣٠ .

عنه على النبي ﷺ فقال له ﷺ : ما أقدمك يا عمير ؟ قال :
قدمت في أسير عندكم ، قال : فما بال السيف ؟ قال : قبحها
الله من سيوف ، وهل أغنت من شيء ؟ إنما دنسته حين نزلت
وهو في رقبتي ، فقال النبي ﷺ : أصدق ، ما أقدمك ؟ قال :
ما قدمت إلا في أسيرى .. !! قال ﷺ : فما شرطت لصفوان بن
أمية في الحجر ؟ ففزع عمير فقال : ماذا شرطت له ؟؟ قال :
تحملت له بقتلى على أن يقضى دينك ويعول عيالك والله حائل
بينك وبين ذلك ... قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، وأنت
صادق ، وعاد عمير إلى مكة يدعو الناس إلى الإسلام (٥٦) .
ومع هذا ظل صفوان بن أمية سادراً في كفره وعناده حتى
كان فتح مكة فامتشق حسامه ودرعه وسيفه ورمحه وشن غارة
على سيدنا خالد بن الوليد كان صفوان هو الخاسر فهرب وقد
أهدر دمه فقد استحل حرمة البيت الحرام ، ولم يحترم الحق
الذي تمتلئ به جوانحه ومع ذلك فقد عفا عنه رسول الله ﷺ
وأعطاه الأمان بناء على طلب أمان من الصحابي الجليل عمير
ابن وهب بن خلف الذي كان قد استأجره بعد غزوة بدر ليقتل
رسول الله ﷺ ، ورضى رسول الله ﷺ وأعطاه فرصة للتفكير وخرج
صفوان بن أمية مشركاً مع رسول الله ﷺ في حرب حنين وكان
معه عثمان بن أبي طلحة وقد تعاهدا على قتل رسول الله ﷺ

(٥٦) راجع امتاع الاسماع ج ١ ص ١٠٠ .

إذا رأيا دبرة عليه ولكنهما يمنعان ويدخلان في الإسلام عن طواعية وإرادة مختارة حرة (٥٧) .

— ومثل ذلك عكرمة بن أبى جهل .

— وأم كلثوم وأخوها الوليد بن عقبة بن معيط .

لقد نجحت الدعوة في قلب قلوب هؤلاء من الكفر إلى الإيمان وكأنما الله ادخرهم للدفاع عن الإسلام يوم ردة بعض قبائل العرب فإنهم قد حملوا في نفوسهم حماساً رائعاً ومكتئفاً لحماية الإسلام الذى دخلوا فيه حديثاً عن اقتناع ورضى من كل من يريد أن يعبث به فيقدر ما فى نفوسهم من قوة حماس وحب للإسلام بقدر اندفاعهم الشديد للجهاد في سبيل الدفاع عن بيضة الدين ولوائه .

ونصر آخر يوم القيامة ، فسوف يدخلون الجنة مع رسول الله ﷺ والصحابة فيكونون حجة لرسول الله ﷺ على آبائهم . سوف يطلب منهم آبائهم : أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ..

فيردون عليهم : ألم يأتكم محمد ﷺ فلم تصدقوا ... ؟؟
ياله من نصر رائع في الدنيا :
باتباعهم الدين الذى حاربوه
وبجعلهم حجة على آبائهم يوم القيامة

(٥٧) راجع امتاع الاسماع جـ ١ ص ٤١٠/٤١١ .

وشهادتهم أن محمداً رسول الله ﷺ
قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة .
وجاهد بحق ورحمة وصدق في سبيل الله ؟؟
فهل بعد هذا النصر من نصر ؟؟

المنهجية

بعث النبي ﷺ والجزيرة العربية والجيران من حولها يعيشون في صخب مفرع فيما يتعلق بالاعتقاد ، والسلوك وفي أقل من ربع قرن تحولت وجه الحياة :

أ - فصارت الأمة العربية مسلمة .

ب - وسمعت الدول المجاورة لصوت الرسائل النبوية يدعوها إلى الإسلام .

فهل انتقلت هذه الظروف التي كان يعيشها المجتمع بأساليب خارقة للعادة بمعنى أن معجزات من السماء لوت عناقيد الرجال ، وبدلت محاورات القلوب وجعلتها تدخل في دين الله ؟؟

أو أن الانتقال أخذ أسلوباً منهجياً ؟؟

لا شك أن كل حركة في الدعوة لم تركز بالدرجة الأولى إلى العمل الإغجازي بل إن القرآن الكريم ليرفض استجابة القوم إلى مثل هذا الأسلوب .

لقد قاوموا : وقالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه .. ورفض الله جل جلاله هذا الاقتراح وقال لهم :

﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (غافر ٧٨)

وقال الله لهم

﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ (الإسراء ٥٩)

وقال الله لهم :

﴿ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾
﴿ ١٠٩ ﴾

(الأنعام ١٠٩)

وإذن فأسلوب القسر والإعجاز كمنهج في توصيل الدعوة إلى الناس مرقوض من الله جل في علاه فإن الله يحب أن يأتي الناس إليه طواعية ولو شاء الله ل جعلكم أمة واحدة .

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا ﴾

(يونس ٩٩)

لقد اتخذت الدعوة الإسلامية في انتقال الناس من الظلمات إلى النور عدة مناهج تحترم فيها إمكانات الناس وظروفهم وتحترم طبائع الأشياء ، ونواميس الكون ، وتعمل على أن تظهر طبيعتها وطبيعة العمل فيها : -

أ - فحدد منهج التبليغ . ب - وحدد قنوات الاتصال .

ج - ووضع للعمل مع الجماعة منهجاً خالصاً .

١ - منهج التبليغ

ما الأسلوب الذى استخدمه رسول الله ﷺ فى تبليغ دعوة الله وهو ينقل الدعوة بمنهج عملها مع الجماعة ومنهج التفكير الذى رسمه القرآن الكريم سالفاً ... ؟ مناهج الدعوة فكراً واجتماعياً وهى الطريقة التى سنّها القرآن لتبليغ دعوة الله فما الأسلوب وما نوع الكلمة التى نقل بها الرسول ﷺ مبادئ الإسلام إلى الناس وهو يتخذ مناهج الدعوة طريقاً ؟ إن القرآن الكريم يجيب على هذا التساؤل .

﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ١٢٥

(النحل ١٢٥)

الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هى أحسن هى الأسلوب وهى نوع الكلمة التى بلغ بها رسول الله ﷺ دعوة الله إلى الناس فى جميع مراحلها . وبمنتهى البساطة يدرك الداعية مقدار التوازن بين المناهج السالفة وطريقة استخدامها فى عملية التبليغ بهذا الأسلوب . ففى المناهج وفى أسلوب أو نوع الكلمة المستخدمة فى التبليغ عنصر أساسى جامع وهو الإسلام المطلق والصبر

الطويل حتى يمكن للدعوة أن تبدو على حقيقتها في ثوبها الطبيعي وأهدافها السامية دون تزيين أو انحراف عن جادتها

— والحكمة : التى توصف بها الكلمة التى تستخدم للتعبير عن مبادئ الدعوة هى فى حيز قوله تعالى :

﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ٥٢ ﴾

(الفرقان : ٥٢)

ففى القرآن الكريم كل شفاء وغناء يقول الله تعالى

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٧ ﴾

(الإسراء : ٨٢)

يقول شيخنا العارف بالله الدكتور / عبد الحليم محمود رحمه الله :

... ولكن القرآن لم يكن ليلقى القول على علاته وإنما يأتى بالقضية مبرهنا عليها بالدليل تلو الدليل فيرضى العقل ويطمئن النفس ويقود الضمير إلى الاذعان (٥٨) .

ويقول الإمام الغزالي فى كتابه : « إجام العوام ... » فأدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان .
بل أدلة القرآن كالماء الذى ينتفع به الصبى الرضيع

(٥٨) التفكير الفلسفى ص ٥٨ .

والرجل القوى وسائر الأدلة كالأطعمة ينتفع بها الأقوياء مرة
ويمرضون بها الأخرى ولا ينتفع بها الصبيان أصلاً (٥٩) ..
ففى القرآن الكريم كل كفاية لتوصيل دعوة الله وتحقيق
وحدات المنهج، يقول شيخنا الدكتور عبد الحليم محمود :
إن الرسول ﷺ والصحابة بأجمعهم ماسلكوا فى الحاجة
مسلك المتكلمين فى تقسيماتهم وتدقيقاتهم لا لعجز منهم عن
ذلك فلو علموا أن ذلك نافع لأطنبوا فيه ولخاضوا فى تحرير
الأدلة خوفاً يزيد على خوضهم فى مسائل الفرائض وإذا
عارضوا اليهود والنصارى عارضوهم بكلام الله سبحانه
وتعالى فى أوثق نص من نصوصه المنزلة وهو القرآن (٦٠) .
إن الحكمة هنا هى كما استخدمها رسول الله ﷺ مع
الحصين . لقد كان الحصين رجلاً تعظمه قريش وتجله
فأرسلوه إلى رسول الله ﷺ ليكلمه حتى ينتهى عن دعوته فلما
جاء إلى النبی ﷺ قال «أوسعوا للشيخ ...»
فقال الحصين : «ما هذا الذى بلغنا عنك إنك تشتم آلہتنا
وتذكرها ؟»

فقال رسول الله ﷺ : «يا حصين كم تعبد من إله ؟» قال :
«سبعة فى الأرض وواحد فى السماء». فقال : «فإذا أصابك الضر
لمن تدعو ؟» قال «الذى فى السماء» قال : «فإذا هلك المال من

(٥٩) الجام العوام ص ٢٦٦ من مجموعة القصور الغوالى من رسائل الإمام الغزالى .
(٦٠) التفكير الفلسفى ص ١١٩ .

تدعو؟ قال : الذى فى السماء ، قال: « فيستجب لك وحده وتشرك معه ؟ أسلم تسلم .. » فأسلم فقال رسول الله ﷺ لأصحابه « شيعوه إلى منزله (٦١) ».

والحكمة هى الأسلوب الذى واجه به النبي ﷺ عتبة بن ربيعة لما عرض على رسول الله ﷺ أشياء حتى إذا فرغ منها ما ناقشها رسول الله ﷺ ولا جادله فيها ولكن قال له: « أفرغت يا أبا الوليد ؟ » قال « نعم » قال: « اسمع منى فتلا رسول الله ﷺ ﴿ حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ » فصلت ١ ، ٢ ومضى رسول الله ﷺ يقرأها فلما سمع بها عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمداً عليها ليسمع منه (٦٢) حتى انتهى رسول الله ﷺ وقام عتبة وقد تغيرت معالم وجدانه وتقاسيم وجهه وقال فيه قومه لما رأوه من بعيد « نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به » (٦٣).

(٦١) الحلبية جـ ١ ص ٣١٨ .

(٦٢) السيرة لابن كثير جـ ١ ص ٥٠٤ .

(٦٣) السيرة لابن كثير جـ ١ ص ٥٠٥ ، السيرة لابن هشام جـ ١ ص ٢٩٤ ، ذكرى الخازن جـ ٤ ص ١٢٤ ، والطبرى جـ ١٤ ص ١٩٤ ، وتفسير المراغى جـ ١٤ ص ١٦١ وابن كثير جـ ٢ ص ٥٩٠ ، الألوسى جـ ١٤ ص ٢٥٤ ، وفى غيرها من كتب التفسير معانى للحكمة ولكنى اطلقا من كل عقول لتجميع كل وصف يراد منها حسبما هى طبيعة كلمات القرآن الكريم .

نعم لقد جاءهم بوجه رق للإسلام ولقد قال لهم صراحة :
« والله لقد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط ، والله ما هو
بالشعر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي
خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فو الله ليكونن
لقوله الذى سمعت نبأ فإن تصببه العرب فقد كفيتموه بغيركم
وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد
الناس به (٦٤) .

والحكمة كأسلوب ووصف للكلمة التى تنقل الدعوة هى
أسلوب يؤدى به الداعية رسالته دون فضل يتحدث به أو
شهوة فى شهرة يعرف بها وليس له منة على الدعوة بل الله يمن عليه أن
هداه إلى الإيمان .

إن النظر فى أحوال المخاطبين وظروفهم والقدر الذى ينبغى
أن يستخدمه الداعية كل مرة فى تبليغ رسالته بحيث لا يثقل
ولا يشق بالتكاليف قبل أن تستعد النفوس للتحمل الشامل
للدعوة ، وطريقة المخاطبة والتنويع فى الأسلوب حسب
مقتضيات الأحوال هو الحكمة التى تريدها الدعوة فى العصر
الحديث كبديل للحماس المتزايد والاندفاع الملهب الذى

(٦٤) السيرة لابن كثير ج ١ ص ٥٠٥٦ ، السيرة لابن هشام ج ١ ص ٢٩٤ ، نكر فى
الخان ج ٤ ص ١٢٤ ، والطبرى ج ١٤ ص ١٩٤ ، وتفسير المراهى ج ١٤ ص ١٦١
وابن كثير ج ٢ ص ٥٩٠ ، الألبوسى ج ١٤ ص ٢٥٤ ، وفى غيرها من كتب التفسير معانى
للحكمة ولكنى أطلقها من كل عقول لتجميع كل وصف يرد منها حسبما هى طبيعة كلمات
القرآن الكريم .

يتجاوز حدود الحكمة فيضر الدعوة والداعية على السواء^(٦٥) .

وهى فى أدق موازينها العيش فى الجو القرآنى والهدى النبوى الكريم .

— والموعظة الحسنة : طبيعة الكلمة العاطفية التى تدخل إلى القلوب برفق وأناة وهدوء فتلطف من حرارة الصدر وتلمس المشاعر بلطف وتنعش الوجدان فى تودة وتدفع إلى استشعار روحانية الدعوة فهى ترطيب للفكر النائر وحل لعقد التقاليد الصعبة وإنقاذ من حيرة لا شعورية موهومة وطمأنينة تسكن ثورة الجموح ، وكثيراً ما هديت القلوب الشاردة بالموعظة الحسنة وأنها مع الطبائع الخيرة أفضل من الزجر والتأنيب والتوبيخ والتجريح .

وقد حرص القرآن الكريم كثيراً على الموعظة الحسنة كأسلوب ووصف للكلمة التى يتلفظ بها الداعية .
ومع قسوة العذاب والتنكيل التى شنها أعداء الدعوة فى عهدىها المكى كان القرآن دائماً يحرص على الوصية بالموعظة الحسنة يقول الله تعالى :

﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ

حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (فصلت ٣٤)

(٦٥) راجع فى ظلال القرآن ج ١٤ ص ١١٠ .

فليس للداعية أن يرد بالسيئة إذ لا تستوى آثار السيئات وآثار الحسنات كما لا تستوى كذلك قيمة كل منهما فإن الصبر والتسامح والاستعلاء على رغائب النفوس في مواجهة الشر بمثله قد يرد النفوس الجامحة إلى الهدوء والثقة فتقلب من الخصومة إلى الولاء ومن الجماح إلى اللين وكم تصدق هذه القاعدة فينقلب الهياج إلى وداعة والغضب إلى سكينة والتبجح إلى حياء ؟

إن الكلمة الطيبة تبقى قاعدة وأسلوباً في تبليغ الدعوة ترد بنبرتها الهادئة وبسماتها الحانية غاضباً متبجحاً مفلوت الزمام .

فإن لم ترده هذه الكلمة الطيبة فقد بقى للدعوة أنها كانت ولا تزال تحسب له الخير إنه هو الذى لا يريد لنفسه ذلك . وبالموعظة الحسنة يظهر للدعاة أن هدفهم هو حب الخير للناس بهذا الدين وحماية مستقبلهم فى الدنيا والآخرة من الضنك والضياح ثم يظهر لمعارضى الدعوة أو معارضى الخير لأنفسهم سؤال .

لم لا يرد الدعاة السيئة بمثلها وهم قادرون عليها ؟ إن الذى يمنع الدعاة هو الأسلوب المفروض عليهم ، ادفع بالتى هى أحسن السيئة وتلك الوظيفة تحتاج إلى سماحة تستعلى على دفعات الغيظ وشحنات الغضب وتحتاج إلى قوة توازن بين الدفع بالتى هى أحسن وبين السماحة التى تستعلى على الآلام والغضب والغيظ .

وهى معادلة دقيقة وصعبة جداً ولكنها لازمة في تبليغ الدعوة حتى يستمر الداعية نشيطاً تدفعه الحسنى في المعاملة إلى مزيد من العمل دون حساب لسيئات المناهضين للدعوة .

وفى الإنسان - وخاصة الإنسان العربى - طابع الحياء والشهامة التى تحب أن تعود إلى الحق وتعترف به كفضيلة خلقية لها ، ولهذا أشاد القرآن الكريم بالموعة الحسنة كأسلوب ووصف لتوع الكلمة التى يستخدمها الداعية في تبليغ الدعوة لأنها تتلاءم مع طابع الحياء أو الشهامة التى يتحلّى بها الإنسان غالباً، ولقد كان من نفحاتها إسلام عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب^(٦٦) ، فقد أرجعتهما إلى صوابهما حسنات المسلمين فانقلبت ضراوتهما على الإسلام تحمسا وانتصارا له وفتح الله بهما للمسلمين فتحا كريما .

وما أحوج الدعوة في هذا العصر إلى الموعة الحسنة وخاصة في المجتمعات البدائية التى لا تحتاج في نشر الإسلام إلى أكثر من السلوك الطيب والكلمة الطيبة والمعاملة بالمعروف .

(٦٦) راجع الطيبة جـ ١ ص ٢٢٢ / ٢٢٣ / ٣٦٧ .

وجادلهم بالتى هى أحسن :

لا تحامل على المخالف ولا ترذيل له ولا تقبيح لفكره مادام يريد أن يصل إلى الحق فالمجادلة بالتى هى أحسن صفة الكلمة التى ينبغى أن يستخدمها الداعية مع هذا اللون من الناس ليس هدف الداعية الغلبة ولا المخاصمة ولا الشهرة بالتفلسف ، ولكن هدفه توصيل دعوة الله فإذا احتاج الداعية مع صنف من الناس إلى جدال فليكن الجدل بالتى هى أحسن بالاقناع الموصل إلى الحق فى قالب الكلمة الطيبة بعيداً عن الحماس الشارد عن المحجة البيضاء وكثيراً ما يختلط على النفس البشرية قيمة رأيها وقيمتها عند الناس حتى ليصبح التنازل عن الرأى تنازلاً عن الهوية والكيان .

فحدد القرآن الكريم أسلوب التبليغ مع هذا الصنف « الجدل بالحسنى » فإنه هو الذى يطامن من هذا الكبرياء الحساس ويشعر المجادل بأن ذاته مصونة وقيمته محفوظة وكرامته موقرة وأن ما يقصده الداعية من مجادلته هذه كشف الحقيقة ذاتها والاهتداء إليها حسبة لله لا ابتغاء نصر لرأيه وهزيمة لرأى الآخر (٦٧) .

(٦٧) راجع فى ظلال القرآن ج ١٤ ص ١١٠ .

وبالتى هى أحسن قيد مهم غفل عنه المسلمون فوقعوا في شباك مكيدة كانت مبيتة للأمة الإسلامية تواطأ عليها أعداؤها من خارجها ومن داخلها حتى أضناها الخلاف وضيعها التشديق والجدال (٦٨) .

ثم هو قيد مهم كذلك لأخلاق الداعية الذى أريد له أن يخرج عن إطار المنهج فيستفز حتى ينفد صبره فيفسد منهجه ولكي يطمأن الداعية من حساسيته واندفاعه كان هذا القيد :
بالتى هى أحسن ثم كان ختام الآية الكريمة :
﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل ١٢٥)

فلا ضرورة إذن للجاجة في الجدل « فإنما عليك البلاغ »
والأمر بعد ذلك لله رب العالمين .
هذا هو أسلوب الدعوة ودستورها في التبليغ مادام الأمر في دائرة الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ، فإذا ما تغير الموقف وصار الأمر من جهة الخصوم كلاما بالسلاح كان للدعوة أسلوب ومنهج يتفق مع موقف المعاندين بعد أن أفصحت الدعوة لهم عن سموها وأخلاقها وحنوها عليهم طوال سنين .
وقد ذكر الإمام الغزالي رضى الله عنه في كتابه (القسطاس

(٦٨) التفكير فريضة إسلامية ص ٤٠ / ٤٣ .

المستقيم) : أن المدعو إلى الله تعالى بالحكمة قوم ، وبالموعظة قوم وبالمجادلة قوم وعلل لذلك بقوله : « فإن الحكمة إن غذى بها أهل الموعظة أضرت بهم كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير وأن المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشمأزوا منها كما يشمئز طبع الرجل القوى من الارتضاع بلبن الأدمى .

وأن من استعمل الجدل مع أهل الجدل لا بالطريق الأحسن كما تعلم من القرآن كان كمن غذى البدوى بخبز البر وهو لم يألف إلا التمر ، أو البلدى بالتمر ، وهى لم يألف إلا البر^(٦٩) .

وهو تصنيف مقبول من جانب إذا نظرنا إلى الأساليب الثلاثة مجزأة : الحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتى هى أحسن ، ولكن إذا نظرنا إلى أحوال الشخص الواحد وأنه قد تعثر به حالات ثلاث :

- حالة الفطنة .
 - وحالة الوجدان والعاطفة .
 - وحالة الكبرياء والذاتية .
- أدركنا أن هذه الأساليب الثلاثة تصلح لرجل واحد قد

(٦٩) القسطاس المستقيم ص ١١ / ١٢ .

يكون في حالة تستدعى الخطاب بالحكمة أو تستدعى الخطاب بالموعظة الحسنة ، أو تستدعى الخطاب بالجدال بالتى هى أحسن حسب الأحوال التى تعتريه .

وقد استخدم النبى ﷺ هذه الأساليب مع مفاوضى قريش .
ففى المرة الأولى قرأ عليهم آيات فصلت .

وفى المرة الثانية قال لهم واعظا ومجادلا بالتى هى أحسن ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى إليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغت رسالات ربي ونصحت لكم وأن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وأن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم (٧٠) .

يقول أستاذنا الفاضل الدكتور محمود حب الله رحمه الله :
وبما أن الإسلام دين عام ، وهو دين منطق وحكمة ولا يهدف نحو تربية حاسة واحدة من حواس الإنسان ، بل نحو قوى الإنسان كلها من قلب وعقل وعاطفة كان من الطبيعى له أن يخاطب كل هذه القوى النفسية ويهذبها لتتضامن جميعها فى الإيمان وفى تربية الشخصية الإنسانية الحقة (٧١) .

(٧٠) راجع الطبية جـ ١ ص ٣٤٠ ، راجع الشفاء جـ ٢ ص ٥٢٦/٥٢٧ شرح نسيم الرياض .

(٧١) الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية ص ٢٨٧ .

وبهذا يمكن أن ندرك أن الأسلوب الذى دعت إليه الآية الكريمة هو أسلوب يصلح لطوائف الناس عندما تبرز هذه الخصائص متفرقة ، كما أنها كذلك تصلح لواحد من الناس تقويما لجميع قواه العقلية والقلبية والعاطفية وبذلك تنفرد الدعوة الإسلامية بأسلوبها الخاص بها في استخدام مناهج الفكر والعمل مع الجماعة بأسلوب غاية في التهذيب والبناء لجميع قوى الإنسان الذى تنقل إليه الدعوة ليكون ربانيا في دنياه وآخرته على السواء .

ب - قنوات الاتصال

رغم تطور وسائل الاتصال في العصر الحديث التى تستخدم في بث الأفكار والدعوة لمبدأ ما فإن الاتصال عن طريق اللغة والمقابلة الشخصية مازال هو العامل الأساسى في توصيل أية دعوة لأن اللغة تمثل أهم طريقة للتفاعل الإجتماعى بين الأفراد وعن سبيلها يمكن الإلمام بمعرفة أحوال الناس والمشاركة في الأفكار والمشاعر والمعتقدات ونتيجة لهذا يمكن تحديد وتشخيص وحل المشكلات في المجتمع (٧٢) .

(٧٢) القيادة وديناميكية الجماعات ص ٧٨ .

وقد نشطت الدراسات الاجتماعية الحديثة في تصوير وسائل الاتصال بالجماعة عن طريق اللغة التي تعتبر وسيلة أساسية فعالة في توصيل المبادئ للناس .
وقد توصل الدارسون الغربيون والشرقيون إلى وضع عدة وسائل منها :

١ - المناقشة في الجماعة الصغيرة : وقد حاولوا وضع تعريف لها فقالوا : إنها تبادل الأفكار والآراء وجها لوجه بين أعضاء جماعة صغيرة نسبيا (وتكون عادة من خمسة إلى عشرين) .

وحددوا سمات لهذه الوسيلة منها : أنها تتيح الحد الأقصى من التفاعل المتبادل بين الأعضاء وأنها تعلم الأعضاء التفكير في حيز إطار الجماعة الذي ينمى الإحساس بالمساواة وأنها تساعد على انبثاق قيادة^(٧٣) ، ولقد سبق رسول الله ﷺ هذه الدراسات منذ أن توجه إلى تبليغ دعوة الله .

ففي أسباب النزول للواحدى : أن النبي ﷺ كان يناجى عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبيا وأميه ابنا خلف ويدعوهم إلى الله تعالى ويرجو إسلامهم فقام ابن أم مكتوم وقال : يا رسول الله : علمنى مما علمك الله

(٧٣) القيادة وديناميكية الجماعات ص ١٩٨٣ .

وجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدرى أنه مشغول مقبل على غيره (٧٤) .

٢ - جماعة الطنين : وهي وسيلة بديلة عن وسيلة « الحابل والنابل » التي تتفتت الجماعة فيها إلى وحدات صغيرة لتيسير المناقشة (٧٥) .

وطريقة الطنين هذه يقتصر فيها على عضوين اثنين فقط لمناقشة موضوع ما وقد سبق القرآن الكريم هذه الدراسة منذ فجر الدعوة حيث دعا المخاضمين إلى أن يقوموا قومة خالصة لله مثنى وفرادى

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ ثَمَرٍ مُثْقَلٍ ﴾
﴿ تَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (سبأ : ٤٦)

٣ - الندوة : وهي طائفة من الأحاديث والكلمات أو الموضوعات يعرضها أشخاص لفهم مشكلة واحدة (٧٦) .
وقد سلف أن النبي ﷺ لما نزل قوله تعالى :

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء ٢١٤)

أقام لهم ندوة مرتين تكلم أبولهب في الأولى وعرض وجهة

(٧٤) أسباب النزول للواحدى ص ٤٧٨ .

(٧٥) القيادة وديناميكية الجماعات ص ١٩٩ .

(٧٦) القيادة وديناميكية الجماعات ص ٣٠٢ .

نظره وتكلم رسول الله ﷺ في الثانية وشرح لهم دعوته (٧٧) .

٤ - المناظرة : هى محاورة تجرى بين شخصين من ذوى المعرفة القادرين على الحديث عن موضوع معين (٧٨) .

وقد سبقت الدعوة الإسلامية بهذا الأسلوب في العمل بتبليغ الدعوة كما وقع بين الرسول والحصين (٧٩) ، وسبق أن ذكرت كيف أسلم ضماد (٨٠) وقد أسلم عمر بن عبسة السلمى (٨١) نتيجة محاورة بينه وبين الرسول ﷺ غير أن عنصر المحاورة هنا كان طبيعيا لا يحمل صفة التعصب أو التعنت وهو أمر غير سهل في العصر الحديث (٨٢) .

٥ - المقابلة : وهى وسيلة متعددة الأساليب ، بالزيارة أو بالراديو أو التليفزيون .. الخ .

وقد كان رسول الله ﷺ دائما حريصا على أن تتم المقابلة بينه وبين خصوم الدعوة فإنه رغم الأذى الذى كان يدأب على تقديمه عقبة بن أبى معيط إلا أن رسول الله ﷺ كان يكثر من مجالسته ولما دعا النبى ﷺ لوليمة في بيته إثر عودته من سفر

(٧٧) راجع السيرة لابن كثير ج ١ ص ٤٥٨/٤٥٩ .

(٧٨) القيادة وديناميكية الجماعات ص ٢٣٣ .

(٧٩) راجع الحلبية ج ١ ص ٣١٨ .

(٨٠ ، ٨١) راجع السيرة لابن كثير ج ١ ص ٤٤٢/٤٥٢ .

(٨٢) دراسات في تنظيم المجتمع ص ١٧٠ / القيادة وديناميكية الجماعات ص ٢٣٩ .

استجاب له رسول الله ﷺ وما أكل حتى أنطقه شهادة التوحيد^(٨٣) .

٦ - المؤتمرات المؤقتة^(٨٤) : وقد استخدم النبي ﷺ المؤتمر المؤقت في أسلوب الدعوة حيث صعد على الصفا يوم أن نزل قوله تعالى ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ وناداهم فاجتمع الناس إليه وكانوا بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسولا عنه ثم قال لهم : « لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتهموني ؟ قالوا : نعم ، قال فيأني نذير لكم بين يدي عذاب شديد^(٨٥) .

والمؤتمرات الدورية هي مواسم الحج : وقد كان النبي ﷺ يمر على الناس في أسواق الحج يقول لهم : يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا^(٨٦) . وقد كانت هذه الوسيلة هي ركيزة العمل التمهيدى لنقل الدعوة من مكة إلى طابة المدينة المنورة . إن وسائل الدعوة التي استخدمها رسول الله ﷺ هي أمنية العاملين في الحقل الاجتماعي في العصر الحديث .

(٨٣) الحلبية جـ ١ ص ٢٥٢ .

(٨٤) دراسات في تنظيم المجتمع ص ١٧٦ / القيادة وديناميكية الجماعات ص ٢٩٤ .

(٨٥) الوفا جـ ١ ص ١٨٢ .

(٨٦) الوفا جـ ١ ص ١٨٢ ، السيرة لابن كثير جـ ٢ ص ١٥٩ وما بعدها .

وما يزيد المبشر في المجتمعات البدائية عن هذه الطريقة التي سنتها الدعوة الإسلامية كأسلوب ووسيلة لنشر دين الله ، إلا أنه ينفذها فقط .

ويا ليت شعري لو أن بعثات الأزهر الشريف في آسيا وأفريقيا وهم يكتسبون بالإسلام رزقا واسعا ومركزا جليلا ليت شعري لو أنهم أخلصوا العمل لله فامتثلوا وأحيوا سنة رسول الله ﷺ في نشر الدعوة بهذه الوسيلة ، والله ما أعوز الناس يومها بعد ذلك جرعة دواء من يد كافر وافتح الله لنا ولدينه في بلاد الله فتحا كثيرا .

وكما قالها رسول الله ﷺ :

لقد جئكم بخير الدنيا والآخرة .

ولكن متى كان لليت جواب ؟

أو : لعل أن يكون لها جواب إن شاء الله (٨٧) .

وأما عن الاستجابة أو الاستفادة من الرسالة ، فلم تعرف الحياة إلى وقتنا الحاضر اتصالا تم بحرية كافية وأخذ أوضاعه في عملية النقاش والاستجابة والأخذ والرد مثل الدعوة الإسلامية .

وبينما يتشاجر علماء الاتصال حول ما أسموه بالفائدة

(٨٧) للأستاذ عبد السلام ياسين دراسة شيقة حول التؤدة ومنهج تبليغ الدعوة وتطبيق ذلك على بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة وذلك في كتابه القيم : الإسلام بين الدعوة والدولة راجع موضوع التؤدة الإسلامية ص ١٤٨ مطبعة النجاح الدار البيضاء .

العائدة Feedback أو الاستجابة بالمنطق الإسلامي من حيث نقصان عملية الاتصال إذا لم تحظ بقسط من التغذية المرتدة كما يطلقون ذلك عليها فإن الدعوة الإسلامية قد سجل لها التاريخ أحداثا Feedback لا مثيل لها مع ضمان حرية الرأي ، وحرية اختيار وسيلة الدعاية أو أسلوب الاتصال وقد كانت أساليب المستقبل غاية في الغرابة والجاهلية ومع ذلك فإن حجم الاستجابة أو الفائدة العائدة Feedback يعتبر أجل حدث في عالم الاتصال النزيه الإنساني الايجابي لأنه استخدم وسيلة اتصال لفظي : ساحر ، مجنون .. الخ وغير لفظي : حبس المسلمين في شعب بنى هاشم ، وتعذيب المسلمين .. الخ .

وقد تم كل هذا وهم لهم في قرارة أنفسهم إيمان بالتغذية المرتدة فوق ما يتحمل العقل الذي يستمع إلى كبرهم بينما هم يصدقون في عمق شعورهم

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّأَتْ اللَّهُ يَمْجَحِدُونَ ﴾ (٣٣)
(الأنعام ٣٣)

ولعلنا نعرض ذلك بشيء من الشرح والبيان فقد كان في مكة في الوقت السابق على البعثة نظام حنيفي موحد .
والقوم كانوا ينتسبون إلى جدهم الأكبر إبراهيم المسلم الحنيف .

والمنهج الذي سلكته الدعوة له أصالة ذاتية في الحصول

على ثمار جيدة النوع والمحصول ، ولكن قريشا جابهت الدعوة
مجابهة عنيدة عنيفة فلماذا ؟

لماذا رفضت قريش دعوة الله ؟

أرفضتها مع اعتقاد في عدم صحتها ؟

أم رفضتها لأسباب أخرى ؟

أما الإجابة عن السؤال الأول فإنها لم ترفض الدعوة
اعتقادا في عدم صحتها .

— فالوليد بن المغيرة يشهد ويقسم :

والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق وإن فرعه
لجنأة^(٨٨) .

— وعتبة بن ربيعة يقول لقومه :

قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر
ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بى
وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن
لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم^(٨٩) .

— والنضر بن الحارث وهو رأس العداء للدعوة يقول لقومه
وقد أصابتهم « حيرة وتلجلج » .

« يا معشر قريش إنه والله قد تنزل بكم أمر اتيتم له بحيلة
بعد قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم

(٨٨) السيرة لابن هشام ج ١ ص ٢٧٠ .

(٨٩) السيرة لابن هشام ج ١ ص ٢٩٤ .

حديثا وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب
وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحرا لا ، والله ما هو
بساحر(٩٠) .

وقد أرسلت قريش وفدا منها إلى أحبار اليهود يسألونهم
عن محمد ﷺ لقد بعثوا وفدا مكونا من عصبة النضر بن
الحارث وعقبة بن أبي معيط وكلاهما يكن للدعوة والداعية
بغضا وكرها ويود بجدع الأنف أن يصل إليها بسوء وسألا
أحبار اليهود فقالوا لهم سلوه عن ثلاث نأمركم بهم فإن
أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا
فيه رأيكم .

— سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم ، فإنه
قد كان لهم حديث عجيب .

— وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها
ما كان نبؤه .

— وسلوه عن الروح ما هي ؟

فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي وإن لم يفعل فهو رجل
متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم(٩١) .
ورجع الوفد وسألوا النبي ﷺ ونزل القرآن الكريم حسبا

(٩٠) السيرة لابن هشام جـ ١ ص ٢٠٠ / ٢٠٨ .

(٩١) السيرة لابن هشام جـ ١ ص ٢٩٩ / ٣٠٠ . راجع الحلبية جـ ١ ص ٢٤٧ .

شاء الله أن يوحى إلى نبيه ، وعرفوا أنه الحق ولكنهم مع ذلك لم يؤمنوا ، وبهذا تمت الاستجابة للاتصال المرغوب فيه .

ج - منهج العمل مع الجماعة

الدعوة الإسلامية حركة بناء لمجتمع يحقق الخلافة عن الله في عمارة هذه الأرض بواسطة جهود الإنسان المؤمن الذى يسلم وجهه لله وهو محسن ، حركة بناء : هى تعمل مع الجماعة الإنسانية ، والعمل مع الجماعة الإنسانية في العصر الحديث أخذ شوطا بعيدا في الدراسة والتوصيف والتخطيط والإعداد .

والمنهج الإسلامي الذى قدمته الدعوة الإسلامية للعمل مع الجماعة هو المنهج الرائد للمعارف الاجتماعية كلها وهو الأصل الذى تدين جميع الدراسات الاجتماعية المعاصرة فيما يتعلق بالصلة بين الرئاد صاحب الدعوة والفكرة والجماعة التى يريد أن ينقل إليها دعوته أو فكرته .

لقد تناولت الدراسات الحديثة في توصيف منهج العمل مع الجماعة مجموعة من المبادئ أو الخطوات التى يلتزم بها الرئاد الاجتماعى ، وهى بأفرادها أو بمجموعها لقطات من العمل الإسلامى في العهد المكى .

لقد تحدث الكاتبون في الدراسات الاجتماعية عن : ثقة الداعية بنفسه وتحديد أهدافه وحسن عرضه للمبادئ التى

يدعو إليها ، وإيجاد استقطاب حول دعوته والتعرف على المجتمع وتنظيم قيادة محلية^(٩٢) .. الخ ، ومجىء هذه الدراسات مؤخرا يفرض عليها صفة التلمذة للمنهج الإسلامى من جانب ، وصفة العرض من جانب آخر وقد شهد بهذا المنطق بصفة عامة كاتبان من الغرب .

— لقد تحدث (بريفولت) في كتابه « بناء الإنسانية » عن المنهج التجريبي المنسوب إلى : « روجيه باكون » وأكد أنه منهج إسلامى وأن « روجيه » ما هو إلا واحد من رسل العلم الذين تربوا بالمنهج الإسلامى إلى أوروبا^(٩٣) .

— والكاتبة الألمانية : « زيغريد هونكه » وضعت كتابا عن فضل الإسلام والعرب على أوروبا جعلت عنوانه : « شمس الله على الغرب أو فضل العرب على أوروبا »^(٩٤) .

إن منهج العمل مع الجماعة الذى قدمته الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة هو وحده المنهج الأول الذى احترم عقل الإنسان وكرامة الجماعة وقدم خطواته مع الصدق والحق بعيدا عن بريق الدعايات الكاذبة والبيانات المضللة

(٩٢) راجع : مبادئ تنمية وتنظيم المجتمع دكتور عبد المنعم شوقي ص ٩٦/٨٧ الخدمة الاجتماعية والمجتمع دكتور أحمد كمال أحمد ، وعدلى سليمان ص ١٨٢ / ١٧٢ في خدمة الجماعة محمد شمس الدين أحمد ٧ ثالثة ص ١٣ / ١٥٥ الخدمة الاجتماعية محمد كامل البطريق ص ٩٢ / ٩٧ .

(٩٣) الإسلام والإيمان ص ١٢ / ١٣ .

(٩٤) شمس الله على الغرب ترجمة الدكتور فؤاد حسنين على دار المعارف مصر ١٩٦٩ .

والتمثيلات التي يتقمصها رواد الغمل الإجتماعى فى العصر الحديث ، وقلب معايير الحقيقة وخداع الرأى العام بما لديهم من قدرة إعلامية تخدع الأذن ، وتزكم الحس وتشوش على الفكر وتجمد الذكاء .

والمنهج الذى قدمته الدعوة الإسلامية للعمل مع الجماعة قدمته وطبقته وهو المنهج الوحيد الذى أنتج إنتاجا دائما خالدا ، هذا المنهج يقوم على ثمان قواعد :

- القاعدة الأولى : ثقة الداعية .
- القاعدة الثانية : تحديد الهدف .
- القاعدة الثالثة : التعرف على المجتمع .
- القاعدة الرابعة : تربية قيادات تعمل مع الداعية .
- القاعدة الخامسة : عرض الدعوة عرضا واضحا .
- القاعدة السادسة : إحداث استقطاب كامل حول الدعوة .
- القاعدة السابعة : السلوك المطابق للدعوة .
- القاعدة الثامنة : الصبر والتحمل حتى تظهر حقيقة الهدف من الدعوة .

أولا - ثقة الداعية

الحديث عن ثقة الداعية هنا ، يشتمل على عنصرين :
العنصر الأول : ثقة الداعية في نفسه .
العنصر الثانى : ثقة المجتمع في الداعية .
أما فيما يتعلق بثقة الداعية في نفسه ، فقد عبر عنها النبي ﷺ بأصدق تعبير .

« والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ما تركته » (٩٥) .

إن الجو الذى قيلت فيه هذه الجملة المنهجية جو الكثرة العاتية التى تهجم بكلها على النبي ﷺ فلو كانت شخصية الرسول ﷺ لا تساوى في وزنها الاجتماعى ثقل المجتمع المتكأىء عليه بالخيل والرجال والرأى والحفيظة لما أمكن أن يضع هذا المعيار الخالد الذى يصور المستوى السامق في عزة النفس والثقة بالله وبالإسلام وبما يدعو إليه مما ينبغى أن يتسلح به الداعية .

لقد كانت ثقة الرسول ﷺ بنفسه كداعية أسلم وجهه لله وهو محسن تفوق قدرة البشر حتى ولو تقدموا علميا أو

(٩٥) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٢٦٦ الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ٦٤ الحلبية جـ ١ ص ٢٢٣ .

تكنولوجيا واستطاعوا أن يخلعوا قرص الشمس من فلكها
وينتزعوا القمر من هالته وحاولوا أن يقنعوه فيما بعد لو صح
لهم أن يضعوا هذه الشمس المخلوعة من فلكها في يمينه ،
وهذا القمر المنتزع من هالته في يساره ، ما قبل وما وثق
وما رضى، واستمر على دعوته لأنها أحق مما وصلوا إليه
لو كانوا يقدرين .

والرسول ﷺ بهذا يحدد مستوى الثقة بالنفس للداعية
الإسلامية الذى يضطلع بأعباء العمل للدعوة الإسلامية ، وفي
نفس الوقت يشاء الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا المستوى
من الثقة بالنفس خاصا بالداعية الإسلامي ، لأنه مستند في
ثقته بالنفس إلى الإيمان بالله العلي الكبير

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ

لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(المنافقون ٨)

ولم تكن ثقة كثقة الزعماء فإن الأنبياء رحمة وحنان، وثقة
الزعماء قسوة وطغيان .

والله در المناجى :

بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لقد دعا نوح على قومه
فقال :

﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ﴾ ولو دعوت
علينا لهلكنا من عند آخرنا فقد وطىء ظهرك ، وأدمى وجهك ،

وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا ، وقلت : « اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » (٩٦) .
إنها ثقة الذى نعتته السماء .

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم ٤)

﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة ١٢٨)

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء ١٠٧)

وأما ثقة المجتمع بالداعية فقد أجمع الناس طرا في مكة المكرمة على أن يفرطوه وحده بلقب الأمين وعادة المجتمع الجاهلى فارغة من الألقاب خالية من تقاليد النياشين .
لقد كانت الفروسية وإمارة الشعر تنتزع انتزاعا من ساحات الوغى وأسواق القريض ومعارض الفكر .
غير أن ثقة المجتمع في أخلاق محمد ﷺ قبل أن يبعث ألزمت المجتمع أن يزكوا هذه الشخصية الفريدة فيه فأجمعوا على أن يلقبوه « بالأمين » .

يقول ابن هشام :

وكانت قريش تسمى رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي الأمين (٩٧) .

(٩٦) الغناء شرح على القارىء جـ ١ ص ٢٥٠ .

(٩٧) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ١٩٨ .

وعبارة (زاد المعاد) تضيف على أبعاد هذه الأمانة أنوارا تبرز قسماتها :

وأما الأمين : فهو أحق العالمين بهذا الاسم فهو أمين الله على وحيه ودينه وهو أمين من في السماء وأمين من في الأرض ولهذا كانوا يسمونه قبل النبوة بالأمين^(٩٨) .

ولم يكن اسما أو لقبا خاليا من وضعه على محك الأحداث والتجارب فقد اختبرت قريش نفسها في مقدار ما تكنه لهذا الاسم من التقدير والثقة فلما استحکم الخلاف بينهم عندما تم بناء الكعبة ووصل الأمر إلى قاب قوسين أو أدنى من الحرب الضروس التي تهلك النسل والحرث وتخرّب الديار وتدمر البلاد ارتضوا أول داخل عليهم ليكون حكما بينهم .

إنهم ما كانوا يفكرون في شخصية الداخل بقدر ما حملهم النزاع على أن ينتهوا من هذا النزاع الذي شحّن الجوبدخان الحرب ، ولو كان غير محمد ﷺ لاندلعت الفتنة من جديد وربما قامت الحرب ، ولكنها كلمة قالوها وشاء الله أن تكون عليهم حجة إلى يوم القيامة فلما دخل محمد ﷺ قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد^(٩٩) .

إن الأخنس بن شريق لقي أبا جهل يوم بدر فقال : يا أبا

(٩٨) زاد المعاد جـ ١ ص ٢٣ ، راجع الشفاء شرح نسيم الرياض جـ ١ ص ١٧٩ .

(٩٩) ابن هشام جـ ١ ص ١٩٧ .

الحكم أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب ؟ فإنه ليس
ههنا غيرى وغيرك .

فقال له ، والله إن محمداً لصادق وما كذب محمد قط (١٠٠) .

فيقسم ويؤكد ويثبت الصدق بطريقتين : الإيجاب والسلب
معا ثم يؤكد ذلك بالتأكيد الأخير « قط » .

لقد كانت ثقة المجتمع فى الداعية مبنية على وضوح فى
سلوكه ومعرفة تامة بأخلاقه ومعاملة مستمرة تظهر فى كل يوم
جليل خلقه ، ونفيس صدقه ، وعظيم وفائه ، ورفيع محبته
للناس جميعاً .

ولقد كانت ثقة الداعية بنفسه قائمة على ثقته بربه ، وثقته
بالحق الذى يدعو إليه وثقته بنصر الله .

وتلك هى التى تعوز جميع قادة العمل الاجتماعى فى العصر
الحديث (١٠١) ، وتلك التى امتازت بها نظم العمل مع الجماعة
فى منهج الدعوة الإسلامية منذ ذلك الفجر البعيد وذلك
ما ينقص بعض الدعاة المعاصرين الذين تسببوا فى اتهام
الدين باتخاذهم تجارة وأنه مصدر إرهاب .

(١٠٠) الشفاء شرح على القارى جـ ١ ص ١٨١ الدرر ص ١٩٢ .

(١٠١) راجع اكتساب ثقة الأهل فى كتاب مبادئ تنمية وتنظيم المجتمع دكتور عبد المنعم
شوقى ص ٩١ مع ملاحظة أنه ليس فى قصدى ربط مقارنة بين عمل البشر ووحى السماء .

ثانياً : تحديد الهدف

* لقد جمعهم رسول الله ﷺ في مؤتمر عائلي خاص وأعطاهم من الأمان والراحة ما أنسهم ثم قال لهم : « الحمد لله أحمدوه وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ثم قال : إن الرائد لا يكذب أهله ، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة ، والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ، وإنها لجنة أبدا أو لنار أبدا » (١٠٢) .
فهو نبي لهم وللناس عامة .

يدعو إلى توحيد الله والإيمان بالبعث والحشر والحساب
والجنة والنار .

وهو في سبيل هذا لا يسألهم أجراً وقد حدد لهم هذا
بوضوح :

« ما جئت بما جئتم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم
ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى إليكم رسولا ، وأنزل عليّ
كتاباً ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالات
ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتم به فهو حظكم في

(١٠٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٢ ص ٦١ .

الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » (١٠٣) .

لقد عرضوا عليه فعلاً الدنيا بحذاقها .

لقد عرضوا عليه الملك .

وعرضوا عليه المال .

وعرضوا عليه الرياسة والشرف (١٠٤) .

فرفضها كلها .

لقد رفضها رفضاً قوياً لأنها ليست واحدة من أهداف

الدعوة .

لقد رفضها بأسلوبه النبوي الأخاذ ورفضها بما أوحى إليه

من عند ربه .

﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مِنْ شَاءِ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا



(الفرقان ٥٧)

﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ



(سبأ ٤٧)

(١٠٣) ابن هشام ج ١ ص ٢٩٦ .

(١٠٤) راجع شرح المواهب للإمام الزرقاني ج ١ ص ٢٥٧ / السيرة الحلبية ج ١

ص ٢٤٠ / راجع الخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٨٢ .

﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ ٨٦

(ص ٨٦)

﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ ٨٧

(الشورى ٢٣)

يقول الطبرى فى معنى بعض هذه الآيات :
ما أتبع إلا وحى الله الذى يوحىه إلىّ وتنزيله الذى ينزله
علىّ فى كل ما أقول لكم وأدعوكم إليه . (١٠٥)
إنى لم أسألكم على ذلك جعلاً ففتهمونى وتظنون أنى إنما
دعوتكم إلى اتباعى للمال أخذه منكم . (١٠٦) .
ومعنى قوله فهو لكم أى لا أسألكم شيئاً كقول القائل مالى
من هذا فقد وهبته لك يريد ليس لى فيه شيء . (١٠٧) .
إنما الذى يريده هو اهتداء الإنسان إلى ربه وتقربه إلى الله
الحق إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً .. هذا وحده هو
أجره يرضى قلبه الطاهر ويستريح وجدانه النبيل أن يرى أهله
والناس عامة قد اهتدوا إلى صراط الله العزيز الحميد .

(١٠٥) بتصرف الطبرى جـ ٧ ص ١٩٩ .

(١٠٦) الطبرى جـ ٢٢ ص ١٠٥ .

(١٠٧) معالم التنزيل لأبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى جـ ٥ ص ١٩٥

٧ ثانية م حلبى .

وينفى الرسول ﷺ ذلك مرة أخرى فى إطار منهج الدعوة العام الذى سلكه موكب الأنبياء من قبل .

فيردد لقريش وللدنيا كلها من بعد ما قاله إخوانه الأنبياء :

﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

لقد قالها نوح (آية رقم ١٠٩ من سورة الشعراء) .

وقالها هود .

وقالها صالح .

وقالها لوط .

وقالها شعيب .

وهو نص واحد لا يتغير ولا يتبدل ﴿ وما أسألكم عليه من أجر

إن أجرى إلا على رب العالمين ﴾ (١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٤٥ ،

١٦٤ ، ١٨٠ من سورة الشعراء) .

لقد طمأنهم النبي ﷺ إنه لا يريد شيئاً من حطام الدنيا

فماله فيها من مأرب وما يطلب منهم أجراً جزاء دعوتهم

وهدايتهم إلى الله ، إنما هو يطلب أجره من رب الناس الذى

كلفه دعوة الناس إلى الصراط المستقيم .

ذلك هو طريق الأنبياء جميعاً وهو تنبيه يبدو أنه كان

ضرورياً للدعوة الصحيحة حتى تتميز عما عهدته الناس من

الكهان ورجال الأديان من استغلال الدين لسلب أموال العباد

وهو توضيح لطبيعة الدعوة وبيان للشرف النبيل الذي يضطلع به الداعية المنتسب إليها (١٠٨) .

﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(الجاثية ٢٦)

— ولتحاسبن بما تعملون :

﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ فهو في عيشة راضية ﴿ وَآمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيئةُ نَارِ حَامِيَةٍ ﴾

(القارعة ٦ - ١١)

— وإنها لجنة أبدا أو لنار أبدا :

﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُورٍ ﴿

(هود ١٠٥ / ١٠٨)

(١٠٨) في ظلال القرآن ج ١٩٠ ص ١٩٩ / ١٠٠ .

لقد حدد الرسول ﷺ هدف الدعوة بوضوح تام ونفى كل شبهة وجابه كل محاولة تريد الانحراف بهدف الدعوة وذلك التحديد للهدف والوضوح فيه هو ما يعوز جميع أنماط العمل الإجتماعى فى العصر الحديث .

وشتان ما بين هدف يتوجه إلى الله وهدف يريد أن يصيب دنيا أو امرأة ينكحها .. « إن الرائد لا يكذب أهله » .
والله ما كذب أهله ولا كذب أحدا من الناس بل كان لهم رحمة وهدى للعالمين ، وبقي علينا أن نتأسى بالنبي ﷺ فى عرض أهداف الدعوة بدل أن نتخذ من سيرة المجاهدين قميصاً تتخفى وراءه أطماع لا تغيب عن رب العالمين .

ثالثاً : التعرف على طبيعة المجتمع

التعرف على المجتمع : عاداته وتقاليده وأنماط الثقافة فيه جزء من وظيفة الاختصاصي الاجتماعي الذي يؤهل للعمل مع الجماعة في حقل الخدمة الاجتماعية .

ووسيلة التعرف على المجتمع هي الدراسة كما شرحها الكاتبون في خدمة الجماعة ، ولكن التعرف الذي يحتاج إليه علم وفن خدمة الجماعة (١٠٩) . هو تعرف سطحي ويحتاج إلى زمن ثم هو تعرف على المجتمع من جانب الخادم الاجتماعي أو الاختصاصي الاجتماعي وهنا تبرز علمية المنهج الإسلامي في العمل مع الجماعة بصورة أجمل وأسمى وأشمل وأوسع لأنها تأخذ مفهوم التعرف على المجتمع التبادل المعرفي بين طبيعة المجتمع وطبيعة الداعية .

لقد تعرف النبي ﷺ على طبيعة المجتمع بأسلوب الممارسة والإشتراك وهو نمط أقوى في إدراك حقائق الأمور من الدراسات المستعجلة التي يحاول إتقانها الاختصاصيون في العصر الحديث .

لقد عاش النبي ﷺ مع المجتمع الذي سينقل إليه الدعوة

(١٠٩) راجع مبادئ تنمية وتنظيم المجتمع دكتور عبد المنعم شوقي ص ٩٤ ، الخدمة الاجتماعية محمد كامل البطريق ص ١١١ / ١١٢ ثانياً ١٩٦٢ م الانجلو ، دراسات في تنظيم المجتمع دكتور سيد أبو بكر حسنين ص ٨٧ ط أولى ١٩٦٩ ، فن خدمة الجماعة دكتور محمد شمس الدين أحمد ص ٥٠ / ٥١ ط ثانياً ١٩٦٢ .

عيشة المستوعب لثقافة البيئة دون أن يغامس حياة المجتمع في اتجاهاتها التي تؤثر 'مستقبلاً' عليه فهو لم يغفل عنها ولم ينغمس فيها بل عاش حياة المجتمع الفاضلة فكان راعياً للغنم عند أمه حليلة . وكان راعياً للغنم عند قريش على قراريط (١١٠) .

وكان تاجراً معهم في السوق (١١١) .

وكان قاضياً لهم في مدلهما الأمور عند وضع الحجر الأسود (١١٢) ، واشترك معهم في حلف الفضول (١١٣) .
لقد عاش معهم الحياة الاجتماعية في مستواها العفيف .
وعاش معهم الحياة السياسية في مستواها العادل الواضح .

وعاش معهم الحياة الاقتصادية في مستواها الأمين الحلال .

ومع هذا فما سجد لصنم قط ولا حلف باللات والعزى ولا

(١١٠) ابن هشام جـ ١ ص ١٦٧ / الحليلة جـ ١ ص ١٤٩ / وراجع الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ١ ص ١٢٥ / البيهقي جـ ١ ص ٣٣٦ دلائل النبوة .

(١١١) ابن هشام جـ ١ ص ١٨٧ / الحليلة جـ ١ ص ١٥٧ / الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ١ ص ١٢٩ / ١٣٠ .

(١١٢) ابن هشام جـ ١ ص ١٩٧ / الحليلة جـ ١ ص ١٧٢ .

(١١٣) ابن هشام جـ ١ ص ١٣٣ / الحليلة جـ ١ ص ١٥٢ / الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ١ ص ١٢٨ السيرة لابن كثير جـ ١ ص ٢٥٧ .

احتفل بعيد ولا شرب لهم خمراً ولا طعم لهم ذبيحة ذبحوها
على النصب (١١٤) .

لقد عصمه الله جل شأنه منذ اختاره لهداية البشر رسولاً
مبشراً ونذيراً .

لقد كانت لديه ممارسة كاملة بالجانب الرفيع من ثقافة
المجتمع وكانت عنده حصانة فطرية لا يقدر معها على
الانجذاب إلى ثقافة لا تتفق مع سويته التي خلق بها ليكون
للعالمين نذيراً .

فهو لم يندمج كلياً فيغامس من حياة المجتمع كلها .
ولم ينعزل عنها فيجهلها كلها .
لقد كان موجوداً في أوساطها لا في وسطها فهو في المجتمع
يشترك مع فضليات الأخلاق وعظام الأمور وهو في المجتمع
يرى وينأى على شرور البشر .

لقد كان إيجابياً مع الحياة الفاضلة .
وكان سلبياً بالطبع مع الحياة التي لا تتفق مع طبيعته ،
فقد عصمه الله من كل سوء ، لقد كان منفتحاً على المجتمع
كله بذاته وطهارته وكان هو كذلك معروفاً للمجتمع .

(١١٤) تاريخ الأمم الإسلامية ج ١ ص ٦٥ الشيخ محمد الخضرى ٧ ثامنة ١٣٨٢ هـ
ابن هشام ج ١ ص ١٨٣ الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٥٥ الدلائل للبيهقى
ج ١ ص ٣١٢/٣١٥ السيرة لابن كثير ج ١ ص ٢٥٠/٢٥٢ راجع الخصائص الكبرى
للسيوطى ج ١ ص ٢٢١/٢٢٦ و ٢٢٧/٢٤٦ الشفاء شرحى نسيم الرياض وعلى القارى
ج ٢ ص ٢٧٩/٢٨٠ .

لقد كان معروفاً منذ اللحظة الأولى التي ولد فيها .
كان معروفاً في فترة رضاعته .
وكان معروفاً في فترة حضانته مع أمه .
وكان معروفاً في حضانته مع جده وعمه .
لقد كان معروفاً وهو طفل .
وكان معروفاً وهو غلام .
وكان معروفاً وهو شاب .
معروفاً بالأمانة والخلق الرفيع وكان محل الإكرام والتقدير
والتبجيل من كل أطراف المجتمع .
ولم يحظ نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يحظ
قط زعيم من الزعماء في الغابر والحاضر والمستقبل بانكشاف
تام لحياته الفاضلة وتعرف كامل على شخصيته الكبيرة الفذة
إلا محمد ﷺ .
— لقد قال فيه أبوه من الرضاع وهو لا يزال طفلاً صغيراً .
والله يا حليلة لقد أخذت نسمة مباركة (١١٥) .
— وقالت فيه أمه حليلة :
لما دخلت به ﷺ إلى منزلي لم يبق منزل من منازل بنى سعد
إلا شممنا منه ريح المسك وألقيت محبته ﷺ واعتقاد بركته في
قلوب الناس (١١٦) .

(١١٥) الطيبة جـ ١ ص ١٠٧ المواهب جـ ١ ص ١٢٤ ابن هشام جـ ١ ص ١٦٣ ،
دلائل البيهقي جـ ١ ص ١٠٩ .
(١١٦) المواهب جـ ١ ص ١٤٥ الطيبة جـ ١ ص ١١٠ .

— وقالت أمه أمنة :

والله ما للشيطان عليه سبيل وأن لإبنى لشأنا (١١٧) .

— وقال فيه رجال من نصارى الحبشة :

إن هذا الغلام كائن له شأن نحن نعرفه (١١٨) .

— وقال فيه جده عبد المطلب :

يا بركة لا تغفل عن ابني فإن أهل الكتاب يزعمون أنه نبي
هذه الأمة (١١٩) .

— وقال عنه أبوطالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمة الأرامل (١٢٠)

— وقال بحيرا :

فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا
ورويناه عن آبائنا ، وأعلم أنى قد أديت لك النصيحة (١٢١) .

— وقالت خديجة رضى الله عنها :

(١١٧) ابن هشام ج ١ ص ١٦٥ الحلبية ج ١ ص ١١٣ .

(١١٨) ابن هشام ج ١ ص ١٦٧ ، الحلبية ج ١ ص ١١٤ السيرة لابن كثير ج ١
ص ٢٣٢ .

(١١٩) الحلبية ج ١ ص ١٣١ ، الطبقات الكبرى ج ١ ص ١١٨ ، السيرة لابن كثير
ج ١ ص ٢٤٠ .

(١٢٠) المواهب ج ١ ص ١٩٢ ، وفيها شعر طويل والحلبية ج ١ ص ١١٨ ، دلائل
البيهقي ج ١ ص ٢٢٢ ، الخصائص ج ١ ص ٢١٤ ، ٢١١ .

(١٢١) الحلبية ج ١ ص ١٤٢ ، وابن هشام ج ١ ص ١٨٢ .

يا ابن عم : إني قد رغبت فيك لقربتك وسطتك في قومك
وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك (١٢٢) .

— وقال له ورقة :

... ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه ،
ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه (١٢٣) .

— وقد كان الخصوم معه أشهد الناس بكماله وسموه ورفعته
وطهارته يقول أبو جهل :

والله إن محمداً لصادق وما كذب محمد قط (١٢٤) .

— وقال النضر بن الحارث :

قد كان محمد غلاماً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً ،
وأعظمكم أمانة (١٢٥) .

— وقال له عتبة :

يا ابن أخى أنت منا حيث قد علمت من السَّطَّة في العشيرة
والمكانة في النسب (١٢٦) .

— ويقول الوليد بن المغيرة :

إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناء (١٢٧) .

(١٢٢) ابن هشام جـ ١ ص ١٨٩ ، السيرة لابن كثير جـ ١ ص ٢٦٢ .

(١٢٣) السيرة لابن كثير جـ ١ ص ٤٥٤ .

(١٢٤) أسباب النزول للواحدي ص ٢١١ .

(١٢٥) ابن هشام جـ ١ ص ٢٢٩ .

(١٢٦) ابن هشام جـ ١ ص ٢٩٣ .

(١٢٧) ابن هشام جـ ١ ص ٢٧٠ .

— لقد كان معروفاً لأبناء مجتمعه القريب وكان معروفاً لأبناء مجتمع دعوته البعيد فقال فيه النجاشي :

أشهد أنه رسول الله وأنه الذي بشر به عيسى (١٢٨) .

— وقال فيه كسرى :

قلو أنى أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه (١٢٩) .

والقرآن الكريم يضع هذا الانفتاح بكلتا شطريه في موضع الاستدلال على صدق نبوته ﷺ .

يقول الله تعالى :

﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبْتُكُمْ بِهِ ۚ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿١٦﴾

(يونس ١٦)

« لبثت » فوجودى مشهود كله لكم .

« فيكم » وأنتم مشهودون لى .

والحياة مكشوفة بيننا وأنتم تعرفون عنى كل شىء حتى كيف تزوجت وكيف سافرت وكيف عاشرتكم .
وأنتم مكشوفون لى عادة وسلوكاً وأخلاقاً .
ولهذا نفى القرآن عنهم فى هذا الاستفهام التانيبي

(١٢٨) الحلبية جـ ١ ص ٢٧٧ الخصائص جـ ١ ص ٢٨٠ .

(١٢٩) فتح البارى جـ ١ ص ٤٠ / ٤١ .

المزلزل ... نفى عنهم التعقل فإن حياة محمد ﷺ معلومة لهم لا تحتاج في إدراك نبوته إلى علم فأمانته وسطته ونسبه مشهوران معروفان وهى كلها تؤهله مع تاريخه المجيد لأن يكون للعالمين رسولا .

رابعاً - تربية قيادة :

دار الأرقم بن الأرقم :

— اختيار القيادة :

إن الجهر بالمبادئ فجاءة عملية خطيرة مراهقة لا يوصى بها المشتغلون في حقل الخدمة الإجتماعية . وإعداد القيادة داخل المجتمع قبل إعلان المبادئ جزء من منهج العمل مع الجماعة توصى به وتؤكد الدراسات الاجتماعية التى نيط بها وظيفة التغيير الاجتماعى المرغوب فيه (١٣٠) .

وهذا المبدأ قد أسسته من قبل الدعوة الإسلامية في « دار الأرقم بن الأرقم » حيث اختار النبي ﷺ الأشخاص الذين توسم فيهم الاستجابة لدعوته (١٣١) ، ثم تعهدهم بعيداً عن المجتمع وثقافته بالتربية والإعداد .

(١٣٠) دراسات في تنظيم المجتمع ص ١٥٥ ، الخدمة الاجتماعية والمجتمع ص ١٧٩ .
(١٣١) السيرة لابن كثير ج ١ ص ٤٢٧ ، سيرة الرسول عزة دروزة ج ١ ص ١٧٨ ،
وراجع من حضارة الإسلام ج ١ ص ١٩ .

وأول من اختارهم رسول الله ﷺ الصق الناس به من آل بيته وأصدقائه فأمنت خديجة رضى الله عنها وزيد بن حارثة مولاه وعلى بن أبى طالب وصديقه الحميم أبو بكر وورقة بن نوفل (١٣٢) .

ثم راح رسول الله ﷺ ينتخب الأخيار المصابيح ويدعوهم إلى الإسلام يعاونه فى ذلك سيدنا أبو بكر رضى الله عنه فقد تعرف على وظيفته بفطرته فجعل يدعو إلى الإسلام كل من وثق به من قومه (١٣٣) .

واتخذت هذه المرحلة دوراً خاصاً حتى تكتمل التربية للقيادة بعيداً عن جاذبية المجتمع التى تضغط دائماً على المبادئ فى مهدها لتموت ، ولذا فقد كان النبي ﷺ يتخير الأشخاص أولاً ، ثم ينتهيهم عن الضغط الاجتماعى حتى تسربت مبادئ الإسلام إلى المجتمع كالنور يقهر الظلام رويداً رويداً .

يقول فى ذلك ابن هشام :

ثم دخل الناس فى الإسلام إرسالاً من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به ، ثم إن الله عز وجل أمر رسوله ﷺ أن يصدع بما جاءه به (١٣٤) .

(١٣٢) ٩٨ الحلبية جـ ١ ص ٣٠٢ وما بعدها ص ٣٠٦ ، الكامل فى التاريخ جـ ٢ ص ٥٩ .. المواهب اللدنية جـ ١ ص ٢٤٤ - ٢٤٦ .

(١٣٣) ابن هشام جـ ١ ص ٢٥٠ ، الكامل فى التاريخ جـ ٢ ص ٥٩ .

(١٣٤) السيرة لابن هشام جـ ١ ص ٢٦٢ الكامل فى التاريخ جـ ٢ ص ٥٩ .

وتبأتى هذه القضية واضحة فى قضية إسلام سيدنا على
رضى الله عنه، روى البيهقى :

ثم إن عليا بن أبى طالب رضى الله عنه جاء بعد ذلك
فوجد هما يصليان فقال على : ما هذا يا محمد ؟ فقال رسول
الله ﷺ : دين الله اصطفاه لنفسه وبعث به رسله فأدعوك إلى
الله وحده لا شريك له وإلى عبادته وتكفر باللات والعزى .

فقال على : هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم ، فلست بقاض
أمرا حتى أحدث به أبا طالب وكره رسول الله ﷺ أن يفشى
على عليه سره قبل أن يستعلن أمره فقال له :

يا على إذا لم تسلم فاكتم .. فمكث على تلك الليلة حتى
جاءه فقال : ما عرضت على يا محمد ، فقال رسول الله ﷺ :
تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وتكفر باللات
والعزى وتبرأ من الأنداد ، ففعل على وأسلم فمكث على خوف
من أبى طالب وكنتم على إسلامه ولم يظهره (١٣٥) .

واستمر على هكذا مستخفياً صلى مع رسول الله ﷺ فى
شعاب مكة بعيداً عن أعين الناس حتى عثر عليهما أبو طالب
يوماً وهما يصليان فقال أبو طالب لعلى : أى بنى : ما هذا
الدين الذى أنت عليه ؟ فقال : يا أبت أمنت بالله ورسوله ،

(١٣٥) دلائل النبوة للبيهقى جـ ١ ص ٤١٤ ابن كثير جـ ١ ص ٤٢٨ .

وصدقت بما جاء به ، وصليت معه لله واتبعته ، قال ابن هشام
فزعموا أنه قال له : إنه لم يدعك إلا على خير فالزمه (١٣٦) .

* * *

مستوى تربية القيادة :

وكانت تربية النبي ﷺ لهذا الرعيل على المستوى الرفيع
سيكولوجياً ووجدانياً وبقدر ما أتبع له عليه الصلاة والسلام
مالياً واقتصادياً .

لقد أخذ الداعية الأول ﷺ على نفسه مسئولية إعداد قيادة
يصل بها الفكر إلى أرفع مستويات العقيدة وضوحاً وشمولاً ،
كما أخذ على نفسه مسئولية حمايتها من الجوع الذي يتعرض
له إن عن اللواحد منها في هذه المرحلة شيء من ذلك .
— أما المستوى الوجداني الذي وصلت إليه التربية فإن سعد
ابن أبي وقاص رضى الله عنه وهو شاب في التاسعة عشرة من
عمره يمثله ، وقد كرهت أمه دخوله في الإسلام ، وكان بها باراً
رفيقاً مهذباً أنيساً ، فهددته « لا تأكل ولا تشرب حتى يكفر
ويرتد وإلا ماتت فيعير بها فيقول لها » : (تعلمين والله

(١٣٦) ابن هشام جـ ١ ص ٢٤٧ الطيبة جـ ١ ص ٣٠٦ الكامل في التاريخ جـ ٢
ص ٥٨ تاريخ الطبري جـ ٢ ص ٣١٤ .

يا أمي ، لو كان لك مائة نفس تخرج نفساً نفساً ما تركت دين هذا النبي ﷺ فكلى إن شئت أولاً تأكلى ، فأكلت (١٣٧) .

وإذاً فليس من الجيد علمياً أن يقال : سرية الدعوة فإن الحق الذى سجله التاريخ هو وضوح الدعوة واشتهارها وسرية العمل لها إعداداً للقيادة وتربية لهم ليحملوا مع الداعية وظيفة العمل عند الصدع بها عامة والجهر بها للناس كافة .

وبقى أن يعرف الشباب المعاصر أن التحمس للدعوة يجب أن يأخذ أسلوباً علمياً وإسلامياً حتى نطبق المنهج الذى ورثناه .

خامساً - العرض الواضح :

نجاح أية دعوة واستمرارها يتوقف على مقدار عرضها عرضاً واضحاً صادقاً يضمن لها الوضوح والثقة دائماً فى المستقبل (١٣٨) .

وواضح فى العصر الحديث أن أهداف الدعوات لا يفصح عنه ويستخدم الزعماء شعارات براقية يخفون وراءها الهدف الأسود حتى إذا ما أتيح لهم إعلانة بأسلوب القهر أو

(١٣٧) الحلبي ج ١ ص ٢١٢ / ٢١٣ ، أسباب النزول للواحدي ص ٣٥٦ / ٣٥٧ ، تفسير روح المعاني ج ١٩ ص ١٣٩ .

(١٣٨) من حضارة الإسلام للأستاذ عبد العزيز سيداً لأهل ج ١ ص ١٢ / ١٥ .

السيطرة وإلغاء العقل والإرادة والكرامة فإنهم لا يألون جهداً في ذلك ويفسرون نداءاتهم الأولى بعذب من الحديث المخادع وبذلك لا تلبث أن تنتشر الناس والجماهير من جولهم كما هي طبيعة الزبد يذهب جفاء وتبقى الحسرة والغیظ والکمد والحيرة والآلام والضيق والعسر للناس من بعد .

ولذلك فإن الدعوة الإسلامية حرصت وهي تعتقد منهج العمل مع الجماعة على أن يكون الهدف من الدعوة واضحاً ولذلك اتخذ عرض الدعوة زمناً فسيحاً زهاء ثلاثة أعوام على ما رواه العلماء (١٣٩) واتخذت لذلك أسلوباً واضحاً جلياً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم .

ووضوح العرض هنا يراد منه :

— وضوح الهدف .

— وضوح الدليل .

أما وضوح الهدف فقد استفاض النص المعصوم من القرآن الكريم ، أو الأثر النبوي الشريف في تحديد المراد من الدعوة الإسلامية .

لقد كان تحديد الهدف بارز المعالم ، فصيح المنطق قوى الأسلوب .

(١٣٩) ابن كثير ج ١ ص ٢٨٩ الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٢٥ راجع مسلم كتاب الفضائل ج ٤ ص ١٨٢٥ راجع فتح الباري ج ٨ ص ١٦٤ باب مبعث النبي ﷺ ، راجع التاج الجامع للأصول ج ٢ ص ٢٥٦ المحبر ص ١٠ .

وكان مع ذلك جدياً لا هزل فيه ، وكانت جديته صريحة يعزب معها كل لون من التجاهل أو التناسي أو التعامى أو التغافل أو التثاقل إلى هوى النفس ووسوسة الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس .

لقد قال لهم الرسول ﷺ في استفاضة طويلة يحكيها ابن هشام : مابى ما تقولون ، ما جئت بما جئتم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى إليكم رسولا وأنزل على كتاباً وأمرنى أن أكون لكم بشيراً قبلغتم رسالات ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا منى ما جئتم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم (١٤٠) .

وتلا عليهم القرآن الكريم تلاوة مرتلة وحدد لهم أهداف

الدعوة :

﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِبعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذْ أَوْمَأْنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ﴿٥٧﴾ إِنْ أَلْحَمَّكُمْ إِلَّا اللَّهُ يَقْضِ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٨﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي

(١٤٠) ابن هشام ج ١ ص ٢٩٦ / ٢٩٧ المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٥٧ الحلبي ج ١ ص ٢٤٠ .

مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾

(الأنعام ٥٦ / ٥٨)

﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ
اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ
وِزْرَهُ وَلَا تَزِرُ وَزْرِ أَخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾

(الأنعام ١٦١ / ١٦٤)

﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا
مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٣﴾

(الأعراف ٣)

﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى
الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَكُمْ اللَّهُ
رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٣﴾

(يونس ٣)

ولقد نقى هذا الهدف من كل شائبة حتى صار قانوناً
سرمدياً إذا حادت عنه الدعوة ضل القائمون عليها طريق
الرشاد .

لقد نقى رسول الله ﷺ هدف الدعوة من عرض الحياة
الدنيا قل أو عظم :

﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ (١٤١)

(ص ٨٦)

كما نقى أن تتخذ الدعوة مصدراً للإثراء والتجارة .

﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ
إِنِّي مَلَكَ إِنَّ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا
تَتَفَكَّرُونَ ﴾

(الأنعام ٥٠)

لقد قال لهم في قوة وصرامة ، ترون هذه الشمس ؟
قالوا : نعم .

(١٤١) راجع تحديد الهدف المرحلة الثانية من هذا الفصل الثاني ، راجع الشفاء شرح
على القارى ونسيم الرياض فصل وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول جـ ١ ص ٣٨٥
وما بعدها .

قال : فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشتعلوا منه
بشعلة (١٤٢) .

وأما وضوح الدليل فهو قائم على وضوح اللفظ وشمول
الدليل على عناصر الإقناع: وهى قبول العقل لها ، إحساس
الوجدان بصدقها ، تصويرها لحقائق مسلمة .

واللفظ القرآنى والنبوى قد اشتملا على هذه الركائز .
أما عن اللفظ النبوى فقد أحاطه الله بالعصمة

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ ﴾ (النجم ٣)

وأما اللفظ القرآنى فقد استفاد القرآن نفسه فى ألفاظه
وآياته بذلك :

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ
وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴾ (الأنعام ٩٢)

﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾

(هود ١)

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾

(يوسف ٢/١)

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾
(النحل ١٠٣)

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧﴾ ﴾

(الإسراء ٨٢)

﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾

(الإسراء ١٠٦)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿٣﴾ فِيمَا يَنْذِرُ بِأَسَاسٍ شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٤﴾ ﴾

(الكهف ٢ / ١)

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ

﴿ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ ﴿١١٣﴾

(طه ١١٣)

﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ ﴿٥٠﴾

(الأنبياء ٥٠)

﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ تُنْكِرُ صَوْنَ ﴿٦٦﴾
مُسْتَكَبِرِينَ بِهٖ سَمِراتِهِمْ جُرُونِ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ
ءَابَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾
أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كِرْهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

(المؤمنون ٦٦ / ٧٠)

﴿ تِلْكَ آيَةُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ ﴿٢﴾ (الشعراء ٢)

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ
عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُونا
بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ
مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾

(الشعراء ١٩٣ / ١٩٩)

﴿ طَسَّ تِلْكَ آيَةُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠٣﴾

(النمل ١ / ٢)

﴿ طَسَمَ ۙ اِتِّتْ اِلَيْكَ الْكِتَابُ الْمُبِينُ ﴿٢٠٤﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَاِ
مُوسٰى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُوْنَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾

(القصص ١ / ٣)

﴿ اَوَلَمْ يَكْفِهِمْ اَنَّا اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلٰى عَلَيْهِمْ اٰتِىَ فِي
ذٰلِكَ لَرَحْمَةٍ وَذِكْرٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُوْنَ ﴿٢٠٦﴾ ﴾

(العنكبوت ٥١)

﴿ تِلْكَ اٰتِىَةُ الْكِتَابِ الْحَكِيْمِ ﴿٢٠٧﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِيْنَ ﴿٢٠٨﴾ ﴾

(لقمان ٢ / ٣)

﴿ تَنْزِيْلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيْهِ مِنْ رَّبِّ الْعٰلَمِيْنَ ﴿٢٠٩﴾ ﴾

(السجدة ٢)

﴿ وَمَا عَلَّمْنٰهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِيْ لَهُ ۚ اِنْ هُوَ اِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِيْنٌ ﴿٢١٠﴾ ﴾

(يس ٦٩)

﴿ كِتٰبٌ اَنْزَلْنَاهُ اِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِّيَذَّبَ رُءُوسَ الْاٰتِفِیْنَ وَلِيَتَذَكَّرَ اُولُو الْاَلْبٰبِ ﴿٢١١﴾ ﴾

(ص ٢٩)

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝۱ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝۲ ﴾

(الزمر ١ / ٢)

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَقَّشَ غُرْمَهُ جُلُودَ
الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ
هُدًى مِنَ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝۳ ﴾

(الزمر ٢٣)

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝۴ ﴾ (غافر ٢)

﴿ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝۵ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ وَقُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝۶ ﴾

(فصلت ٢ / ٣)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝۷ لَا يَأْتِيهِ
الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝۸ ﴾

(فصلت ٤١ / ٤٢)

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا

الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾

(الشورى ٥٢)

﴿ حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ
حَكِيمٌ ۝ ﴾

(الزخرف ٤ / ١)

﴿ حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ
إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ ﴾

(الدخان ٣ / ١)

﴿ حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ ﴾

(الجاثية ٢ / ١) ، (الاحقاف ٢ / ١)

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ
﴿ ٦ ﴾

(الجاثية ٦)

﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ۖ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا

عَرِيبًا يُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾

(الأحقاف ١٢)

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ
قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا
سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى
الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾

(الأحقاف ٢٩ / ٣٠)

(ق ١)

﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ ﴾

ولقد شهد القوم بهذا :

لقد قال فيه عتبة بن ربيعة :

قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله والله ما هو
بالشعر ، ولا بالسحر ولا بالكهانة .

يامعشر قريش أطيعوني واجعلوها بي وخلوا بين هذا
الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي
سمعت منه نبأ عظيماً (١٤٣) .

وقال فيه الوليد بن المغيرة :

(١٤٣) ابن هشام ج ١ ص ٢٩٤ ، راجع السيرة لابن كثير ج ١ ص ٥٠٥ ، الشفاء
ج ٢ ص ٥٢٧ .

« والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق ، وإن فرعه لجناة »
« إن عليه لطلاوة وإن له لنورا وإنه يعلو وما يعلى عليه » .
« والله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه ،
مغدق في أسفله وإنه ليحطم ما تحته وإنه ليعلو وما يعلى
عليه » (١٤٤) .

تقول الروايات : إن عقبة بن ربيعة أمسك بقم رسول
الله ﷺ وناشده الرحم أن يكف عن القراءة عندما وصل
إلى قوله تعالى :

﴿ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ (فصلت ١٣)

وقال لقومه : قد علمتم أنه لا يكذب أبدا فخفت نزول
العذاب عليكم فأطيعوني واعتزلوه (١٤٥) .

وصدق الله العلي العظيم .

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ

بِعَايَتِ اللَّهَ يَجْحَدُونَ ﴾ (٣٣)

(الأنعام ٣٣)

(١٤٤) الوفاء ج ١ ص ٢٠٣ ، راجع السيرة لابن كثير ج ١ ص ٤٩٩ ، دلائل النبوة
للبيهقي ج ١ ص ٤٤٦ المراهب اللدنية ج ١ ص ٢٥٠ ، راجع الطبية ج ١
ص ٣٣٩ .

(١٤٥) المواهب ج ١ ص ٢٥٨ ، السيرة لابن كثير ج ١ ص ٥٠٣ ، الطبية ج ١
ص ٣٤٠ ، دلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص ٤٥٠ / ٤٥١ .

قال في الشفاء :

فإنهم لا يكذبونك ، لا ينسبونك إلى الكذب ولا يتهمونك به
ولا ينكرون أمانتك وديانتك .

قال على كرم الله وجهه : قال أبو جهل للنبي ﷺ : إنا
لا نكذبك في الصدق والأمانة ولكن نكذب بما جئت به من
القرآن (١٤٦) .

قال ابن كثير في تفسيرها :

لا يتهمونك بالكذب في نفس الأمر ولكنهم يعاندون الحق
ويدفعونه بصدورهم (١٤٧) .

وأما شمول الدليل على عناصر الإقناع فقد عرضنا نماذج
لها في كتابنا «منهج القرآن في إثبات العقيدة الإسلامية» وشمل
— أدلة التوحيد والتنزيه .

— ووجدانية الصفات .

— ووجدانية التدبير .

— ووجدانية التصرف في الملك .

— كما شملت بعث الوجدان الفطري لإدراك وجدانية الله جل
جلاله .. الخ .

وهي كلها أدلة للخلق والقصد والإبداع والتدبير .

وهي كلها دون تحزلق أو تشدق تشمل كل أنواع الأدلة .

(١٤٦) الشفاء جـ ١ ص ١٧٨ / ١٧٩ .

(١٤٧) راجع تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٢٩ .

العقلية .

والوجدانية .

والفطرية الأولى .

﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا اللَّهَ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٌ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِيكَ الْآبْصَرُوهُ وَيُدْرِيكَ الْآبْصَرُطُ
وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

(الأنعام ٩٥ / ١٠٣)

إن هذا السياق يشبه في تدافعه وإيقاعاته على العمل
والحس مجرى النهر وهو يتدافع بالأمواج المتلاحقة لا تفر
واحدة منها حتى تأتيها لاحقة تدفعها من الخلف وتتشابك
معها في مجراها المتصل .

وهي كلها في تدافعها وتشابكها تسمو فوق حد الروعة
الباهرة وتأخذ على النفس كل أقطارها وتغلق على النفس كل
دروب الهرب وهي تهزها بالروعة الباهرة والحيوية الدافعة
وتقول للإنسان : هذا هو ربك الذي خلق فسوى وقدر فهدى
فيشاهد السامع كأنما الآي تنبثق عن مدلولاتها في التماغ لآلاء مشرق
تجلى للحواس وللقلب في بهاء أخاذ يبلغ آفاق الروعة .
واللفظ القرآني في آية قوى الدلالة على كل ما تزخر به
الحقيقة الأصلية في عقيدة الإسلام .

هاهو ذا المرء يقف أمام القوة الخارقة المعجزة التي تقع في
كل لحظة من الليل ومن النهار إنها خارقة في انبثاق
الحياة النابضة من هذه المواد الهامدة .

« فالق الحب والنوى » لا ندري كيف ينبثق ولا ندري من
أين جاءت اللهم إلا أنها من عند الله وانبثقت بقدرته .
وهاهو ذا المرء يقف أمام دورة الفلك العجيب الدائبة

السرمدية الدقيقة فالق الإصباح وجعل الليل سكنا .
ويقف كذلك أمام نشأة الحياة في النبات ويشاهد من
التدفق النوراني للآيات مشاهد الأمطار الهائلة والزرع
النامية وأثماره اليانعة وتحشد له الحياة حشدا ليتأمل
ويشاهد ليعى الحس المتحفز والقلب المتفتح .

وكأنما الوجود يرى لأول مرة حيا شابا مزهرا معطرا
متحركا تدب في أوصاله الحركة تنطق بذاته عن وحدة خالقه
دالا بآياته على تفرده جل شأنه بالربوبية والملك والتدبير .
حتى ليبدو للعاقل - والسياق يواجه بهذه الآيات جماعة
المشركين - أن الشرك غريب على الفطرة ، غريب على فطرة
الوجود وغريب على فطرة الإنسان فينطق القلب السليم
ويشهد الحس الواعى وتنشد العواطف الكريمة إلى تلك
الحقيقة

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾
(الأنعام ١٠٢)

ومع هذا فقد قدم القرآن الكريم عرض الدعوة في أسلوب
عبرى التسلسل في مجموعة السور المكية التى سجلت حياة
الدعوة الإسلامية في ظلال البيت العتيق .

(١٤٨) مع التصريف في ظلال القرآن جـ ٧ ص ٢٠٨ / ٢١١ راجع حول هذا من خضارة
الإسلام جـ ١ ص ١٦ / ١٧ .

ففي سورة الأنعام عالج القرآن قضية العقيدة على أنها القضية الكبرى والقضية الأساسية فهي القاعدة الرئيسية للعبودية الصحيحة لله رب العالمين .

وعالج مع قضية العقيدة قضية الطعام ، فالطعام يغذى القلب بالدم والقلب محل الاعتقاد فإذا ما طهر مما ذبح على الأصنام والأوثان والنصب فقد خلص القلب لنور الحقيقة أما إذا تغذى القلب بلحوم النصب والأصنام فقد قسى وأظلم، وقد سمعت فضيلة مولانا الدكتور عبد الحليم محمود أثناء زيارته للكلية الإسلامية بماليزيا أستاذًا زائرًا يقول ، إن أكل لحم الخنزير مفسد للأخلاق يجعل العرض والشرف أمرا هينا .

وتأتى سورة الأعراف : فتعالج موضوع العقيدة بطريق آخر أنها تعرض العقيدة في مجال التاريخ البشرى ، مجال رحلة البشر كلها من آدم وقصته ، مع المدى المتطاوّل تسير السورة مع موكب الإيمان من لدن آدم إلى سيدنا محمد ﷺ ، تعرض هذا الموكب وهو يحمل « لا إله إلا الله » ويمضى بها على مدار التاريخ مواجهًا بها البشرية جيلًا بعد جيل ، ويرسم سياق السورة في تتابعه : كيف استقبلت البشرية هذا الموكب وما معه من الهدى وكيف خاطبها هذا الموكب وكيف جاوبته ؟

وكيف وقف الملا منها لهذا الموكب بالمرصاد وكيف تخطى هذا الموكب أرصادها ومضى في طريقه إلى الله .

وكيف كانت عاقبة المكذبين ، وعاقبة المؤمنين في الدنيا والآخرة (١٤٩) ؟

— وسورة الفرقان : فيها أدلة الرسالة ودحض لافتراءات الكافرين .

— وسورة الشعراء : فيها إثبات للرسالة بطريق آخر ، إنها تثبت الرسالة بالحوار والتسلسل والقراءة .

— وسورة النمل : إثبات للوحي كفضل من عند الله يمنحه لمن يشاء كما منح داود وسليمان ملكا ونبوة .

— وسورة القصص : تحديد لمدى ما يملكه البشر بالمال والسلطان إن جاءه حق الله وغضبه .

— وسورة العنكبوت : تعرض حاصل نتائج الدعوة التي بلغها الأنبياء وعاقبة المكذبين .

— وسورة الروم : تدريب للعواطف على تخير صداقة الجانب الإلهي وفيها محاصرة للفرد بعدد من الأدلة على صدق : رسالة سيدنا محمد ﷺ .

— وسورة لقمان : رد على المواجهة الثقافية وتعليم للبشر وتحديد لقدراتهم بالنسبة لسلطان الله وجلاله .

— وسورة سبأ : حصر الحمد لله وحده ودعوة الكافرين للتفكير المنظم ليصلوا إلى الحق الذي يجحدونه ظلما وعلوا .

- وسورة فاطر : بيان كامل عن السلطان الإلهى وأن الناس جميعا فقراء إلى الله .
- وسورة يس : مثل عملى للطائعين بالفطرة وإن لم يأتهم دليل ولا أقيمت لهم حجة ومثل كذلك للمعاندين الجاحدين دين الله للهوى والبغى .
- وسورة الصافات : تصفية وجلاء لحقيقة الدين من العبث البشرى .
- وسورة ص : مقارنة بين أحوال المؤمنين الطائعين وأحوال الكافرين الذين ردوا الحق انحرافا وعبثا وغيا .
- وسورة الزمر : تحديد لموقف المسلم وبيان لطبيعة سلوكه ومداه .
- وسورة غافر : النموذج العملى لهذا الموقف الذى حددته من قبل سورة الزمر .
- وسورة الشورى : توضيح لحقيقة الدين ووحدته وهيمنة الرسالة المحمدية على كل ما سبقها من رسالات .
- وسورة الزخرف : بيان لهيمنة الكتاب الكريم الخاتم على كل الكتب السماوية الأولى ومعالجة لعدد من قضايا التدين التى ابتدعها البشر انحرافا وجذافا .
- وسورة الدخان : قرع للمشاعر وهز عنيف للقلوب ، وجذب للبشر من نواصيهم ليدخلوا في دين الله الحنيف .
- وسورة الجاثية : هجوم على القلب ، وضرب فى الأحاسيس

والمشاعر ليستيقظ ضمير الإنسان وتسلم فطرته حتى يعود إلى رحاب ربه حيث الأمان والراحة .

— سورة الأحقاف : تقرير وتأييد للمعاندين المتجافين مع الفطرة والطبع المتزن الذي أحست به الجن فأسلموا لما سمعوا كتابا يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم دون أن يطالبوا النبي ﷺ بدليل أو برهان .
لقد فهمت الجن معانى القرآن فأمنوا ورجعوا إلى قومهم يدعونهم إلى الايمان .

﴿ يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجْرِكَم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ وَمَنْ لَا يُجِيبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾
(الأحقاف ٣١ / ٣٢)

لقد عرضت الدعوة الإسلامية عرضاً واضحاً تفردت به على طول الزمن .
لقد فهمها الجن قبل البشر ولسانها هو لسان القرآن ،
عربي مبين .

ولقد أحاط اللفظ القرآنى بجميع جلال المعانى فى جاذبية انسيابية حلوة تستجيب لها العاطفة النيرة ، وينشد إليها القلب الصادق . ويتلذذ بحلاوتها الوجدان السليم .
لقد عرض اللفظ القرآنى الدعوة لكل أجزاء الموضوع

متخذاً كل زاوية من زوايا الفكر والوجدان والتاريخ في جملة ما ساقه حتى لا تكون للناس حجة بعد هذا التوضيح الواضح .

وليس هناك أدنى شك في أن عرض الدعوة الإسلامية امتياز وحده بالوضوح الدائم على طول الزمن الممتد ، وأن غيرها من الدعوات لم ينل هذا الحظ لعجز البشر عن توضيح هدفه وفساد صنعة التعبير التي تصدر عن الإنسان فشتان ما بين وحى معصوم هو كلام الله المجيد ، وإنشاء مرذول هو كلام البشر الوضيع .

فهل يقدر العاملون في الدعوة أن يعرضوا قضايا الدعوة بمثل هذا الوضوح والبرهنة بعيداً عن الإثارة والشغب وأساليب الوجاهة التي لا تبغى إلا الشهرة والعصبية والاتجار .. ؟

سادساً - إيجاد استقطاب حول الدعوة :

من عوامل منهج التغيير الاجتماعي إيجاد استقطاب حول الدعوة أو المبادئ .

والدراسات الاجتماعية تركز اهتماماً بالغاً في منهج العمل مع الجماعة على حدوث تغيير في البيئة ينشد به الناس حول المبادئ المرغوب في تنفيذها كعنصر أساسي من عناصر النجاح المطلوب .

والاستقطاب أنواع فقد يكون جزئيا وقد يكون كليا حسب قيمة الداعية وثقله الاجتماعي والفكري ، والأخلاقى .
ولا تعرف الحياة الإنسانية والفكرية على السواء داعية قط أحدث استقطابا كاملا حوله وحول دعوته غير سيدنا محمد ﷺ ، فلقد أنشأ نحوه ونحو دعوته أجيالا من العلماء والمفكرين منذ نشأ في جوار البيت العتيق حتى أذن له بالجوار في الرفيق الأعلى .

لقد استقطب محمد ﷺ حوله الفكر الإنسانى كله سواء المسلمون الصادقون أو المسلمون المتهوكون أو الكافرون المنصفون أو الكافرون المتعصبون .

لقد ألف في سيرته ومبادئه خلق كثير .

لقد ألف فيه كاتبو اللسان العربى .

وآلف فيه كاتبو اللسان الإنجليزى .

وآلف فيه كاتبو اللسان الفرنسى .

وآلف فيه كاتبو اللسان الأندونيسى .

وآلف فيه كاتبو اللسان الماليزى .

وآلف فيه كاتبو اللسان الفارسى .

وآلف فيه كاتبو اللسان الصينى واليابانى ... الخ .

ولقد بلغت هذه المؤلفات في كل لغة حدود المئات حتى صار في كل مكتبة ومعهد وجامعة ودولة وجنس ولغة كتاب عن الإسلام وعن نبيه الكريم .

فصار أمر الإسلام واضحاً كل الوضوح ليس فيه سر مكتوم ولا أحاجى يغمض تفسيرها ففي أيدي الناس على اختلاف أسنتهم وجنسياتهم: تاريخه ودعوته ومبادئه وسلوكه ومنهجه ، وهم يعلمون من أمر محمد ﷺ كل صغيرة وكبيرة منذ ولادته ورضاعه وشبابه حتى بعثته .

وأن قبره المعطر الكريم لأثبت في سنده التاريخي من كل تواريخ العظماء وجميع أصحاب الدعوات .

فماذا يعرفه الناس عن زرادشت وكونفشيوس ؟

وماذا يعرفه التاريخ عن سولون وسقراط ؟

وماذا يعرفه التاريخ عن موسى وعيسى عليهما السلام ؟

أما قبر محمد ﷺ فهو منزله الذي كان يعيش فيه وتلقى فيه الوحي وخرج منه للجهاد الخالص في سبيل الله وهو المشكاة التي شمع نورها على الدنيا كلها .

ولا يزال المسلمون ينشدون إلى الروضة الشريفة وهم على ثقة أن هنا كان يجلس النبي ﷺ وكان يستقبل الوفود ، ويدرب الجيش على السلاح ويلقى مواعظه وتوجيهاته فتتشد قلوبهم الطيبة مع الذكريات العظيمة وهم يؤمنون أن كان النبي محمد ﷺ معلم البشر أجمعين (١٥٠) .

(١٥٠) راجع حول هذه المعاني : الرسالة المحمدية للاستاذ سليمان الندوى
ص ٦٣ / ٥٩ .

ومنذ القدم والرسول ﷺ قد رسم للعمل مع الجماعة منهج الاستقطاب كعامل مثير مغير للبيئة إلى الاتجاه الأفضل المرغوب فيه .

لقد قلقت الدعوة الإسلامية كل الثقافات الموروثة في البيئة العربية لتحل محلها تصورا جديدا في العقيدة والأخلاق والمعاملات .. وقد أنشد المجتمع تلقائيا إلى هذا الاستقطاب الذي أحاط بالمنطقة كلها منذ فجر الإرهاصات بالنبوة .

يروى ابن هشام : أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم : يامعشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم وأن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ويرد قولكم بعضه بعضا .

قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقول به قال : بل أنتم فقولوا أسمع ؟ قالوا : نقول كاهن ؟ قال : لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه ، قالوا : نقول : مجنون ؟؟ قال : ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته قالوا : فنقول شاعر ؟ قال : ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر ، قالوا : نقول : ساحر ؟ قال ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم قالوا : فما

نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناة وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل وأن القول فيه لأن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته فتفرقوا على ذلك (١٥١) .

إن معنى هذا أن النبي ﷺ أحدث استقطاباً حول الدعوة وصل إلى أطراف البيئة إذ خشيت جماعة الكافرين في مكة من انجذاب الحجاج القادمين من الخارج الذين سمعوا عن الإسلام ، إلى الدخول فيه فألهب ذلك قلوب قريش خوفاً وهلعاً وحيرهم في التعرف على رأي يتفقون عليه ليكون وسيلة إعلام مضادة يشككون بها في دعوة الإسلام .

وما تحير الوليد بن المغيرة على علو منزلته وشرفه في القوم إلا لمعرفته بالحق الذي جاء به محمد ﷺ ولكنه العمى الذي يختم به الشيطان على القلوب والصدور ومع أنه قد نفى السحر أولاً لكنه لم يجد له مخرجاً من استخدام إنكاراً وتعنناً ضد الدعوة الإسلامية .

ومع هذا فإن الأحداث التي وقعت فيما بعد تبرهن على فشل المواجهة التي شنّها الكافرون وأن الاستقطاب الذي أحدثته الدعوة الإسلامية حول مبادئها قد أثمر .

(١٥١) ابن هشام ج ١ ص ٢٧٠ / ٢٧١ دلائل النبوة ج ١ ص ٤٤٧ / ٤٤٨ الوفا ج ١ ص ٣٠٢ / ٣٠٣ .

ففي الخصائص الكبرى : أن الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث : أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها فمشى إليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا فقالوا له : أنت قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا فرق جماعتنا وشتت أمرنا وإنما قوله كالسحر يفرق بين المرء وأبيه وبين الرجل وأخيه ، وبين الرجل وزوجه وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه ..

قال فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت على أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفا فرقا من أن يبلغني شيء من قوله : فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة فقممت قريبا منه فأبى الله إلا أن يسمعني ، بعض قوله فسمعت كلاما حسنا فقلت في نفسي : إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعني من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول . فإن كان الذي يأتي به حسنا قبلت وإن كان قبيحا تركت فمكثت حتى انصرف إلى بيته فتبعته فقلت : إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا فأعرض على أمرك فعرض على الإسلام وتلا القرآن فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه فأسلمت (١٥٢) .

(١٥٢) الخصائص جـ ١ ص ٢٣٦ ، الطيبة جـ ١ ص ٤٠٣ ، الوفا جـ ١ ص ٢٠٤ / ٢٠٥ السيرة لابن كثير جـ ٢ ص ٧٢ / ٧٣ .

لقد اختار القوم كلمة السحر كدعاية مشوهة ولكن الاستقطاب الذي نشرته الدعوة كان له جاذبية أقوى فأنشد الطفيل رغم ما قالوه عنده وانجذب إلى معرفة الحق الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ فلما سمع وهو رجل لبيب شاعر لا يغيب عنه تمييز الحق من الباطل أسلم وكان إسلامه خيرا عميما على الإسلام .

والنضر بن الحارث اللبيب المتفهب وهو من أشد الأعداء للإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام تزلزله جاذبية الاستقطاب فيقول في حيرة وغيظ وكمد :

يامعشر قريش أنه والله قد نزل لكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد ، فقد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحرا ، لا والله ما هو بساحر لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم كاهنا لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم ، وقلتم شاعرا والله ما هو بشاعر قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه ، وقلتم مجنونا لا والله ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون فما هو بحنقه ولا وسوسته

ولا تخليطه يامعشر قريش فانظروا في شأنكم فإنه والله لقد
نزل بكم أمر عظيم (١٥٣) .

هكذا كان عمق الاستقطاب في النفوس تصديقاً وجدانياً
داخلياً متفقاً عليه من جميع الكافرين .

إنه ليس مجنوناً ولا كاهناً ولا شاعراً ولا ساحراً ...
ولكنهم مع هذا الانجذاب الوجداني يكابرون ويجادلون
بالباطل ... وكانت القافلة تسير غير أبهة بمعوق .

قدم ضماد مكة وهو رجل من أزد شنوءة وكان يرقى من
الرياح فسمع سفهاء الناس يقولون إن محمداً مجنون ،
فقال : أتى هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي قال فلقيت
محمداً فقلت : إني أرقى من هذه الرياح وأن الله يشفى على
يدي من يشاء فهل ؟ فقال رسول الله ﷺ « إن الحمد لله
نحمده ، ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ به من شرور
أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن
يضله فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
وأن محمداً عبده ورسوله ..

فقال ضماد : أعدهن على ؟ فأعادهن فقال : والله لقد
سمعت قول الكهنة وقول الشرك فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات

(١٥٣) ابن هشام ج-١ ص ٢٩٩ / ٣٠٠ ، دلائل النبوة للبيهقي ج-١
ص ٤٤٨ / ٤٤٩ الشفاء ج-٢ ص ١١٠ / ١١١ .

ولقد بلغن قاموس البحر فهل يدك أبايعك على الإسلام
فبايعه (١٥٤) .

لقد فشلت أسلحة الدعاية وخابت مساعي المتهوكين
وما زالت القافلة تسير غير أبهة بمعوق .

ففى السيرة لابن هشام . أن عشرين رجلاً أو قريباً من ذلك
من النصارى قدموا على رسول الله ﷺ وهو بمكة حين بلغهم
خبره من الحبشة فوجدوه فى المسجد فجلسوا إليه وكلموه
وسألوه ورجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة .

فلما فرغوا من مساءلة رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم
رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا
القرآن فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله وآمنوا به
وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره
فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام فى نفر من قريش
فقالوا لهم : خيبكم الله من ركب بعثكم من روائكم من أهل
دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم
عنده حتى فارقتهم دينكم وصدقتموه بما قال ؟ ما نعلم ركبا
أحق منكم أو كما قالوا لهم ؟ فقالوا لهم : سلام عليكم
لا نجاهلكم (١٥٥) .

(١٥٤) الخصائص الكبرى جـ ١ ص ٣٣٤ ، حياة الصحابة جـ ١ ص ٥٣ ، الوفا جـ ١
ص ٢٠٠ السيرة لابن كثير جـ ١ ص ٤٥٣ ، الحلبية جـ ١ ص ٢٨٤ ، السيرة لابن كثير
جـ ٢ ص ٤٠ دلائل النبوة للبيهقى جـ ٢ ص ١٠ / ١١ .
(١٥٥) ابن هشام جـ ١ ص ٣٩١ / ٢٩٢ الحلبية جـ ١ ص ٢٨٤ السيرة لابن كثير
جـ ٢ ص ٤٠ .

لقد خرج أبو جهل وجماعته على حدود الأدب في مجابهة هذا الوفد الكريم الذي جاء مستجيباً لنداء الله وانجذب بالروحانية التي استقطب بها نبي الدعوة سيدنا محمد ﷺ بيئات الدعوة في مكة وخارجها .

ولئن كانت أطراف الجزيرة من بعيد قد أنشدت في وثاق حبيل إلى الدعوة فإن القوم في داخل مكة قد أنشدوا إليها كذلك غير أنهم يحملون صدوراً صدئة وقلوباً مظلمة وعقولاً متحجرة وأذاناً صماء وعيوناً عمياء ، وأفئدة خاوية .
فقد روى ابن هشام :

* « أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس ابن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي من الليل في بيته فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلوراكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا واستمعوا له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا

فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد
ألا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا .
فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى
أتى أبا سفيان في بيته فقال أخبرني أبا حنظلة عن رأيك فيما
سمعت من محمد ؟

فقال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف
ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها ،
قال الأخنس : وأنا والذي حلفت به كذلك .
قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته
فقال : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال :
ماذا سمعت تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا
فأطعمنا ، وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تحاذينا
على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من
السماء قمتي ندرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به أبدا
ولا نصدق ، قال : فقام عنه الأخنس وتركه (١٥٦) .

ينطق النص بمقدار العمق الذي أحدثه الاستقطاب حول
الدعوة الإسلامية حتى أنشد إليها ثلاثة من كبار القوم ومن
فحول الكفر دون إرادة ولا وعى ودون موعد ولا اتفاق فلما

(١٥٦) ابن هشام ج ١ ص ٣١٥ / ٣١٩ ، الخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٨٥ / ٢٨٦
السيرة لابن كثير ج ١ ص ٥٠٦ ، دلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص ٤٥٢٤ / ٥٣ .

كشفهم الصباح مرات ثلاث تعاهدوا وحلفوا على الكفر والضلالة .

ومفهوم هذا النص أنه ليس في الوجود الفكري والإصلاح الاجتماعي رجل قط مثل محمد ﷺ استطاع أن يحدث استقطاباً لا شعورياً حول الدعوة والداعية إلى درجة شد الخصوم من عناقيد أفكارهم بالليل ليبيتوا ثلاث ليال سوياً يستمعون فيها القرآن حتى أحسوا بلذة روحانية ملكت عليهم مشاعرهم فعاودوا الكرة مرات ثلاث حتى عاودهم ماران على قلوبهم من قبل فأغمضوا أعينهم عن نور الحقيقة وأغلقوا قلوبهم عن دخول الإيمان .

ولقد أكسبت هذه المعارضة الدعوة الإسلامية انتشاراً في البلاد والقبائل التي كانت تفقد للحج .
يقول ابن هشام :

فتفرقوا فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا له أمره . وجعلوا يقولون ذلك في رسول الله ﷺ لمن لقوا من الناس وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها (١٥٧) .

وفي الخصائص عن مسلم عن أبي ذر قال : انطلق أخى

(١٥٧) بتصرف ابن هشام جـ ١ ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

أنيس إلى مكة ثم أتاني فقال : لقيت رجلاً بمكة يزعم أن الله أرسله ، قلت ما يقول الناس ؟ قال : يقولون : إنه لشاعر وساحر وكاهن ، وكان أنيس أحد الشعراء فقال : لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وصفت قوله على إقراء الشعراء فوالله ما يلتئم على لسان أحد بعدى إنه شعر ووالله إنه لصادق وإنهم لكاذبون (١٥٨) .

فساعدت قريش بهذه المعارضة على توسيع رقعة الاستقطاب ، والناس فطرياً مجبولون على حب الاستطلاع ، وكل قاطن في بيته بعيد عن الجاذبية القرشية فهو طليق التفكير من ضغط العادات وجاذبية التقاليد فسوف يفكر بأسلوب سليم نقي من غوغائية الجاهلة التي يعيش فيها أبو جهل والوليد وعتبة والنضر وأبوسفيان والأخنس بن شريق .

لقد آمن ضماد من أزد شنوءة ومثيله في الصحة النفسية والسلامة العقلية الطفيل بن عمرو من أول مرة يستمعون فيها إلى آى الذكر الحكيم وقد جاءوا من بعيد كما آمن معهم وفد نجران الذى قال لأبى جهل وهو يسفه عليهم ، سلام عليكم لا نجاهلكم .

ولم يؤمن النضر بن الحارث ولا أبو جهل ولا الوليد وقد

(١٥٨) الخصائص جـ ١ ص ١٨٧ ، وراجع الشفاء جـ ٢ ص ٤٩٨ راجع مسلم جـ ٤ ص ١٩٢٠ تخريج المرحوم الأستاذ عبد الباقي .

اتفقوا على أن الذى يقوله محمد ليس مثل كلام البشر وأنه لا يكذب قط أبداً ... فقد حاولوا أن يخلعوا أنفسهم من استقطاب الإيمان الذى حاصرهم وجدانياً فأغلقوا دونه القلوب والإسماع ، ولكنهم فتحوا بهذا الموقف العنيد آفاقاً فسيحة ونشروا بهذا الجحود والمكابرة والمواجهة استقطاباً شاملاً فى أنحاء البيئة من قريب ومن بعيد .

يقول ابن هشام :

فلما انتشر أمر رسول الله ﷺ فى العرب وبلغ البلدان ذكره بالمدينة ولم يكن حى من العرب أعلم بأمر رسول الله ﷺ حين ذكر وقبل أن يذكر من هذا الحى من الأوس والخزرج وذلك لما كانوا يسمعون من أحبار اليهود وكانوا حلفاءهم ومعهم فى بلادهم ، فلما وقع ذكره بالمدينة تحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف .

قال أبو قيس بن الأسلت أخو بنى واقف - وكان يحب قريشاً - قصيدة يعظم فيها الحرمه وينهى قريشاً فيها عن الحرب ويذكر فضلهم وأخلاقهم ويأمرهم بالكف عن رسول الله ﷺ ويذكرهم ببلاء الله عندهم ودفعه عنهم الفيل وكيدهم عنهم (١٥٩) .

هكذا أثار الرسول الكريم ﷺ بيئة الدعوة باستقطاب شامل كامل ساعدت فى اتساع رقعة الجبهة المعارضة « والله

جنود السموات والأرض » وتلك واحدة من امتيازات الدعوة الإسلامية يوم أن تكون خالصة لوجه الله يأتيها نصره من حيث لا يعلم الدعاة .

وما أحوج الدعوة الإسلامية في العصر الحديث إلى هذا المستوى من العمل يجذب إليها الناس كافة إذ يسمعون عنها سلوكاً مطبقاً ووجوداً عياناً فيه الخلاص والطمأنينة والأنس والسعادة تعلو فيه أسماء الله الحسنى وتخضع فيه النفوس كلها لجلال الله العظيم .

سابعاً : السلوك المطابق للمبادئ

أفرغت يا أبا الوليد ؟

بهذا الأدب الجم واستعمال الكنية في مخاطبة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وبنداء رخی هادئ يتحدث الرسول ﷺ إلى عتبة مجيباً عليه بعد أن تحدث طويلاً وأفرط في الحديث وذكر كلاماً يثير الحليم ويهيج العفيف ويغضب الحر ... لقد تحدث عتبة بكلام بذىء غير موقر لقد عرض فيما عرض على النبي ﷺ .

« أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً وأخذاً . وإن كان إنما بك من الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً » (١٦٠) .

هذا عرض رجل جاهل لا يعرف أقدار الناس ولا منازل الرجل فقد عرفت قريش محمداً ﷺ في شبابه أعف الرجال نفساً وأطهرهم قلباً وأتقاهم خاطراً وما هفا هفوة صغيرة فقد عصمه الله وكان هو الأمين وحده دون سائر شباب قريش وشيوخها أجمعين .

(١٦٠) الروض الأنف جـ ٣ ص ١٤٩ ، الفصائص الكبرى جـ ١ ص ٢٨٣ الوفا بأحوال المصطفى جـ ١ ص ٢٠٢ .

لقد كان أرضاهم وهو صغير فماذا حدث لعقولهم بعد أن جاءهم ، لقد أبرز النبي ﷺ مبادئ الدعوة في رده : أفرغت يا أبا الوليد في هدوء هادئ واتزان رزين وصفح كريم وعفو صادق .

يقولها رسول الله ﷺ معلناً بها أن مبدأ العمل مع الجماعة في نظر الدعوة هي مطابقة سلوك الداعية إلى المبادئ الإسلامية .. فتلا عليه القرآن حتى وصل إلى قوله تعالى : ﴿ فَأَنْذَرْتَكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثُمُودَ ﴾ فأمسك عتبة بقم رسول الله ﷺ خوفاً من نزولها فإنه يعلم أن محمداً لصادق وأنه ما كذب أبداً فبات ذلك في التاريخ شهادة عليه وأنه ساعة أن عرض ما عرضه على النبي ﷺ كان غير كريم السجية ، وغير صادق من مسعاه ... وإن رد النبي ﷺ بات في سجلات التاريخ وشهادة رائعة الدلالة على أن الإسلام ما يرجو للبشرية إلا خيراً يحقق لها السعادة والأمن والتكريم (١٦١) .

* ولم يكن ذلك الحلم مرة واحدة لقد كان منهجاً في أسلوب العمل للدعوة ، لقد ذهب رسول الله ﷺ إلى الطائف يدعوهم إلى عبادة الله وحده وهي دعوة صريحة في احترام الإنسان

(١٦١) راجع القصة في : السيرة لابن هشام جـ ١ ص ٢٩٥ السيرة لابن كثير جـ ١ ص ٥٠٤ / ٥٠٥ ، المواهب اللدنية جـ ١ ص ٢٥٦ السيرة الحلبية جـ ١ ص ٢٣٩ الوفاء جـ ١ ص ٢٠١ .. الخصائص الكبرى جـ ١ ص ٢٨٣ / ٢٨٤ .

نفسه وتوقيره لذاته أن يتوجه بالعبادة إلى الله الحق الذى يملك السموات والأرض وأن يترفع الإنسان عن الانحطاط الذى يزاوله بالسجود إلى حجر أو خشب صنعه بيده ، ثم هو لا يملك لنفسه قطميراً من خير أو شر ، وهى دعوة تتفق مع العقل العادى الذى يفكر تفكيراً عادياً مستقيماً ، وكذلك هى دعوة إلى الحق فيما كان عليه الأباء الأَطهار سالفاً قبل الانحراف الذى جره عمرو بن لحي (١٦٢) ولكن القوم أدوا رسول الله ﷺ بصورة شنيعة قاسية لا تتفق مع الواجبات الأخلاقية لضعف أو قريب أو عابر سبيل .

لقد سلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونهم ويصيحون به ويرضخونه بالحجارة حتى أدموا رجله وهم يضحكون .

السلوك العادى هنا أن تتفجر النفس غيظاً وحنقاً وأن يود الإنسان أن لو كان معه قوة السماء والأرض ينتصر لنفسه من هذه الأهزوة التى فعلها قوم ثقيف ، وتأتى قوة السماء .. بجنودها تستأذن رسول الله ﷺ فى أن تطبق الأخشبين على قوم ثقيف وهذه القوة إذ تأتى فى لحظة حرارة النفس والموقف مازال ملتهباً ، تأتى وهى تقص عليه الوقائع التى حدثت كأنما تعلل مجيئها بإقامة العدل .

(١٦٢) الحلبية جـ ١ ص ١١ راجع كذلك كتابنا : آلهة فى الأسواق .

إن الله قد سمع قول قومك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم .

ويقول ملك الجبال للنبي ﷺ :

أنا ملك الجبال وقد بعثني ربى إليك لتأمرنى بما شئت ، فإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (١٦٣) ..

ولكن الإسلام دعوة لصالح الناس، والنبي ﷺ رحمة للعالمين فهل تبقى المبادئ الإسلامية نظرية فقط ؟ هنا يأتى دور التطبيق فيقول النبي ﷺ :

بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ، ولا يشرك به شيئاً (١٦٤) ويصفح رسول الله ﷺ الصفح الجميل ويدعو دعاء ندياً رخيماً أخاذاً بالنفس والمشاعر والوجدان يعلم الداعية فى كل زمن كيف يكظم غيظه ، ويعفو عن قومه ويدعو ربه :

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى ؟ أم إلى عدو ملكته أمرى ؟

(١٦٣) هما جبلان : تارة يضافان لمكة وتارة يضافان لمنى فقال : اخشبا مكة واخشبا منى وهما أبوقيس وقعيقعان « بالتصغير » ويسميان أيضاً الجبجبان راجع الشفاء شرح نسيم الرياض جـ ٢ ص ٨٢ .

(١٦٤) الشفاء جـ ٢ ص ٨٢ ، الدرر ص ٦٧ / ٦٨ والطبية جـ ١ ص ٣٩٥ / ٣٩٦ السيرة لابن كثير جـ ٢ ص ١٥٢ ، المواهب اللدنية جـ ١ ص ٢٩٨ ، الخصائص جـ ١ ص ٤٥٢ مسلم جـ ٣ ص ١٤٢١ / ١٤٥٠ .

إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » (١٦٥) .
وحق لك الجبال أن يقول للنبي ﷺ : أنت كما سماك ربك رءوف رحيم (١٦٦) .

وصدق صاحب الهمزية :

جهلت قومه عليه فأغضى فهو بحر لم تعيه الأعياء
وسع العالمين علما وحلما وأخو الحلم دابه الإغضاء

* ولم يكن ذلك في مكة فقط .

بل إن هذا المنهج استمر مع الدعوة في كل ظروفها يخلصها الله ويجعل كل حركة فيها ابتغاء وجه الله ويبرهن في كل مصيبة يأتي بها الأعداء ، أن الدعوة ما تقصد إلا تكريمهم وتوقيرهم وإعزازهم واحترامهم ، ففي الشفاء :

روى أن النبي ﷺ لما كسرت رباعيته وشج وجهه الكريم يوم أحد شق ذلك على أصحابه وقالوا : لودعوت الله عليهم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام :

(١٦٥) السيرة لابن هشام ج ١ ، ص ٤٢٠ ، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٤٥ .

(١٦٦) الحلية ج ١ ص ٣٩٦ .

إنى لم أبعث لعانا ولكن بعثت داعياً ورحمة : اللهم اهد
قومى فإنهم لا يعلمون (١٦٧)

إنهم حقاً لا يعلمون طريق الحق فما زالوا فى غواية النفس ،
ولا يعرفون قدر النبي ﷺ فما زالوا فى حجاب من الجاهلية
الأولى ولا يعرفون حقيقة الإسلام فقد طمسوا قلوبهم بثقافة
الأجداد ، وجعلوا على سمعهم ختماً وران على قلوبهم ما كان
به يافكون .

* لقد كان السلوك المطابق هو نهج العمل مع الجماعة الذى
كان يوصى به رسول الله ﷺ القيادة التى تعمل معه فى حقل
الدعوة الإسلامية .

لما أسلم الطفيل بن عمرو الدوسى وعاد إلى قومه يدعوهم
إلى الإسلام أبطأوا عليه فأنف الطفيل منهم الإبطاء فهو رجل
وجيه فى قومه وأنه للبيب ذكى مشهور بالألمعية والفطنة
والرجاحة وما كان يظن أن قومه لا يلبثون ملياً إذا دعاهم إلى
الإسلام حتى يجيبوا داعى الله ... فلما أبطأوا عليه جاء إلى
رسول الله ﷺ بمكة فقال له : يا رسول الله إنه قد غلب على
دوس الزنا فادع الله عليهم ؟

لقد ضاقت نفس الداعية ونفذ صبره وكره من قومه
الاستمرار فى الضلالة والانحراف ولكنه هو ذاتياً واثق من

دعوته ومبادئه فاستعان برسول الله ﷺ أن يدعو الله عليهم ليهلكهم .

ولكنه منطوق لا يتفق مع عالمية الإسلام واستمراره إلى يوم القيامة فليس من بعد الإسلام دين آخر حتى يهلك هؤلاء ثم يأتى قوم آخرون ولهم نبي آخر كما فعل بأشياء الكافرين في الغابر ، إنه دين خاتم ورسالة سرمدية إلى يوم القيامة ومنهج يربى ويسوس ويبنى لخير الإنسانية كلها .

ولهذا قال النبي ﷺ ..

« اللهم اهد دوسا » .

ثم قال للطفيل :

« ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم » (٦٨) .

لقد كان الخلق الفاضل والمؤانسة والوداد والصفح هي أسلوب العمل مع معاندى الدعوة حتى تبرز معالم الإسلام وحقائقه وأفضاله ولهذا كان الرسول ﷺ دائماً ودوداً ، رءوفاً ، صفوحاً وكان لا ينادى الواحد من أعداء الدعوة إلا بالكنية المؤدبة والاسم اللطيف .

ففى الخصائص الكبرى ، عن المغيرة بن شعبه قال : إن أول يوم عرفنا رسول الله ﷺ أنى أمشى أنا وأبوجهل بن هشام فى بعض أزقة مكة إذ لقينا رسول الله ﷺ فقال رسول

(١٦٨) السيرة لابن كثير جـ ٢ ص ٧٤ ، الحلبية جـ ١ ص ٤٠٣ / ٤٠٤ ، الروض الأنف جـ ٣ ص ٣٧٨ ، الروض الأنف جـ ٣ ص ٣١٧ ، الوفا جـ ١ ص ٢٠٦ .

الله ﷺ لأبى جهل يا أبا الحكم : هلم إلى الله وإلى رسوله
أدعوك إلى الله .

إن سلطة محمد في قومه معروفة ومكانته مشهورة ومركزه
وحده فريد في القوم وأبوجهل واحد من كبار أعداء الله
ورسالته ولكن أسلوب التعامل هنا هو أن يظهر الداعية
أخلاقيات الدعوة عملياً فيناديه الرسول الكريم عليه أفضل
الصلاة والسلام يا أبا الحكم (١٦٩) إن اسمه المشهور به :
عمرو بن هشام بن المغيرة ابن أخ الوليد بن المغيرة (١٧٠) من
أسرة تعادى الله ورسوله وجماعة المسلمين ولكن الداعية
الأول ﷺ يبسط إليه القول في لين وسماحة ومودة كسلوك
عملى لمخاسن الإسلام ، وتطبيق وجودى لأخلاقياته حتى
يظهر للخصم أن المعركة ليست أنانية وإنما هى لخير الخصم
نفسه أن يتوب إلى الله الذى خلقه وأنعم عليه بكثير الآلاء .

ولذا فما كانت تحمل نفس رسول الله ﷺ ألما لواحد من
المجابهين للدعوة العتاة القساة في تصرفاتهم نحو المسلمين
الأول فلقد كان يدعو ربه أن يعز الإسلام بأحد الرجلين اللذين
أطنبا في السخرية بالإسلام والمسلمين ، ففي الدلائل
للبيهقى :

(١٦٩) الخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٨٦ .

اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك (١٧١) .
قال في الخصائص رواية عن الطبراني : عن أنس أن
رسول الله ﷺ دعا عشية الخميس فقال :
اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمر بن هشام ،
فأصبح عمر يوم الجمعة فأسلم (١٧٢) .

ولقد كان عقبة بن أبي معيط من كبار المستهزئين بالإسلام
وبالمسلمين وكان كثير الأذى لرسول الله ﷺ قال فيه ﷺ :
كنت بين شر جارين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط أن كانا
ليأتيان بالروث فيطرحانها على بابي .

ومع هذا فإن صاحب الحلبية يروى أن رسول الله ﷺ كان
يكثر من مجالسة عقبة بن أبي معيط (١٧٣) ، ويدعوه إلى
الإسلام ..

« لقد كان رسول الله ﷺ على المستوى الرفيع في تحمل
أعباء الرسالة وكان عمله الكريم نبزاً لمنهج العمل مع
الجماعة في المستقبل وقد أثبت القرآن الكريم ذلك » يقول الله
تعالى :

(١٧٠) الخصائص الكبرى جـ ١ ص ٢٨٠ تعليق .
(١٧١) الدلائل للبيهقي جـ ٢ ص ٢ ، راجع الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٢
ص ٢٦٧ .
(١٧٢) الخصائص الكبرى جـ ١ ص ٣ ، ٣٣ راجع الحلبية جـ ١ ص ٢٦٧ ، المواهب
جـ ١ ص ٢٧٢ .
(١٧٣) الحلبية جـ ١ ص ٢٥٢ .

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١٧٤)

(هود ١١٢)

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١٩٩)

(الأعراف ١٩٩)

﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ
ءَاَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا
وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَأُحْجَبَ يَدَيْنَا وَيُنْكَرُ اللَّهُ
يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (١٥)

(الشورى ١٥)

ولقد وصفه الله جل شأنه :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم ٤)

قال ابن كثير في تفسيرها : عن قتادة : سئلت عائشة عن

(١٧٤) من العيوب التي لحقت ببعض الذين امتحنوا في سبيل الدعوة أنهم لا شعورياً يتصرفون بأسلوب الذين ظلموهم انتقاماً من شيء كانوا يرهبونه فلم يحسنوا بذلك لسمعة الدعوة وبعضهم تحول إلى مقامر بالدعوة فنظم لنفسه « شلة » ضد إخوانه ، وضد المجتمع الذي يعيش فيه فخرج عن المبدأ أصلح نفسك وادع غيرك .

خلق رسول الله ﷺ قالت : كان خلقه القرآن (١٧٥) .
يقول شيخنا العارف بالله فضيلة الدكتور عبد الحليم
محمود : وحقيقة الأمر أن رسول الله كان في كل ما يدعه قرآنا
مطبوقاً ، ومن ذلك كان قوله سبحانه وتعالى في بيان ذلك في
شأنه ﷺ

﴿ إِنِ اتَّبَعُوا إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ ﴾ (يونس ١٥)

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم ٤)

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(الجاثية ١٨)

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ
مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾

(الرعد ٣٧)

كانت تأتيه الدنيا فينفقها وهو جالس ، أتى إليه صلوات
الله وسلامه عليه سبعون ألف درهم فوضعها ، - كما يروى

(١٧٥) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٠٢ ، راجع الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١
ص ٣٦٤ .

هارون بن رباب - على حصر ثم قام إليها يقسمها فما رد سائلاً حتى فرغ منها .

لقد كان رسول الله ﷺ مثلاً وأسوة لتطبيق مبادئ الدعوة سلوكياً حتى كانت حقيقة نفسه الشريفة من حقيقة الرسالة وكانت عظمة نفسه الزكية من عظمة هذه الرسالة .

إن الحقيقة المحمدية كالحقيقة الإسلامية أبعد من كل مدى يملكه مجهر مكبر بشرى وقصارى ما يملكه راصد لعظمة محمد ﷺ التي يراها ولا يقدر على حدودها أنه كان لهذه الرسالة نبياً فلولاه ما كنت لغيره ولو كانت ما كانت إلا له .

إن محمداً ﷺ وحده هو الذى يرقى إلى هذا الأفق من العظمة ، إنه وحده هو الذى يبلغ قمة الكمال الإنسانى المجانس لنفحة الله فى كيانه هو ، هو الذى أعد خاصة لهذه الرسالة الكونية العالمية حتى لتتمثل فى شخصيته الحية إنه وحده أهل لهذا المقام الرفيع - والله أعلم حيث يجعل رسالته - ولهذه فقد كان خلقه القرآن ، وكان وصفه العظيم ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾ (ن - ٤) وليس غير محمد ﷺ يطبق هذا الثناء من جلال الله وهو ثابت لا ينسحق تحت ضغطها الهائل ولا تأرجحت شخصيته تحت وقعها الجليل ، لقد كان هو ذاتياً دليلاً على عظمة شخصيته فوق كل دليل وتلك هى السوية البشرية للأنبياء وكان هو وحده الأسوة الحسنة التى يتأسى بها الدعاة فى كل عصر وحين .

ولقد شهد العصر الحديث بهذه الأسوة وتطبيق مبادئ الدعوة رجل من الأذكياء المنصفين من متمذهبي البراهمة سئل : بماذا كان رسول الإسلام عندك أكمل رجال العالم ؟ فأجاب : لأنى أجد فى رسول الإسلام خلافاً مختلفة وأخلاقاً جمّة وخصالاً كثيرة لم أرها اجتمعت فى تاريخ العالم لإنسان واحد فى آن واحد ، فقد كان ملكاً دانت له أوطانه كلها يصرف الأمر فيها كما يشاء ، وهو مع ذلك متواضع فى نفسه يرى أنه لا يملك من الأمر شيئاً وأن الأمر كله بيد ربه .

وتراه فى غنى عظيم تأتية الإبل موقورة بالخزائن إلى عاصمته ويبقى مع ذلك محتاجاً ولا توقد فى بيته نار لطعام الأيام الطوال وكثيراً ما يطوى على الجوع .

ونراه قائداً عظيماً يقود الجند القليل العدد الضعيف العدد فيقاتل بهم ألوفاً من الجند المدجج بالأسلحة الكاملة ثم يهزمهم شر هزيمة وتجده محباً للسلام مؤثراً للصلح ويوقع شروط الهدنة على القرطاس بقلب مطمئن وجأش هادئ ومعه ألوف من أصحابه كل منهم شجاع باسل وصاحب حماسة وحمية تملأ جوانحه .

ونشاهده بطلاً شجاعاً يصمد وحده لآلاف من أعدائه غير مكترث بكثرتهم وهو مع ذلك رقيق القلب رحيم رءوف متعفف عن سفك قطرة دم .

وتراه مشغولاً بجزيرة العرب كلها بينما هو لا يفوته أمر

من أمور بيته وأزواجه وأولاده ومن أمور فقراء المسلمين
ومساكينهم ويهتم بأمر العالم كله ، وهو مع ذلك متبتل إلى الله
منقطع عن الدنيا فهو في الدنيا وليس فيها لأن قلبه لا يتعلق
إلا بالله وبما يرضى الله (١٧٦)

— لقد كان رسول الله ﷺ أسبق الناس إلى عمل ما يأمر به ،
يقول الشيخ الندوى :

ومن أفضل سيرته وأعلاها أنه بعد ما أوحى إليه لم يأمر
أتباعه وأصحابه بأمر إلا وقد سبقهم إلى العمل به (١٧٧) .

ولقد حدد بذلك رسول الله ﷺ قاعدة من قواعد منهج
العمل مع الجماعة وهى اتحاد السلوك مع المبادئ التى يدعو
إليها ... ولهذا استحق هذا المنهج صبراً طويلاً على مشقة
التبليغ وعداوة المكابرين ، فياويل المعاصرين من الدعاة الذين
لم يوفقوا لهذا التأسى .

(١٧٦) الرسالة المحمدية ص ٨٧ .

(١٧٧) الرسالة المحمدية ص ١٠٨ .

ثامناً : الصبر وتحمل المشاق

﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۝١٠٩ ﴾

(يونس : ١٠٩)

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝١٠٨ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ فَتِلْكَ آيَاتُهُ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١٠٩ وَلَقَدْ جَاءَكَ ذِكْرُنَا مِن قَبْلِكَ ۚ هَٰذَا فَاصْبِرْ ۚ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ ۝١١٠ ﴾

(هود : ٤٩)

﴿ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝١١٥ ﴾

(هود : ١١٥)

﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۝١٢٧ ﴾

(النحل : ١٢٧)

﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۚ ﴾

(الكهف : ٢٨)

﴿ فَأَعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ ﴾ (مريم : ٦٥)

﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ
غُرُوبِهَا وَمِنْ أَنَايِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ۝١٣٠﴾

(طه : ١٣٠)

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾

(الروم : ٦٠)

﴿ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝١٧﴾

(ص : ١٧)

﴿ فَاصْبِرْ إِنِّي وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ۝٥٥﴾

(غافر : ٥٥)

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمًا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ
نَتُوفِينَكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ۝٧٧﴾

(غافر : ٧٧)

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ۝٣٥﴾

(الأحقاف : ٣٥)

﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ

﴿ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ٣٩ ﴾

(ق : ٣٩)

﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ٤٨ ﴾

(الطور : ٤٨)

﴿ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ٤٨ ﴾

(القلم : ٤٨)

﴿ فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ٥ ﴾ (المعارج : ٥)

﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ١٠ ﴾

(المزل : ١٠)

﴿ وَلِرَبِّكَ فَأَصْبِرْ ٧ ﴾ (المدثر : ٧)

﴿ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ٢٤ ﴾

(الإنسان : ٢٤)

من أساسيات العمل مع الجماعة أن تبرز الأهداف التي يدعى إليها في جو طبيعي بعد أن يتحلى بها الدعاة سلوكاً عملياً .

وقد التزمت القيادة في ظلال العمل المكي بالسلوك المطابق

للمبادئ الإسلامية تنقية للدعوة في صورتها العملية من أدنى شائبة تحسب ذلك لأن الفرد المسلم هو مرآة الإسلام . ولهذا فإن الدعوة الإسلامية في عهدنا المكي قد تجنبت صداماً مسلحاً حتى تعطى فرصة كاملة لإبراز معالم الدعوة وحقيقة الإسلام ولذلك التزمت بالصبر الإيجابي الذي يزاوِل العمل في إخلاص مع التحمل لشدائد الأمور .

ولو سمح القرآن الكريم للجماعة الإسلامية بالدفاع عن النفس في هذه المرحلة لما أمكن الدعوة أن ترى للناس على طول الحياة إنها دعوة لخير الإنسانية وكانت مشادات في محيط الأسرة بين الولد ووالده والعبد وسيدته والمرأة وزوجها ، ولصح للكافرين يومها أن يقولوا إن محمداً ﷺ يفرق بين المرء وزوجه وبين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه .

وليس ذلك هو الهدف ولا هو المنهج كذلك ، ولذلك أكد القرآن في هذا العهد المكي ضرورة التحلي بالصبر كمنهج ، وهو صبر إيجابي يزاوِل أعمال الدعوة مع التحمل لأذى الكافرين .

ماذا يكون يا ترى لو وقعت المعارك في كل بيت ؟ أيكون هذا هو الإسلام ؟ أيكون ذلك هو الهدف الذي يدعو إليه محمد ﷺ .

لقد قيلت دون حرب أو مقتلة أو معركة أن محمداً ﷺ يفرق بين المرء وزوجه .

لقد قيلت مع الأمر بالكف عن القتال ، لقد قيلت مع الأمر بالالتزام بالصبر فماذا يقال يا ترى لو أن القرآن الكريم أذن بالقتال في هذا العهد ؟ هنا تبرز حكمة التذرع بالصبر كواحدة من أساسيات العمل مع الجماعة وهذا هو الداء الذي تعانيه الدعوة الإسلامية في العصر الحديث .

إنه لابد من مرحلة يبرز فيها بالسلوك العملي أن دعوة الإسلام دعوة لخير الإنسان ولكرامته وعزمه واحترامه ، ولن تبرز هذه المعالم إلا إذا صفى الدعاة أنفسهم من كل شبهة تعوق هذه المعالم ، وعن الظهور ولهذا يتكرر الأمر بالصبر في السور المكية على النحو الذي ذكرنا له نماذج ليعلم المشتغلون بالدعوة الإسلامية أن من منهج العمل مع الجماعة لتبليغ الدعوة « الصبر الطويل » الذي يمكن الغير من التعرف على امتيازات الإسلام .

وقد جعل الله ابتلاء الدعاة في كل عصر تدريباً تربوياً ليخلصهم إلى طاعته وينقيهم من كل شبهة ويمحصهم من كل آفة .

﴿ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۚ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۚ ﴾

(العنكبوت : ١ / ٣)

توجد هذه الظاهرة كقانون إلهي

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجْدَلَ سُنَّةَ اللَّهِ
تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب ٦٢)

وهي اختبار يصفى الله به العاملين والمبلغين رسالاته ولقد
كان من معالم هذا الطريق :

* أن سيدنا نوحاً عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا
خمسین عاماً يدعوهم إلى توحيد الله جل شأنه وهو عمر يتيم في
حياة الدعوة لم يتكرر بعد - والله أعلم - ولكن قومه وضعوا
أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا
استكباراً ، فأخذهم الطوفان وهم ظالمون .

* وسيدنا إبراهيم عليه السلام لبث عمراً مديداً لم يحدده
القرآن الكريم وكانت نتيجة جهاده فآمن له لوط . وترك قومه
وتبرأ منهم وقال :

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾

(الصافات ٩٩)

* وسيدنا موسى عليه السلام ترهق حياته أعصاب المتتبع
لها ، فهو يولد في جو يشيع فيه فرعون الرعب والإرهاب
والذعر ، وتقوم حكومته بإعدام أطفال بني إسرائيل ويولد
موسى في هذا الجو القاسي الرهيب ، ويرمى في البحر في تابوت
من الخشب ويلقيه اليم إلى ساحل فرعون العاتى القاسى

المتجبر الذى أصدر أوامر الإعدام على الأطفال الرضع ، وإذا
فكيف ينجو موسى .

وألقي الله العلى العظيم فى قلب آسيا رقة ورأفة بموسى
فتقول لهم :

﴿ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا 》 (القصص ٩)

وهى إشارة بعيدة أنها هى المتحدثة وهى القائلة : « عسى أن
ينفعنا » فالمنفعة لها لصنفها من المؤمنين - مثلها .

ويعاف موسى الأتداء كلها ... وكانت أخته تقصه ثم تدخل
القصر وتقول لهم :

﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ 》
(القصص ١٢)

ويعود موسى إلى أمه كما وعد الله جل شأنه :

كيف كانت أخت موسى تقصه ؟

وكيف استطاعت أن تصل إلى مستوى المشورة والتناصح

للقصر الفرعونى ؟

وكيف لا يشك فى موسى وقد عاد إلى بيت من بيوت بني

إسرائيل ؟

وذلك كله أمر الله وجلاله وقدرته يقدمها القرآن فى العصر

المكى نموذجاً لمضايق العمل الإسلامى وكيف ينقيها الله من

عتو الجاهلين .

ثم يشب موسى ويدعو إلى الإصلاح ... وتضطره الظروف إلى الهجرة وفي الطريق لا تتركه الأحداث هادئاً فيرى على ماء مدين امرأتين تذودان والناس في شح لم يرحموا ضعفهما ولا قلة حيلتهما وهو رجل عابر سبيل فتأخذه الشفقة والرحمة امتثالاً لمبادئه العليا فيسقى لهما، ويبرز هنا كذلك سؤال كيف استطاع موسى أن يمنع الناس وهم جمع في بلادهم وهو رجل غريب ؟ وكيف انصاع الناس إليه ؟ ذلك أمر الله يلحظ فيه الداعية كيف ييسر الله للمخلصين كل سبيل يسهل إلى الخير ويحقق النفع للناس .

وفي مدين يمكث عشر حجج يرجع بعدها مع أهله فتأتيه الرسالة بطريق الخطاب المباشر دون قدرة على الرؤية ويتحمل قولاً ثقيلاً :

﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ (طه ٢٤)

ويبدأ موسى بتنفيذ أمر ربه وتكون طريقة الخلاص من فرعون جد شاقة فيؤمر من عند ربه

﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴾ (الدخان ٢٣)

وحتى بعد الخلاص أثناء السير قال له أصحابه : « إنا لمدركون » من شدة الهلع والخوف .

حتى إذا ما نجوا قالوا :

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ (الاعراف ١٣٨)

فتمر دعوة موسى عليه السلام في تسلسل من الصعوبات والامتحانات والابتلاءات ذلك لأن طبيعة الدعوة دائماً تحتاج إلى صبر في عرضها وصبر على مجابها خصومها ولهذا رفض رسول الله ﷺ أن يستنصر بالدعاء على كفار مكة لبيدهم الله بهلاك من عنده نظير ما فعلوه في جماعة المسلمين ، ففي البخارى .. حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا بيان وإسماعيل قالا : سمعنا قيسا يقول : سمعت خبابا يقول : أتيت النبي ﷺ وهو متوسد : بردة وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت : ألا تدعو الله ؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال : لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله - زاد بيان - والذئب على غنمه (١٧٨) .

وفي رواية زاد : ولكنكم تستعجلون (١٧٩) .
لقد كانت المدرسة النبوية تربي القيادة على أمثل مستوى

(١٧٨) البخارى فتح البارى جـ ٨ ص ١٦٥ / ١٦٦ ، المواهب اللدنية جـ ١ ص ٢٦٦ ، دلائل البيهقي جـ ٢ ص ٥٧ .
(١٧٩) السيرة لابن كثير جـ ١ ص ٤٩٦ ، الفتح الربانى جـ ٢٠ ص ٢٢٢ ، راجع فتح البارى جـ ٧ ص ٤٣١ / ٤٣٢ .

يجردها من كل هوى وشائبة لتخلص النوايا والنفوس لله رب العالمين ، وكانت هذه التربية تتمشى مع التوجيه القرآنى ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ (الأحقاف ٣٥)

فكانت توجه القلوب والحواس إلى رضوان الله وإلى الصبر والتحمل حتى يأذن الله بما يشاء لهذه الطليعة الأولى فى حياتها الدنيا وفى حياتها الأخرى على السواء .
كان الرسول ﷺ يرى عماراً وأمه وأباه رضى الله عنهم يعذبون أشد العذاب فى مكة فما كان يزيد على أن يقول لهم : صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة وفى رواية : صبرا آل ياسر ... اللهم اغفر لآل ياسر .. (١٨٠) .

إن العمل للدعوة الإسلامية بمنهج الصبر وقانون التحمل للمشاق ذلك فإن الصبر جهاد والجهاد فريضة والصبر واحد من ألوان هذا الجهاد .

إن جهاد النفس على وساوس الشيطان نوع من الجهاد . والجهاد بالصبر على المكاره فى مواجهة أعداء الإسلام نوع من الجهاد والتغلب على شهوة الدنيا العاتية نوع من الجهاد (١٨١) .

(١٨٠) الطيبة جـ ١ ص ٢٣٧ .

(١٨١) راجع كتابنا : الجهاد فى الإسلام طدار القلم بالكويت .

والدعوة الإسلامية في دور العرض تحتاج إلى نوع خاص من الجهاد هو جهاد الصبر لتمحص المسلم وتجرده من كل شهوة وهوى وتتأكد من صلاحيته للعمل الإسلامي بعيداً عن كل لون ثقافي يتأثر به، مثل :

الثأر والعصبية للجنس ، أو حب الدنيا ، وإيثار الراحة .
إن الفترة المكية كانت فترة تربية وإعداد لقوم معينين وسط ظروف معينة هي ظروف المجتمع العربي الجاهلي الذي يؤثر في حياته مواريث الآباء والأجداد فكان من أهداف هذه التربية تدريب الذات العربية على الصبر واحتمال الشدائد التي لا يصبر عليها بالعادة من الضيم على شخصيته أو من يلوذون به حتى يخلص جسده وعقله وقلبه ووجدانه وفكره لله رب العالمين وحتى يتجرد من ذاته وذات من يلوذون به فلا تكون الذات هي المحور لحياته ولا هي الدافع لتحركه في وجوده .

وكانت كذلك تربية على ضبط الأعصاب حتى لا يندفع الرجل العربي وراء حماسه لأي مؤثر يشعل حميته ، وحتى لا يهتاج لأول مهيج وذلك حتى يتم الاعتدال في طبيعته وحركته .

وكانت كذلك تربية على أن يتبع أسلوب حياة جديدة تحت قيادة جديدة يرجع إليها في كل شيء ويأخذ عنها جميع أمور حياته ولا يتصرف إلا وفق ما تأمره به مهما يكن الأمر مخالفاً

لألوفه وعاداته ومواريثه ، وقد كان ذلك هو حجر الأساس في إعداد شخصية الرجل العربى لإنشاء نواة المجتمع الإسلامى الذى يخضع لقيادة مواجهة من الوحى بعيداً عن السلطان البشرى الضال المزيف .

إن إعداد النفوس وتربيتها بناء صعب يحتاج إلى زمن طويل وصبر طويل لكى يعطى فرصة واسعة لمن وضع نفسه فى موضع الخصومة ليتفكروا ويتأملوا ويبحثوا أسباب ردهم للدلائل والبراهين التى طال شرحها وطال عرضها ، ويبحثوا كذلك أسباب تخلق المسلمين بالصبر مع القدرة على اتخاذ موقف دفاعى كما حدث من عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى بدل عنفه على المسلمين قوة لهم ، وغير ظلمه إياهم عدلاً لمبادئهم ودعوتهم بعد أن استروحت نفسيته عبير الدعوة واستنشقت رئتاه نسيم الإيمان فتذوق حلاوة الإسلام فانقاد فى قوة عارمة وعاد من تجبره ليكون للمسلمين عوناً ومعيناً ومساعداً ونصيراً ، وتلك واحدة من آثار منهج الصبر وشاء الله أن يكون ذلك دائماً هو طابع العمل فى الدعوة لما يعلمه جل شأنه من أن بعض المعاندين يفتنون أوائل المسلمين عن دينهم ويعذبونهم ويؤذونهم بأنفسهم سيكونون من جند الله ومن قادة الدعوة المخلصين فيما بعد .

هذه الخلفية التى تحتاجها الدعوة فى مرحلة العرض تحتاج كذلك إلى إيمان بالتفويض المطلق إلى الله جل شأنه فى

تسيير مجريات النصر وأسبابه للدعوة الإسلامية، فإن النصر :
معناه ووقته وسببه والذين سيشهدون ملابساته أمور موكولة
إلى الله وحده فإنها مقادير عليا تخضع للسلطان الإلهي
فحسب ﴿ له مقاليد السموات ﴾ وما على الدعاة إلا أن يخلصوا
العمل لوجه الله حسب منهاج الدعوة وأن يؤدوا واجبهم ثم
يذهبوا، وواجبهم هنا هو: أن يختاروا الله ورسوله والقرآن
الكريم ، غاية وزعيماً ودستوراً ، وأن يؤثروا العقيدة على كل
متاع الحياة في أوج عظمتها وأن يستعلوا بالإيمان على الفتنة
في أشد قسوتها وأن يصدقوا الله في العمل والنية ثم بعد ذلك
ليفعل الله بهم وبأعداء دينهم ما يشاء .

وإذن فإنه لمن الخطأ الكبير في عصرنا الحديث أن نسأل
متى نصر الله ؟

إن نصر الله لا بد أن لأنه وعده الكريم ولن يخلف الله وعده
أبداً ، ولكن مفهوم النصر ليس هو التسلط ولا الحكم وليس
هو المال والجاه ، وليس موطنه الحياة في الأرض فقط .
إن مجال المعركة ليس هو الأرض وحدها وليس هو الحياة
الدنيا وحدها وشهود المعركة ليسوا هم الناس في جيل من
الأجيال .. بل إن الملأ الأعلى يشارك في أحداث الأرض ويشهد
عليها ويزنها بميزان خاص غير ميزان الأرض في نوع من
أجيالها بل في أجيالها جميعاً والملأ الأعلى يضم مع الأرواح
الكريمة أضعاف أضعاف ما تضم الأرض من الناس ، وما

من شك أن ثناء الملائكة والملا الأعلى وتكريمه أكبر وأعظم وأجل وأنفس وأرجح في أى ميزان من رأى أهل الأرض وتقديرهم وموازينهم على الإطلاق ... وبعد ذلك هناك الآخرة وهى المجال الأصل الذى يلحق به مجال الأرض إن طوعا وإن كرها ثم هو لا ينفصل عنه لا فى الحقيقة الواقعة ولا فى الحس المؤمن فيما يتعلق بهذه الحقيقة .. فالمعركة إذن لم تنته وخاتمتها الحقيقية لم تجيء بعد والحكم عليها بالجزء الذى عرض منها فى الأرض فى وقت ما أو فى الأوقات كلها غير دقيق بل وغير صحيح لأنه حكم على الشطر الصغير الأدنى والشطر الزهيد الطائش وصدق الله العلى العظيم :

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا
فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾

(غافر : ٧)

ثانياً : مرونة الأساليب

- ١ - طول النفس في عرض موضوع الدعوة .
- ٢ - التكافؤ في المواجهة .
- جـ - إيقاف الحرب من أجل السلام .

١ - طول النفس في عرض موضوع الدعوة :

كان الإقناع أو محاولة تعريف العقلية العربية بأساليب النقاش والحوار الهادف من أجل معرفة الحقيقة أسلوباً أساسياً من أساليب الدعوة الإسلامية في عرض قضايا التوحيد على القوم على نحو ما شرحناه سالفاً .

ولما كان ذلك الأسلوب أساسياً في عمل الدعوة فقد امتاز بطول النفس وعدم التعجل في النتائج على نحو ما سنشرحه في هذا الجزء من الدراسة :

الإقناع هو أحد وسائل الدعوة ، وقد سبقت الدعوة الإسلامية إلى هذا الاتجاه في العمل مع الجماعة بفوارق جمة .

— إن الإقناع في نظر الدعوة الإسلامية يقوم على احترام المخاطب في مشاعره ، وعقليته وأدميته ، وقد أوجب الله على المسلم الصدق والوضوح وحرّم الكذب والغدر والخيانة . ولذا فقد استخدمت الدعوة عديداً من أدلة الإقناع .

لقد قدمت لهم الدعوة أدلة البراهين العقلية والوجدانية ،
وجرتهم بأساليب الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى ، وردت
على كل سؤال أثاره الخصم ، وأشركتهم في عملية الإقناع
بطرح العديد من الأسئلة التي لا تجد عندهم من جواب إلا
أن يقتنعوا ويؤمنوا .

وقد وضحت هذا في العرض السابق آنفاً .
ولما كانت الدعوة الإسلامية طويلة النفس فإنها لم
تستعجل النتائج ، ولم ينفد صبرها لغلظة القول وغلظة الرد بل
كررت الدعوة وسائلها وغيّرت من أساليبها لأن هدفها هو
توصيل الحقائق عن طوعية واختيار .

فالنبي ﷺ يصنع طعاماً لأهل الكفر يجمعهم في بيته ويولم لهم
وليمة فإذا ما بدأ يحدثهم عن الإسلام قاموا وانصرفوا ..
يعرف هذا حديثاً بما يسمى : طعام عمل : سواء كان غذاء ،
أو عشاء ولم يكن انصراف القوم داعياً إلى انصراف النبي ﷺ
عنهم أو اتخاذ موقف معاد فقد جاء لهدايتهم وعليه ﷺ
أن يكرر والمواقف لعلمهم يهتدون .. فكرر النبي ﷺ
المأدبة مرة ثانية وجاء القوم وحدث النقاش . وجاء عبد الله بن
أم مكتوم والقوم يناقشون في أمر الإسلام .

لقد كان القوم من الكبار : عتبة بن ربيعة وأبو جهل بن
هشام ، والعباس بن عبد المطلب وهم سادة والناس على دين
ملوكهم فلو أسلموا لتبعهم أقوامهم وكان ابن أم مكتوم قد

أسلم فهو من مناصري الدعوة التي يدعو رسول الله ﷺ القوم إليها تلك حادثة سجلها القرآن الكريم رداً على ما أثاره القوم أن القرآن من تأليف محمد ﷺ فهو شهادة للنبي ﷺ أنه بلغ الرسالة وأن القرآن من عند الله جل شأنه .

ولقد دفع نقاش الكفار إلى معركة مستمرة وصار هناك شبه استقطاب كامل حول قضية التوحيد فقد انعقد مؤتمر محلي يجمع : عتبة بن ربيعة ، وأخاه شيبه ، وأبا سفيان بن حرب ، والنضر بن الحارث ، وأبا النجزي بن هشام ، والأسود بن عبد المطلب بن أسد وزمعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية والعاصي بن وائل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، وأميه بن خلف وقرروا إيفاد سفارة عنهم لتتحدث مع محمد بن عبد الله ﷺ ... وعرضوا عليه أموراً كثيرة (١٨٢) وكانت نهاية النقاش انتصار الدعوة الإسلامية فقد قال سيدهم : قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا هو بالسحر ، ولا بالكهانة : يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيماً ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب ، فملكه ملككم ، وعزه عزكم . وكنتم أسعد الناس به .

(١٨٢) تراجع هذه الامور في سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٢٩٤ / ٢٩٨ .

تلك هي سمة من سمات الإصرار الذي اختصت به الدعوة الإسلامية . أما القوم فقد ردوا بقولهم : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه فقال لهم عتبة بن ربيعة : هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم .

ولم يكن رأي عتبة وقتياً بل كان رأياً ثابتاً رغم أنه استمر مع القوم في ضلالتهم إلا أن الذي استخلصه من النقاش مع النبي ﷺ شكل رأياً ثابتاً عنده ففي يوم بدر قال عتبة للقوم : يا معشر قريش : إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه : قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذاك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألقاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون (١٨٢) .

هكذا نجحت الدعوة في الإقناع فقد استمر عتبة بن ربيعة على الرأي الذي قاله في شأن محاربة الإسلام زهاء خمسة عشر عاماً ولكنه للأسف وللعناد الذي أصابه خرج يوم بدر للمبارزة فقتله الصحابي الجليل عبيدة بن الحارث أحد الأكفاء الكرام الذين خرجوا للمبارزة يوم بدر . وكان إصرار الدعوة الإسلامية في تبليغ الدعوة آية في العمل الأخلاقي فهذا أبو سفيان بن حرب يشهد مع أمية بن

(١٨٢) ابن هشام ج ١ ص ٦٢٢ .

الصلت قبل البعثة أن أخباراً تملأ الصوامع نبأ نبى سبيعث قريباً ، وأمى بن أبى الصلت يظن أنه ذلك النبى فلما ظهر محمد ﷺ قال أبو سفيان لأمى فما بالك لا تتبعه قال : لقد كنت أقول لبنات قريش إنى أنا هو فكيف أتبعه غير أن أبا سفيان ينكر النبوة ويحاول فيها ويستمر الجدل حتى تجره جاذبية القرآن مع نفر من قريش الأخنس بن شريق وأبى جهل ويذهبون فرادى لا يعلم كل بصاحبه ويبينون الليل يستمعون إلى القرآن الكريم والنبى ﷺ يتلوه فى صلاة الليل وفى آخر مرة ذهب الأخنس بن شريق إلى كل واحد من أصحابه يسأله عن رأيه فيما سمع فيقول أبو سفيان فى لولية دبلوماسية مثل الديبلوماسية المعاصرة : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ، ولا ما يراد بها فيوافقه الأخنس .

وتكون الدعوة الإسلامية على الأقل قد جعلت رجلين من ثلاثة فى موقف الحياد وظل هذا الحياد متأرجحاً بين البقاء على الحيادية أو المجابهة حتى تأتى نتائج الدعوة سليمة . فمثلاً نجد الأخنس بن شريق يوم بدر يرجع عن القتال ويرجع معه حلفاؤه من بنى زهرة وكان ذلك أيضاً هو رأى أبا سفيان بعد أن نجا بالتجارة (١٨٤) .

(١٨٤) راجع السيرة لابن هشام ج ١ ص ٦١٨ / ٦١٩ .

قال في الإصابة : اسمه : أبى وإنما سمي بالأخنس لأنه
خنس يعنى رجع يوم بدر أسلم وشهد حنيناً ومات في أول
خلافة عمر (١٨٥) .

ولئن كانت الدعوة الإسلامية طويلة النفس فهي لا تتسرع في
جنى الثمار بل تنظر إلى مستقبل النتائج ولو طال عمرها أو
كانت النتائج في الاتباع فأبو جهل لم يكن كافراً لأنه لم يقتنع
بالأدلة بل قالها سافرة عندما سأله الأخنس بعد المبيت ثلاث
ليال يستمعان فيها إلى القرآن ، قال أبو جهل : « ماذا
سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف : أطعموا
فأطعمنا وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تحاذينا
على الركب ، وكنا كفري رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من
السماء فمتى ندرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً
ولا نصدقه (١٨٦) .

غير أن ولده عكرمة كان من خيرة القادة الذين ادخرهم الله
لحروب الردة إذ لا يمكن أن يدرك مستوى الإجحاف بالعقيدة
مثل رجل ظل يعاندها ردحا طويلاً ثم يدخلها بعد صفاء
ووضوح فعندما يرى الذين دخلوها لعة يريدون تشويهها فإنه
يكون أشد الناس حماساً للدفاع عنها . وكأن الله قد أدرج
مجموعة من شباب قريش الذين انغمسوا في الكفر أحياناً مع

(١٨٥) الإصابة جـ ١ ص ٢٥ .

(١٨٦) السيرة لابن هشام جـ ١ ص ٢١٦ .

أبائهم ليوم محنة يدفعون عن الإسلام ثورة ردة اللئام طبعاً وعقلاً وكان ذلك أمر عكرمة وصفوان بن أمية . وأضرابهم الخ .

ولأن الدعوة الإسلامية تريد هداية الناس لا حربهم ولا إضرارهم ولأنها تريد هدايتهم بالحسنى لا بالإكراه فإنها لم تستعجل أية نتيجة لأى عمل فلا شك أن وجود الأصنام فوق الكعبة أمر مؤلم كربه بغيض لا سيما وصفاء العقيدة كان نوراً يسطع في وجدانات المسلمين ومع أن الصحابة في مكة المكرمة يقرأون في سورة الأنبياء « فجعلهم جذاذا » وكان يمكن أن يقترحوا على النبي ﷺ أن يقوموا بثورة على الأصنام يحطمونها تحطيماً وكان يمكنهم آنذاك أن يستدلوا بالقرآن نفسه وأن يستنبطوا حكماً بوجوب تكسيها فوراً . لكنهم لم يفعلوا لأنهم يتبعون قيادة يثقون في صدق إخلاصها للعقيدة فهم ينتظرون كيفية التنفيذ للأوامر التي اعتنقوها .

إنه لو حدث في مكة المكرمة أن قامت ثورة لتكسير الأصنام لكانت معركة بين أنصار الباطل وجماعة المؤمنين وبذلك تنتهك حرمة البيت العتيق كيف والمسلمون يدعون إلى احترامه وتوقيره فمنعهم الله من هذه الفكرة .

وأيضاً فإن طبيعة الدعوة تخطط ليوم تكسر فيه الأصنام فلا تجد واحداً ولا واحدة من رجال ونساء الكفر تدافع عنها أو تبكى عليها وقد حدث ذلك يوم فتح مكة ، وكانت زعيمة

الكفر هند بنت عتبة وزوجها أبوسفیان الذى انتهت إليه
رياسة قريش قد آبا إلى الإسلام بل إن هذا لتصنع طعاماً
شهياً لرسول الله ﷺ وتستأذنه فى أن القحط قد أصابهم
بالعجز فلم تقدر إلا على هذا القدر الذى أرسلته (١٨٧) .
فانظر إلى هذا المشوار الطويل يوم أن نزل قول الله تعالى :
﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾
إلى اليوم الذى فتح الله فيه مكة .
ونزل قول الله تعالى :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

(المائدة)

إن الدعوة لم يستخدم فى تنفيذ مناهجها عنفاً أو إكراهاً أو
قدمت بوجه عبوس قمطير بل كانت سهلة رخاء متفائلة
سمحة هينة لينة مما جعل النبي ﷺ يصف جماعة المسلمين
بقوله : « المؤمنون هينون لينون » وسوف لا يجد أحد من
الباحثين فى تاريخ العمل الإسلامى سوى هذه الحقيقة :
« تألفوا الناس وتأنوا بهم ، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم ،
فما على الأرض من أهل بيت مدر ولا وبر إلا تأتون بهم

(١٨٧) راجع امتاع الاسماع جـ ١ ص ٢٨٢ ، ص ٣٩٧ .

مسلمين أحب إلى من أن تأتونى بنسائهم وأولادهم وتقتلوا رجالهم «

(رواه ابن مندة وابن عساكر)

أليس ذلك هو أرقى أساليب الإقناع ؟
فهل أدرك القائمون على شأن الدعوة المعاصرة هذا السر
الرائع لإصرار الدعوة الإسلامية على أن يكون الإقناع
اختيارياً وواضحاً؟؟؟

ب - التكافؤ في المواجهة :

من أبرز خصائص العمل الإسلامى فى ظل النبى ﷺ
هو التكافؤ فى المواجهة .

فعندما كانت الدعوة الإسلامية فى مكة المكرمة لم يسمح
النبى ﷺ باستخدام القوة أمام الفاشمين من كفار قريش
الذين راحوا يعذبون ضعاف المسلمين ليفتنوهم عن دينهم لأن
المواجهة فى هذه الرحلة لم تكن قوة عسكرية أمام قوة عسكرية
بل كانت قوة فكرية تجاه خزعبلات وشهوات وظنون وأوهام فى
حدس قريش والذين يحملون أفكاراً عليا عليهم أن يواجهوا
طغاة الإرهاب بالجلد والصبر وتحمل المشاق لأن يواجهوا
الحمقى من أبالسة الفكر بالعصا والسيف والأحجار
والمعاول .

ومن هنا فإن النبى ﷺ غضب عندما سأله الصحابى
الجليل خباب بن الأرت أن يدعو الله لينصرهم .

فالمسألة ليست استعداداً جند الله على البشر من أجل أن يدخلوا في رحاب الإيمان ولا هي سلطة تنفيذية لقهر العقول والقلوب ليقبلوا الدعوة ، بل هو الإقناع وصبر الدعاة ولذا قال ﷺ لخباب في حديث طويل .. والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الرجل من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ... ولكنكم تستعجلون .

ولأن هذا المبدأ سديد وسليم وسرمدي في حياة العمل الإسلامي فقد قال النبي ﷺ : «تألفوا الناس وتأنوا بهم ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم» .

الحديث (رواه ابن عساكر)
ولما انتقلت الدعوة الإسلامية إلى طيبة وتكونت الأمة الإسلامية وقامت الدولة الإسلامية جهز النبي ﷺ جيشاً في مواجهة جيش الكفر ولم تكن النية تجهيز جيش الإسلام من أجل أن يضغط على القلوب لتدخل في الإسلام بل إن العسكريين الذين آمنوا بالإسلام مثل خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبي جهل دخلوا في الإسلام بعد انتهاء المعارك في جو من السلم وبعد استقرار الأمن في البلاد .

إنهم الذين أعملوا العقول بعد أن أغمدوا السيف في قرابه ثم هاجروا طائعين إلى الإسلام .
وهم الذين ندموا على ما فعلوه قديماً في المسلمين وكفروا

عن ذنوبهم السالفة بإيثار بالغ الحد في تحويلهم عساكر المسلمين لحروب الردة .

لم يأت ذلك إلا عن طريق تكافؤ المواجهة ، فلم يضع الإسلام السيف في مواجهة العقل ولا وضع العقل في مواجهة السيف .

لم يعكس القضايا كما يعكسها العاملون المعاصرون في حقل الدعوة الإسلامية .

ويكفى في هذا ما هو مشهور من تعاليم النبي ﷺ إلى القادة الفاتحين :

— لا تقتلوا شيخاً .

— ولا راهباً .

— ولا امرأة .

— ولا صغيراً .

— ولا تهلكوا حرثاً ولا نسلأ .

ولا تقاتلوهم حتى تدعوهم إلى الإسلام أو الجزية ولا تقتلوا منهم أحداً حتى يقتلوا منكم واحداً .

فهل أدرك زعماء العمل الإسلامى المعاصرون فقه هذا التكافؤ في المواجهة ؟؟ لو كانوا قد أدركوا فلم هذا التنظيم القائم على العنف باسم الجهاد مع أن المرحلة هذه مرحلة الإقناع والعقل والحوار .. ؟؟

والذى يظهر احترام الإسلام لتكافؤ المواجهة تلك الآيات

البيئات في سورة الإسراء التي تكرم بنى آدم في لحظات كان الكفار يعلنون فيها العناد ويتبجحون بأسئلة خرقاء ويذيقون الضعاف ألواناً من العذاب ... وجاءت الآيات تقول :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

(الإسراء ٧٠)

حتى أولئك الجبابرة الذين يعذبون المسلمين الضعاف ؟
ذلك لأن الحق حق ولا دخل للخصومة في تغيير الحقائق
ومن هنا كانت دعوة الإسلام إلى العدل حتى مع أولئك الذين
لا يحترمون المسلمين :

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ
أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

(المائدة)

ولا ينبغي أن يتصدى المجتمع الإسلامي لإقامة العدل
والفضائل إلا إذا كان متحلياً بها في نزوع عملي صادق ...
ولا يتأتى هذا التحلى بهذه الخلقية إلا إذا أدرك كبارَه وقادته
معنى التكافؤ في المواجهة .

ونفس القضية في منع المسلمين من التمثيل بقتلى الكفار

انتقاماً من فعل المشركين بشهداء المسلمين يوم أحد يقول الله تعالى :

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾^{١٢٦}

(النحل ١٢٦)

بل إن عدالة تكافؤ المواجهة فقه أساسى فى العلاقات الإنسانية فقد حرم الله على المسلمين الاعتداء .

﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^{١٩٠}

(البقرة ١٩٠)

كما حرم على المسلمين نبذ العهد غيلة فقد قال الله تعالى :

﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾^{٥٨}

(الأنفال ٥٨)

فتكافؤ المواجهة خلق إسلامى ، وقانون من قوانين الدعوة الإسلامية أكدها الله تعالى فى آيات القرآن الكريم وسنها سيدنا رسول الله ﷺ فى أسلوب دعوته ، فهل أدرك المعاصرون من الذين ألحقوا أنفسهم بالعمل الإسلامى مغذى وهدف

تكافؤ المواجهة ؟ وهل فهموه حق الفهم ؟ وهل دربوا وجدانهم وعقلهم على إدراكه ؟ وهل عقلوا نتائجهم ؟؟
لو كانوا يفقهون ما وقعوا في كثير من الأخطاء ؟؟
والتكافؤ في المواجهة واضح تماماً في ليلة الهجرة ، إن الكفار صادروا أموال المسلمين بعد أن عذبوهم وألجأوهم إلى الهجرة .

ومع أنهم يكذبون بالإسلام فإنهم لا يجدون مأمناً لأماناتهم وودائعهم إلا عند نبي الإسلام .
فهل كان من العدل أن يأخذ النبي ﷺ كل ما عنده من الودائع ويرحل عوضاً عما أخذه الكفار من المسلمين ؟؟

ربما تكون هناك وجهة نظر مادية بحثة لكن مبدأ التكافؤ في المواجهة يرفض هذا التعليل أو التبرير فلا يصح في نظر الإسلام أن ينقلب محل الأمن إلى مصدر رعب ولا محل الائتمان إلى مصدر خيانة بل يجب أن يبقى مصدر الأمن آمناً ومصدر الائتمان أميناً فالمواجهة ليست بين ظلم وظلم وخيانة وخيانة ، بل بين حق وباطل وعلى الحق أن ينتظر بمبادئه لا باستخدام مبادئ غريمه ونديمه وجنده .

ومن هنا كان لازماً أن يبقى سيدنا على رضى الله عنه ليرد إلى الكفار وودائعهم وأماناتهم عندما يهاجر سيدنا رسول الله ﷺ وجنده .

لأن تكافؤ المواجهة يحتم مثل هذا الأسلوب ، فهل دعائنا المعاصرون عرفوا مثل هذا الخلق ؟
هل الذين استحلوا أموال الناس بادعاء أنهم كفرة هم دعاة إلى الإسلام ؟ أو هل هم على شيء من الإسلام .. ؟
إن مبدأ التكافؤ في المواجهة لهم جد في تصويره وإدراك مغزاه ، ولزوم العمل به ؟

جـ- التكيف حسب النواميس الكونية :

الدعوة الإسلامية بموضوعاتها العقدية والتشريعية والأخلاقية تعتبر ناموساً كونياً خاصاً بحياة البشر ، يفهم هذا بوضوح جلي من قوله تعالى :

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ٣٨

(البقرة ٣٨)

﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ ١٢٣

(طه ١٢٣)

فاتباع دعوة الله موصل إلى الهدى والسعادة

وعدم الاتباع متسبب في الضياع والشقاوة
وهذا قانون سرمدى أهلك الله به السابقين من الذين كفروا
بأنبيائهم ، يصور ذلك بإسلوب تاريخي واقعى قول الله تعالى :

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَلْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا
الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ ٣٦ فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنَثِيمَ ٣٧
وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّن مَّسْكِتِهِمْ وَزَيْتِ
لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَوَسَّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ
﴿ ٣٨ ﴾ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَى
بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴾ ٣٩ فَكُلًّا
أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ
الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿ ٤٠ ﴾

(العنكبوت ٣٦ : ٤٠)

وكان يمكن أن يطبق هذا الناموس الكونى على كفار قريش
لولا أن بعثه سيدنا محمد ﷺ كانت رحمة للعالمين فمنع الله
تعالى عنهم سريان مفعول هذا الناموس . يقول الله تعالى :

﴿وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانُ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ
وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

(الأنفال ٣٣)

إذن، الدعوة قانون سرمدى حسب نواميس الله فى الكون ،
فكل شىء فى هذا الملكوت موزون مقدر حركته ، ووظيفته ،
وآثاره يقول الله تعالى :

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَكُمْ لَهُ بَرَزَقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ
شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا
الرِّيحَ لَوْفِحَ فَاَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ
بِخَزِينِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِى وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا
الْمُتَّقِدِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَضْرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

(الحجر ١٩ - ٢٤)

... وآيات كثيرة فى القرآن الكريم تدل فى وضوح تام على أن
هذا الكون يسير وفق قوانين كونية أودعها الله جل جلاله فيه
من أجل خدمة الإنسان ... وإذا كان الكون قد جهز بهذه
الجملة الهائلة من النواميس من أجل خدمة الإنسان
أفلا تكون الدعوة الإسلامية التى جاءت لتضبط سلوك

الإنسان وعواطفه وعقله وأخلاقياته ... ناموساً من النواميس الإلهية التي تلزم الإنسان بنوع محدد من السلوك الذي يضمن السعادة في دنياه وفي آخرته ... ؟

والملاحظ في المنهجية التي استخدمها سيدنا رسول الله ﷺ أنها سارت على هذه الوتيرة من احترام نواميس الطبيعة . واحترام نواميس الطبيعة أمر كوني رغم الأنف ومن لم يحترمه يقطع على نفسه طريق النجاح سواء في الزراعة أو الطب ، أو العسكرية .

فالزراعة لها قوانينها ، فالنبات لا يشب مرة واحدة بل لابد له من تربة خاصة ، وموسم زمني محدد ، وسقى وري بقدر موزون ، والنباتات محبوس نموها بالمناخ والطقس فنباتات خط الاستواء لا تصلح للزراعة في منطقة مدار السرطان أو مدار الجدى بل إن النباتات التي تصلح للزراعة في جميع المناطق تختلف في الحجم والطعم وكذلك الحيوانات فإنها تتشكل حسب المناخ الذي يسود الإقليم الذي تعيش فيه ، فالفيلة في أفريقيا لوناً وحجماً غير الفيلة في آسيا . والضأن في البلاد الباردة غيرها في البلاد الحارة من حيث كثافة الصوف وحجم الهيكل ومذاق اللحم .

والشيخ الفاني إذا رزقه الله بطفل فهل يستطيع أن يخالف قوانين النمو الطبيعي فيؤكله لحماً وخبزاً منذ طفولته ليشب في خلال خمسة أعوام ويصير رجلاً يافعاً .. ؟؟

طبعاً : هذا أمر مستحيل فإن قانون النمو ناموس سرمدى لا يختلف .

وقد احترمت الدعوة الإسلامية قانون النمو لأنه ناموس كونى فأخذت بمبدأ النمو الطبيعي في كل مجالاتها :
١ - فلم تفاجىء المجتمع بالجهر بموضوعها رغم أنه قد سبق عديد من الإرهاصات والدراسات والتنبؤات ببعثة النبي الخاتم (١٨٨) بل أخذت الدعوة في اختيار الأفراد الأول الصالحين للقيادة المحلية ويتصفون بالعقلية الهادئة والإتزان العاطفى ، والفهم السليم ولذلك اتخذت الدعوة لها تدرجاً في التبليغ : -

التبليغ الأول : اختيار القيادة الأولى .

التبليغ الثانى : أنذر عشيرتك الأقربين .

التبليغ الثالث : لتنذر أم القرى ومن حولها .

التبليغ الرابع : وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً .

وهذه الدوائر الأربع تدرج طبيعى قربه علماء الخدمة الإجتماعية فى أسلوب عمل الأخصائى الاجتماعى إذ قرروا : أنه لابد لنجاح أية فكرة يريد الأخصائى الاجتماعى أن يقوم بها لخدمة المجتمع المحلى . أن يربى قيادة محلية تفهم

(١٨٨) راجع كتابنا بشارات النبوة الخاتمة .

الموضوع ، وتؤمن به ، وتتحمس للدعوة إليه ، ويكون لديها القدرة المعرفية للتدليل عليه والدفاع عنه (١٨٩) .

ولا يتأتى للداعية أن يدعو الناس إلا إذا كانت عشيرته الأولى قد اطلعت على مبادئه وأبدت رأيها فيها ، وتلك واحدة من بركات سيدتنا خديجة أم المؤمنين الأولى رضى الله عنها : إذ بادرت لأول وهلة تسمع فيها عن نبأ الوحي بقولها : والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الدهر أثبت فإنك نبي هذه الأمة .

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه من القيادة الأولى التى تؤكد صدق النبوة لأنه كان صديقاً لرسول الله ﷺ من قبل البعثة فسرعة إسلامه دون السؤال عن دليل ودون كبوة يجدها فيه سيدنا رسول الله ﷺ تفيد أن مبدأ انتقاء القيادة الأولى ومبدأ النمو الطبيعي أسلوب يجب أن تحترمه الجماعة التى تقوم على شأن التبليغ ونشر لواء التوحيد في كل زمن .

٢ - وكذلك أخذت الدعوة بقانون النمو الطبيعي في تشريع الأحكام ، وفي تنفيذها .

فالأحكام الفطرية التى درجت الجيلة على قبولها دون تأفف نزلت متتالية . الصلاة ، ثم الصوم ، ثم الزكاة ، ثم الحج . وكما هذه الأحكام أخذ صورة التشذيب والتهديب حتى

(١٨٩) راجع كتابنا : الدعوة الإسلامية في عهدنا المكي : فصل ترتيب القيادة .

انتقلت من طورها الأول الغرض إلى طورها الرائق الرفيع
المثالي .

وهناك أحكام مرتبطة بالعادات والتقاليد مثل الخمر
والتبني فإن الدعوة لم تشرعها طفرة ، ولا دفعة واحدة بل
أخذت بأساليب التدرج مرحلة بعد مرحلة لتربى النفوس على
عادات جديدة صالحة تحل محل العادات القديمة الفاسدة ،
وأثبت القرآن الكريم هذه المرحلة ليدرّبنا على أسلوب العمل
بالعودة إلى تنقية المجتمع وسيره مرة أخرى على منوال الدعوة
عندما يصيبه شلل أو فشل أو تقهقر عن الأصول الأول لعل
أو أسباب فالصحة والاعتلال طرداً وعكساً أمر طبيعي فكل
اعتلال يعقبه صحة عادة ، وكل صحة معرضة للاعتلال ،
والشفاء منه تارة أخرى . فالأحكام التي لها صفة جبرية
العادة درج الله فيها تدرجاً ليأخذ النفوس بالهوينى
والراحة فإن ملكات النفوس عجيبة وصعبة والله لا يحب أن
تتجه النفس إليه قسراً ولا قهراً بل بإرادة ورغبة ، وصدق الله
العظيم ..

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ
النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس ٩٩)

٣ - وكان القتال في سبيل الله ظاهرة في احترام الدعوة
لقوانين النمو الطبيعي فإن القتال يحتاج إلى :

- أ - قاعات عسكرية تتربى فيها الجيوش .
- ب - وتمويل يعين على العمليات العسكرية .
تمويل حربي ، وتمويل مالى .
- ج - ويحتاج إلى عمق استراتيجي .
- د - ويحتاج إلى أن يتحلى الجيش بأخلاقياته التى يدعو إليها دون خلل أو إخلال بالمبادئ .

ولهذا فإن رسول الله ﷺ منع المسلمين من استخدام حق الدفاع عن أنفسهم فى مكة المكرمة تجاه الأذى المشين الذى مارسه قريش ضد المسلمين لأن قانون النمو لا يجعل القوة العسكرية فى مواجهة الفكر بل يجعل الفكر فى مواجهة الفكر ، وأصحاب الدعوات لابد وأن يقدموا دليلاً على التحلى بما يدعون إليه وهذا يحتاج إلى صبر وتحمل ووقت طويل ... وكان ذلك هو استراتيجية الدعوة فى العهد المكي لتظهر طبيعتها الإنسانية التى تحب الخير للناس جميعاً ، ولو كانت الحرب قد شرعت فى ذلك الحين لكان هناك تخطيط كثير فى المبادئ والسلوك ، ولما صح للمسلمين بعد ذلك أن يعلنوا أن مكة بلد حرام . ولما قدر المسلمون يوماً على ممارسة أى عمل عسكري فى هذه المرحلة المبكرة التى لم يعرف بعد بوضوح أبعاد دعوتهم ، ولا طبيعة الغاية التى يدعون إليها ، ولا كان معهم من المدد ، والتمويل والعمق الاستراتيجي ما يسمح لهم بهذه

الممارسة العسكرية ولذلك كان منع الحروب في هذه المرحلة
أمراً خاضعاً لاحترام قانون النمو الطبيعي .
إن احترام سيادة الناموس الطبيعي خاصية من خصائص
المرونة للمنهج الإسلامي الذي يوصل الدعوة إلى سبيل
النجاح والفوز والأمان .

الأخطاء

العشوائية :

اتخذت الدعوة الإسلامية في العهدين : المكي ، والمدني عدة مناهج لتوصيل مبادئها بأسلوب يتفق مع أهدافها وكانت المناهج ذات صبغة مرنة تصورها مقالة السيدة عائشة رضي الله عنها : لو أن أول ما نزل لا تسرقوا لقالوا لا ندع السرقة أبدا ... الخ

ولقد نزل بمكة وأنا جويرة ألعب : « بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر » .

ولقد صور تاريخ الدعوة كثيراً من يقظة الصحابة والتابعين للدسائس والمكايد والألاعيب التي حاكها خصوم الدعوة تجاه الدعوة وجماعة المسلمين ، ولم تفلح أفاعيل هؤلاء الأعداء ضد الدعوة .

لقد فشل اليهود في عدائهم للإسلام صدر الدعوة : فلم تفلح في إثارة قريش ضد الإسلام ، ولم تفلح في محاولاتهم قتل النبي ﷺ :

- أ - في حادث بنى النضير .
- ب - وفي حادث دس السم في الذراع .

ج - وفي حادث خيانة بنى قريظة .

د - وفي حادث الإفك المفترى .

ولم تغلح محاولات المنافقين ضد الإسلام :

أ - يوم أحد .

ب - ومسجد الضرار .

ج - والتربص بالمسلمين في كل فتنة .

ولقد هرب النصارى من المباهلة .

ولم يبلغوا مأربهم يوم مؤتة .

وتضعضوا يوم تبوك ودخلت بلاد من بلادهم في صلح مع الإسلام .

وفى عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه نجح المؤتمر اليهودى المجوسى الفارسى المسيحى في اغتيال رئيس الدولة لخطأ المسلمين في تصورهم أن العمالة القليلة لن تؤثر في حياة المجتمع الإسلامى في الخضم الزاخر بجحافل الأمة المسلمة .

ولم يكن تصوراً منبعثاً من اليقظة المعهودة في جماعة المسلمين فوق المحذور وقتل سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيد أبى لؤلؤة المجوسى الصانع الذى رضى به المسلمون ليؤدى لهم حاجياتهم ، ولكن الدولة لم تتأثر كثيراً بهذا الاغتيال فمازالت الأمة الإسلامية تذخر بالكبار من الرجال .

وعرف أعداء الإسلام أن القتل لن يؤثر في القضاء على دولة الإسلام ومبادئه فطبخوا لهم طبعاً ثقافياً ليفرق الفكر

الإسلامى ويشتهه ويمزق الأمة ويجعل بعضها يقطع رقاب بعض فكانت أفكار عبد الله بن سبأ .

ثم كانت الفتن الكبرى التى ولدن لنا أطفالاً فى الفكر الإسلامى غير شرعيين مثل الشيعة والخوارج وتولدت من مدارس هؤلاء أفكار وأفكار أبعدت الأمة الإسلامية عن منبعها الصافى القرآن الكريم والسنة المطهرة فآلت الأمة إلى ما هو معروف فى التاريخ ثم اجتمعت فى عهد بنى أمية ، ثم اجتمعت فى دولة العباسيين ثم جاء التتار وأسقطوها ، وجاء الصليبيون واغتصبوا منها المقدس وصورء وتأسست إمارات صليبية فوق الأرض المسلمة وظن الناس أن الليل الكئيب لن ينتهى ، وفجأة تقوم الدولة الإسلامية فى تركيا وتسيح فى أوروبا الشرقية فى اللحظة التى كانت المسيحية الأوروبية تطرد الإسلام فى أوروبا الغربية ، وتحاول بالكشوف الجغرافية أن تطوق الإسلام فى الموانى البعيدة ، وتطبق على بلاده فى الشرق العربى . فكانت يقظة إسلامية بفضل تركيا المسلمة تطرق أبواب أوروبا الشرقية ، ويقظة مسيحية تطرد الإسلام من أبواب أوروبا وتحاول أن تضربه فى بلاده .

غير أن اليقظة المسيحية كانت راسخة فقضت على اليقظة الإسلامية وساعد العرب على طرد تركيا المسلمة من بلادهم فى اللحظة التى كان يخطط فيها الغرب المسيحي للخلاص من المارد الإسلامى ببناء إسرائيل لتكون دملاً فى قلب العرب فلا

يفيقوا أبداً ومن الأدلة السريعة على هذا أن المؤرخين يقصون خيبة العرب في أوائل القرن العشرين على أنها يقظة عربية من أجل بناء دولة عربية ويقولون : إن الشريف حسين في يناير ١٩١٥ م تلقى دعوة من الجمعيات العربية في الشام لتزعم الثورة العربية ضد تركيا المسلمة غير أنه كان متردداً لأنه كان يود إنهاء خلافاته مع الباب العالي في تركيا ، ويخشى أن يكون انضمامه إلى الثورة العربية مفسداً عليه هذا الأمل ، وكان خائفاً أيضاً من فشل الثورة العربية .

فأرسل ولده فيصل في مارس ١٩١٥ م في مهمة مزدوجة إلى استانبول ودمشق ليستشف إمكان تصفية نزاعه مع استانبول أو لبحث إلى أى مدى يمكن الاعتماد على قوة الثورة العربية ومدى ارتباطها بالانجليز .

ونجم عن هذه المهمة أن فيصل بن حسين انضم إلى الثورة العربية الموالية للإنجليز ضد الدولة العثمانية أو ضد الخلافة الإسلامية .

ولما قامت مشاعر الثورة العربية في يونيو ١٩١٦ م (وهو الوقت الذى اتفقت فيه فرنسا وانجلترا على تقسيم العالم العربي بينهما فيما هو معروف بمعاهدة سايكس بيكو) . تولى فيصل العربي المسلم قيادة الجيش الثالث وهو الجيش الذى كان يتفق بفاعلية أكبر من بقية الجيوش العربية الأخرى فاندفع إلى الشمال وحرر بلاد الحجاز وانضمت قبائل

سوريا واستطاع أن يحرر العقبة في يونيو ١٩١٧ م وهو العام الذى أعطت فيه انجلترا وعداً لليهود بقيام وطن قومى لهم على أرض فلسطين ، ولم يدرك القائد العربي المسلم أنه بهذا يساعد انجلترا في احتلال فلسطين لتسلمها إلى اليهود ، ولم يعلم أن خيبته يوم القيامة ستأتى في صفحتين إحداهما أنه حارب تركيا المسلمة التى رفضت هجرة اليهود إلى فلسطين بل رفضت أن يمكث يهودى في فلسطين أكثر من ثلاثين يوماً .

وساعد انجلترا الكافرة التى أعطت وعدا لليهود ببناء وطن يهودى فوق أرض فلسطين .

أما في الدنيا فقد عاقبه الله فأخرجه من كل أرض العرب التى فتحها بجيشه الفعال الظالم الذى اعتدى على جيش مسلم من أجل نصره جيش كافر انجليزي .

وقد ساعدت هذه العملية العسكرية العربية المسلمة في نجاح العسكرية الانجليزية في الحرب العالمية الأولى ودخل اللورد اللنبى فلسطين .

وفي عام ١٩١٨ م أعد اللنبى خطة للهجوم النهائى للإستيلاء على دمشق وتكفل القائد العربي المسلم فيصل بن الحسين بقطع مواصلات الجيش التركى المسلم بين شرق الأردن فاحتل « درعا » فاضطرت القوات المسلمة التركية إلى الانسحاب .

ولكن اللورد اللنبى يدخل إلى قبر صلاح الدين ويقول قولته

الشهيرة : ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين . ولم يستح المؤرخون العرب مما فعله فيصل بن حسين ولا استحقاق القوميون العرب من هذه الخيانة في حق بلادهم وتاريخهم فها هم يساعدون الإنجليز في الحرب العالمية الأولى في الوقت الذي خطط فيه الغرب المسيحي للتخلص نهائياً من التحرك الإسلامي التركي أو العربي ، وكان من أوليات التخطيط هو إقامة اليهود في قلب الوطن العربي لتبقى صنابير الصديد تنضح على الحياة العسكرية والسياسية والاقتصادية .

ومع أن العرب قديماً كانوا فقراء لا يؤثرون في السوق العالمية اقتصادياً فإنهم بعد أن تفضل الله عليهم بالنفط وكان يمكنهم أن يساوموا الغرب على مصالحه في مقابل احترام قضاياهم ومن أولها قضية فلسطين ، فقد كان البترول العربي عاملاً مساعداً على تقدم الصناعة العسكرية في العالم الغربي الذي تحمس لبناء إسرائيل وانقلب فائض البترول العربي على الأخلاق فأفسدها وضيعها وصارت الحياة العربية البترولية معروفة في البارات ، و ... الخ .

وبعد أن استقر الإستعمار في العالم العربي قامت حركات إسلامية مخلصه وهادفة ولكن أخطأت المنهجية فاعتمدت على الحماس والمظاهرات وإثارة الرأي العام ، ونظرت إلى محيط البشر في العالم العربي فظننته القوة اللازمة للكفاح ولكن الأمر كان يحتاج إلى تعبئة أخرى ، وفقه أوسع وأساليب واعية .

وتعددت الحركات الإسلامية فتمزقت الأهداف ، وانحسرت كل حركة في اتجاه لا يوصل إلى الغاية التي يجب أن يحرص عليها العمل الإسلامي الواعي وكانت الاتجاهات في أغلبها تدور حول الشكل والمظهر ، وكانت بعض التعاليم ضارة أكثر من كونها نافعة ففتحت الجدل حول البدعة وانقسم المسلمون على أنفسهم وانفتح باب التجهيل والتكفير والتفسيق فكانت فرصة للمستعمر لأن يعيد من جديد سياسة عبد الله بن سبأ في تمزيق الأمة الإسلامية فكرياً لتتمزق عضوياً .

حتى الجماعة التي أحست بهذا الخطر وراحت تجمع المفرق ، وتوحد المقسم وتقوى الضعيف عندما قويت وصارت جسماً هائلاً في المجتمع أعجبتها كثرتها وتنوع رجالها من علماء إلى سياسيين إلى عسكريين إلى فلاحين إلى عمال ... وجلب المرء بنفسه مفسدة ، ومضيعة ، وتورطت في بعض مبادئها ففشلت ، فإن الإسلام لا يسمح أن تذهب كتيبة عسكرية لتقاتل في سبيل الله وهي محاصرة من جميع الجنبات عسكرياً - بل وطريق إمدادها مقطوع ، وسلاحها لا مخازنه ولا صناعته بأمرها بل هو في يد غيرها .

إن العسكرية الإسلامية دقيقة الحرص ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى بالحذر قبل استخدام السلاح ﴿ وخذوا حذركم وأسلحتكم ﴾ .

لكن العقل الجمعى والمحيط البشرى الهائل كثيراً ما يغلب
التعقل والتدبر ويلجىء التصرف إلى العشوائية وهذا هو أول
خطأ وقعت فيه الحركة الإسلامية أنها مخلصنة ولكنها
عشوائية ، وهو أمر ضد التعاليم الإسلامية الموروثة ، وضد
منهجية الدعوة الإسلامية التى نجحت قديماً وتركت لنا
أساليبها درباً من حافظ عليه وصل .

(الجبرية)

في مرحلة من مراحل التطور السياسي للدولة الإسلامية ضاقت الأفق والصدور وعجزت عن البحث الطبيعي للخلاص من الضيق الذي تعانيه في ظل بعض الحكومات فاخترعت فكرة الجبر واخترع مقابلها مطلق الاختيار ونقلت الفكرة المسيحية أيهما أولاً : البيضة قبل الفرخة أو الفرخة قبل البيضة وهي في واقع الأمر ليست كذلك بل هي أيهما أولاً : الإبن أو الأب .

إذا كان عيسى ابن الله فهل هو مساو له في الوجود أو أن الأب قبلا والابن بعدا ... ؟؟

وانخرطت هذه الفكرة المسيحية في خياشيم الثقافة الإسلامية وعمل المستعمرون على نشرها وبثها حتى صارت من قضايا الفكر الإسلامي وهي ليست إسلامية ولا مولدها كان إسلامياً ، ولكنها اندست اندساساً في غفلة من المسلمين عن طبيعة منهجية الإسلام .

والذي يقرأ القرآن الكريم والسنة المطهرة يجد أن هذه الفكرة مستبعدة استبعاداً كاملاً من الفقه والتصور الإسلامي ، سواء نظرنا إلى بنية الإنسان وخلقها أو نظرنا إلى الاعتقاد والإيمان بالله ورسوله ، أو نظرنا إلى التشريع والتكاليف .

✽ ففيمما يتعلق ببنية الإنسان وخلقها فقد خلقه الله سبحانه وتعالى على هيئة تستقبل الخير والشر معا وليس في بنية الإنسان جبر على شيء بعينه سواء كان خيراً ، أو كان شراً ، يقول الله تعالى :

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۚ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۚ﴾

(الشمس ٧ - ١٠)

فالخلق الأصلي مستعد للفجور والتقوى، والإرادة الإنسانية قادرة على فعل ما تختاره من التزكية أو الدس .
وفي سورة الليل توضيح لمسالك السلوك الإنساني ، يقول الله تعالى :

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنِيسِرُهُ لِلْيُسْرَى ۖ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۖ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنِيسِرُهُ لِلْعُسْرَى ۖ﴾

(الليل ٥ - ١٠)

فالاختيار لأي من اليسر أو العسر ، الخير ، أو الشر ، الصلاح ، أو الطلاح، أمر مركوز في بنية الإنسان وخلقته فليس البناء الذاتي للإنسان بمقصود على نوع واحد من البديلين الخير أو الشر .. وإلا لو شاء الله لجعل الناس أمة

واحدة ، ولكنه جعل شأنه جعل الناس في ذات بنيتهم قادرين على فعل الخير والشر .

وأما فيما يتعلق بالاعتقاد فقد وضح من عرضنا لأدلة التوحيد أن الله سبحانه وتعالى أراد من الناس أن يؤمنوا به طواعية يقول الله تعالى :

﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ (الكهف)

فليس في الإسلام قسر على الاعتقاد بالله الواحد الأحد ولكن فيه دعوة إلى التفكير والفهم يقول الله تعالى :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ بَيَّنَّ الرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة ٢٥٦)

وهذا الاستيثاق مرده النظر في البراهين والأدلة وليس مرده القسر والقهر والجبر يقول النبي ﷺ :

(تألفوا الناس وتأنوهم ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم فليس على وجه الأرض من أهل مدر ولا وبر إلا جئتم بهم مسلمين خير من أن تأتونى بنسائهم وأولادهم) .

إذن فليس في القرآن ، ولا في السنة النبوية المطهرة جبر فيما يتعلق بالعقيدة والإيمان بالله الواحد .

ولم يضع الإسلام جيشاً عسكرياً في مقابل الاقناع بالله الواحد الأحد بل جعله في مقابل جيش عسكري يريد أن يعتدى .

فالعسكرية الإسلامية إما :

- أن ترد اعتداء .
 - أو تؤدب ناكثاً للعهد .
 - أو تجهض جيشاً يعتزم الحرب ضد المسلمين .
 - أو تحمى سيادة الدولة وأملاك الرعية وأفرادها .
- ولا يحفظ التاريخ العسكري للجيش الإسلامى إلا واحدة من هذه الأنواع الاستراتيجية فاستخدام الجبرية من بعض دعاة العمل الإسلامى المعاصر تغفل أيما تغفل وجهل أيما جهل ، وخروج على المنهج السوى ولذلك لم يفلحوا .
- وأما فيما يتعلق بالتكاليف الشرعية فهى قائمة على الرضا من كلا الطرفين في البيع وفي الزواج على الأخذ بقول النبي ﷺ
- « البيعان بالخيار » .
 - « لا تنكح البكر حتى تستأمر » .
- إذ أسلوب الجبر أو القهر أو العنف أو التطرف مرفوض إسلامياً ، بل إن النبي ﷺ قد وظف من الأمة الإسلامية جماعة تحمى الإسلام من هذا الغلو في قوله ﷺ : يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله في :
- ينفون عنه تحريف الغالين .

— وانتحال المبطلين .

— وتأويل الجاهلين .

— تحريف الغالين : هم المتطرفون الذين لا يسيرون بالدعوة على منهجها ولا يحترمون مرونة هذا المنهج وينظرون إلى مثاليته قبل أن تأتي مرحلتها الزمنية حسب التكتيك الذى يجب أن يرسم للوصول إليها .

— انتحال المبطلين : هم أولئك الذين يدخلون فى الإسلام أوهاما كادعاء النبوة ، وسقوط التكاليف الشرعية ، وإلغاء مفهوم الدولة فى الإسلام .

— وتأويل الجاهلين : هم أولئك الذين يصفون العمل البشرى بأنه بدعة كالذين يقولون إن قراءة الكهف فى المسجد يوم الجمعة بدعة فانظر كيف أولوا ليجعلوا من قراءة القرآن المعصوم فى المسجد فى يوم جماعة المسلمين بدعة ، أفليست هذه وصية لا تصدر إلا عن جاهل ..؟؟ وهلم جرا .

ولقد جنحت جماعات - وجمعها يخرجها عن الأمة الإسلامية لأن الأمة الإسلامية واحدة فى العقيدة والقيلة والنبي ، والصلاة ، وجميع أركان الإسلام فكيف تفرق نفسها لتصير جماعات ثم تدعى أنها تعمل باسم الإسلام ، جنحت هذه الجماعات إلى العنف والجبرية فى الشكليات لا فى الأمور

الهامة التى عمدت إليها الدعوة قديماً فأقامت دولة وجيشاً ،
وأمة .

وهذا الجبر أو العنف من أخطر ما ينسب إلى الإسلام لأنه
ضد مبادئ الإسلام التى تدعو إلى السلم : « والله يدعو إلى
دار السلام » وتدعو إلى الأمن : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم
بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ (الأنعام ٨٢)
أولاً : لاعتقاد هؤلاء أنهم على الحق وما هم على الحق .

ثانياً : أنهم أخذوا الذات نموذجاً والحديث مع الذات
صعب وقاس وحساس .

ثالثاً : أن مصالحهم الشخصية مرتبطة بهذا السلوك
والحديث عن المصالح الشخصية صعب وخطير كذلك .
والنموذج الذى أقدمه ليفهم هؤلاء أن الأمر فى الإسلام
بالذات ليس بالعنف ، موضوع (الأصنام) فقد بعث سيدنا
محمد ﷺ ليعبد الله وحده لا شريك له وبعث وأمر : أن اتبع
ملة إبراهيم حنيفاً .

ومعنى اتباع ملة إبراهيم أن يقوم مثل جده ويكسر
الأصنام بالفأس فهى كثيرة فوق الكعبة لكنه لم يفعل لأنه يريد
لها تكسيراً بالمنهج لا بالمعول ، والصحابة رضوان الله عليهم
لم يسألوا رسول الله ﷺ أن يكسرها أو يكسروها معه على ذمة
ما فعله سيدنا إبراهيم لأنهم أسلموا عقولهم للمنهج الذى
جاء به سيدنا محمد ﷺ .

والعقلية المعاصرة من الشباب المتطرف أو الجبرى لو كان
موجوداً مع الصحابة لحاجهم وقال لهم :
إن الله أمر نبيه أن يتبع ملة إبراهيم
وإبراهيم قد كسر الأصنام بالفأس
فلا بد من ثورة وأن تكسر الأصنام بالفأس
ولأوجدوا جدلاً وصخباً كالذى نلمسه فيهم وفي سلوكهم
المستوجب للجهل الذى يصفونه على الإسلام والإسلام من
هذا كله برىء .

فقد عرف تاريخ الدعوة أن رسول الله ﷺ كسر الأصنام
يوم فتح مكة وليس لها واحد من أتباعها القدامى يدافع
عنها ، بل، إن عكرمة بن أبى جهل وأبا سفيان بن حرب ،
وزوجته هند وهم من صناديد المدافعين عن الأصنام كانوا
يشاهدون تكسيرها وهم سعداء ويرددون مع المسلمين: جاء
الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ، ذلك لأن منهج
الإسلام عميق وفسيح وسرمدى فهل للمعاصرين أن ينصاعوا
فى أدب وتواضع ومعرفة لله ولرسوله ... ؟؟

(الجـمـود)

الإسلام حركة منهجية عملية لا تركز على النظريات والشروح وإنما تقوم على العمل والبناء ، وقد دلت آيات كثيرة في سورة الكهف والإسراء على أن كثيراً من طلبات الكفار التي تعللوا بها ليدخلوا في الإسلام قد رفضت من الله جل جلاله وقال لنبيه ﷺ في الرد عليها :

﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۚ ﴾

(الإسراء ٩٣)

وباختصار يرد الله على منهج السفسطة والجدل والنقاش :

﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ﴾ (غافر ٧٨)

﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ۚ ﴾ (الإسراء ٥٩)

ولو أن الصحابة رضوان الله عليهم استجابوا لمنهج القيل وقال وكثرة السؤال لما تحرك الإسلام قيد أنملة من بطحاء مكة ، ولكنهم صبروا ، وجاهدوا ، ورحلوا وانتقلوا ، وعملوا ، وتاجروا ، وزرعوا ، وحصدوا ، وبلغوا دين الله بالقدوة الطيبة والعمل الصالح والأسوة الحسنة .. فانتقل الإسلام بفضل عملهم الدعوى سريعاً من آسيا إلى أفريقيا إلى أوروبا في أقل من قرن كأنما الأرض قد انزوت لهم لينتشروا بسرعة هائلة مذهلة في هذه القارات الثلاث ثم ظهرت في مرحلة النكسة

باسم العمل الإسلامى حركات تفننت في الملصقات والشعارات
فبعضها يسمى نفسه :

- السلفى .
- الأصولى .
- جماعة المسلمين .
- أنصار السنة .

وضاقت أفق كل جماعة فلم تلاحظ من الإسلام وهو بحر
ذاخر إلا زاوية ضيقة : أو : هم لم يفهموها حق الفهم ، ولم
يضعوها في إطارها مع بقية الزوايا التى تشكل هيكل الإسلام
ككل ، يضاف إلى هذا : أنهم أخذوا الزاوية المحددة نصاً دون
أن يفقهوا منهج تنفيذها وتطبيقها لأن عقليتهم عقلية جدل
وانفعال شخصى معتد برأيه الذى يخفيه فى التعصب لفكرة أدعى
أنها هى الإسلام كله .

ومن هنا جاءت المفارقات فى هذه الدعوات ودعت هذه
المفارقات إلى الفرقة والاختلاف وجر هذا إلى القطيعة والتدابير
والخصام فوقعت هذه الجماعات أو الفرق أو النحل فى محذور
نهى عنه الإسلام نهياً واضحاً .
« لا تدابروا ولا تحاسدوا ، ولا تخاصموا ، وكونوا عباد
الله إخواناً »

(رواه البخارى) ..

وفي القرآن الكريم نص صريح واضح :

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾
 (آل عمران)

والعجيب أن القلب المفعم بالإيمان أو القلب الذى يستحى من نور الإيمان ينصاع إما انصياعاً حقيقياً إن كان مؤمناً صادقاً أو ينصاع فى الظاهر إن كان يريد ألا يورط نفسه فى فضيحة النفاق ... إلا أن هؤلاء تبجحوا وافترقوا ، ووسعوا التفرق وتشددوا فى التشدد بالآيات والنصوص التى وضعوها وحدها فى زاوية خاصة وسلطوا عليها عقليتهم وجعلوها الإسلام كاملاً ، وتجاهلوا :

- إنما المؤمنون إخوة .
- والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض .
- ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات .
- إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شيء ...
- الآيات .

إنما يؤولون هذه النصوص المحكمة الواضحة الصريحة لأنها تفضح طريقهم المعوج الجامد فى الجمود الذاتى كعقلية

متحكمة لا تعرف أصولاً ، ولا سلفية ، ولا وحدة للمسلمين
ولا تنصر سنة ، فليس في سنة سيدنا محمد ﷺ ما يساعد
على الخصام ، والتفرقة والتكفير ، والتفسيق وتزكية النفس .

ومن أغرب الأمور أن الأمر الوحيد الذي نهت السنة
الصحيحة عن التعرض له هو طلب الإمارة ففى مسلم :
— يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أعطيتها عن
مسألة أكلت إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها .
— إنا والله لا نولى على هذا العمل أحداً سألناه ولا أحداً حرص
عليه ولن أو لا تستعمل على عملنا من أراده ..

— يا أبا ذر إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة
خزى وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها .
— وما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش
لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة .

— ما من أمير يلى أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم
يدخل معهم الجنة (١٩٠) .

إن هذه الأحاديث التى رواها مسلم وعنون لها : باب
النهى عن طلب الإمارة والحرص عليها. لم تجعل هؤلاء الذين
عرضوا أنفسهم لأخذ البيعة لأنفسهم بأنهم خلفاء رسول

(١٩٠) هذه الأحاديث رواها مسلم في كتاب الإمارة : باب النهى عن طلب الإمارة
والحرص عليها .

الله ﷻ ، ولا أدري كيف تبجحوا والنصوص تمنع أن يزكى الإنسان نفسه يقول الله تعالى :

﴿ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾

(النجم)

ويقول الله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّوْنَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللّٰهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾

(النساء)

ولم يراعوا لهذه الآيات وتلك الأحاديث احترامها وأساءوا أدبهم مع الله ورسوله وزكوا أنفسهم باسم السلفية والأصولية وجماعة المسلمين واختلفوا في المطالبة بالبيعة ، وارتبك العمل الإسلامى بالمراهقين فى الفهم الإسلامى والمجادلين بغير حق فى النصوص الإسلامية .

فكانت هذه إحدى الأخطاء الكبيرة الفاحشة التى خالف فيها أصحاب العواطف الخاصة نصوص القرآن والسنة لمصالح شخصية ثم جعلوها ديناً وإسلاماً وخلافة وبيعة وكلها أسماء لا يعرفون لها معنى ، ولا يدرون لها منهجاً ، ولا طريقاً ، ولذلك لم ينجحوا .. لأنهم جامدون

كالحجر الذى ألقى فى جانب من النهر ويمر عليه ماء الحياة عذبا وهو لا يشعر به ولا يحس .

إن الإسلام هو ماء الحياة وهو كاللوج فى المنهجية ولسفينته شراع هى مرونة هذا المنهج وقد عطلت العقلية المعاصرة مشاعرها ووجدانها وأغلقت عينها عن مشكلات الحياة المعاصرة والتكتلات الحديثة فانعزلت وانزوت وخسرت هذا الدين كما خسروا أنفسهم وأوطانهم لكن هل سيفيقون ... ؟؟

ولقد صدق رسول الله ﷺ إذ يقول :

— لا ترعوا المسلم فإن روعة المسلم ظلم عظيم

(رواه الطبرانى - حديث حسن)

— لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن أبكوا عليه إذا وليه غير أهله .

(رواه الحاكم وأحمد - حديث حسن)

— كفى بالمرء فقها إذا عبد الله ، وكفى بالمرء جهلا إذا أعجب برأيه .

— لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض .

(رواه البخارى ومسلم وأصحاب السنة)

— اتبعوا ولا تبثدعوا فقد كفيتم .

(رواه الطبرانى حديث صحيح)

— لعل الله يهدى الناس إلى سواء السبيل ..

(التـكسـب)

كان التـكسـب بالشعر ظاهرة في ظل الدولة العباسية ومع هذا فلم يكن يشكل خطراً على الدولة فإن التاريخ يشهد أن ملك الروم عام ٣٠٥ هجرية أرسل سفارة عسكرية لطلب عقد هدنة مع الخليفة المقتدر فأدخلوا البعثة العسكرية قصور الخليفة الفخمة التي فرشت بأجمل الفرش وملئت دار الخلافة ودهاليزها ، وممراتها بالجند والسلاح وابتدأ ذلك من باب الشماسية إلى دار الخلافة وكان عدد الجند مائة وستين ألفاً بالدروع والسلاح ومن تحتهم الخيل بسروج الذهب والفضة (١٩١) ... أ هـ .

فالتـكسـب بالشعر في عهد العباسيين كان تفكها ترفيا في ظل دولة قوية مرهبة الجانب من الخصوم ، لما تظهر بعد منظمات دولية تلتف على عنقها لتخنقها وتزهق روحها .

أما في العصر الحديث وقد تداعت كل الأمم قويا وضعيفها على العرب والمسلمين فإن التـكسـب الذي يمقته الله

(١٩١) شوقي ضيف ص ٧٠ العصر العباسي الثاني دار المعارف ط ٢ .

ورسوله وجماعة المؤمنين هو التكسب بالدعوة الإسلامية .
وقد أخذ التكسب بالدعوة الإسلامية عديداً من المظاهر
والأساليب ومن أبرزها :

أ - مكاتب بيع المنح الدراسية .

ب - الاستيلاء على التبرعات الموقوفة لصالح خدمة الدعوة
الإسلامية .

ج - فرض وصاية على العاملين في حقل الدعوة من صنف
معين اتهم نفسه بأنه وحده الوصى على دين الله في الأرض .
د - التنافس على الشهرة .

أولاً : مكاتب بيع المنح الدراسية

يقدم الأزهر الشريف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ورابطة العالم الإسلامي وغيرهم من المؤسسات الإسلامية آلاف المنح الدراسية للجامعات الإسلامية ، ولو وضعت هذه المنح في الوضع السليم الصحيح لكانت الفوائد أكثر أثراً في حياة الأمة الإسلامية فمثلاً لو كانت المنح تقدم بناء على اختبار في اللغة العربية ومواصفات في التفكير والأيدولوجيات والشخصية الإسلامية لكنا استثمرنا المنح الدراسية استثماراً نافعاً ومفيداً وزودنا الأمة الإسلامية بشخصيات مثقفة واعية ذات قدر كريم في الفهم والعزيمة والإدراك والعمل .

ولكم عانى العمل الإسلامي من المقارنة بين المتخرجين من جامعات الشرق الإسلامي والجامعات الأوروبية إلى درجة أن بعض البلدان الإسلامية تفضل خريجي جامعات أوروبا في الدراسات الإسلامية على نظائريهم من خريجي جامعات الشرق الإسلامي بسبب حركة خريجي جامعات أوروبا ويقظتهم ونوم وكسل خريجي جامعات الشرق الإسلامي .

وفي الحق ليست المسألة مسألة خريجي الشرق أو الغرب ولكنها مسألة التكسب بالمنح الدراسية التي تمنح من الشرق الإسلامي ، ومن البلاد الأوروبية .

البلاد الأوروبية تشترط شروطاً تحترمها الدول المرشحة وتراقب تنفيذها سفارات الدول الأوروبية ولذلك لا يرشح إلا المستوى اللائق الذي يصلح للتربية التي أعدت له هناك في أدمغة المخططين ضد الشرق الإسلامي والأمة الإسلامية .

فلا تقدم منحة دراسية عن طريق المحسوبية ، أو الشراء أو لشخصية ضعيفة بل لابد من التحقق من الشخصية القوية التي تصلح للقيادة عند عودتها بعد انتهاء الدراسة .

أما مرشحو منح الدراسة للشرق الإسلامي فهناك مكاتب معروفة ومعلنة دون خجل ولا حياء تعلن عن بيع المنح الدراسية ، وقد يضحك الإنسان عندما يعلم بالمهازل التي تقع من جراء هذا المزاد العلني لبيع المنح الدراسية ، فالمنحة تباع أولاً لواحد من الناس ، ثم يأتي آخرويزيد على الأول فيشتري المنحة وترد أموال الأول ثم يأتي ثالث ويزيد فيشتري المنحة وترد أموال الثاني وهكذا .

ومن هنا يتأخر المرشح عن الموعد المطلوب للالتحاق بالجامعات ، ويأتى ضعيفاً هزياً في قدرته المعرفية ، واللغوية ، و ... الخ .

وقد لا يستمر في الدراسة بأسلوب طبيعي فيتعثّر سنوات حتى إذا ما عاد عاد منهكاً هزياً قد سبقه أقرانه في كل شيء .

وتكون الثمرة الطبيعية التي قدمت للعمل الإسلامى هذا العجاف الهزيل المميت .. فتخسر الدعوة الإسلامية بهذا كثيراً ، وتضعف كثيراً .. وتفتح باباً للخصوم أوسع للانتصار عليها بسبب هذا التكبس ببيع المنح الدراسية التي تضيع هباء منثورا .

وقد حضرت مباحثات رسمية بين الأزهر ومستولين في بعض الدول الإسلامية فطلبوا من الأزهر ألا يسمح بإعطاء منحة لكل طالب يسافر إلى مصر دون موافقة الحكومة المعنية .

وكشفت مناقشة هذا الموضوع عن محاولة لتكتيف الأزهر وحرمانه من حمايته لجميع أبناء الأمة الإسلامية ، وبخاصة أولئك الذين يتحملون نفقات باهظة على حسابهم الخاص من أجل طلب العلم في الأزهر بإخلاص ونية حسنة فهل ستظل اليقظة هكذا .. ؟؟

٢ - الاستيلاء على القبرعات :

كان الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله سخي اليد والعطاء من أجل خدمة الدعوة الإسلامية ، وكان رحمه الله شديد العاطفة نحو المسلمين في خارج المحيط العربي ، فإذا ما اقتنع بضرورة تقديم خدمة للإسلام في بقعة يحاصر فيها المسلمون فإنه يعطى بقدر ما يملك ويمكن .

وقد حوصرت بعض الحركات الإسلامية في بلد ما من بلاد العالم الإسلامي ولم تكن هناك مطبعة يطبع فيها للإسلام شيء غير مطبعة استعمارية صليبية تغالى على المسلمين وتمتص دمائهم وتطبع لهم أردأ طباعة وأقبح إخراج ... وعلم الملك فيصل رحمه الله بهذا الضيق للمسلمين فأرسل مائة ألف جنيه استرليني لبناء مطبعة إسلامية لفك ضيق الطباعة للعمل الإسلامي .

وكان المفروض أن يسرع الذين قبضوا هذا المبلغ في إنشاء المطبعة خدمة للجماعة الإسلامية أولاً وخدمة لوطنهم الكبير

الذى يحتاج إلى مساعدة منهم ، ثانياً : وفاء بالالتزام الذى تحملوه أمام الله والمرحوم الملك فيصل .

ولكن الذى حدث أن رفعت لافتة على قطعة أرض فى أكبر شوارع العاصمة لكى يراها كل الناس وكتب عليها (أرض مخصصة لبناء المطبعة الإسلامية) واستمرت اللافتة معلقة على هذه الأرض حتى استشهد الملك فيصل رحمه الله وما قامت المطبعة ولا رآها الناس إلى يومنا هذا وضاع بذلك على المسلمين باب فرج ومساعدة لبناء مطبعة مستقلة عن التبعية للمطبعة الصليبية الاستعمارية التى لا تؤتمن على سر ولا يوثق فيها أخلاقياً ، وتمتص دماء المسلمين ، وتخرب ذممهم ... ؟؟ .

وبعض آخر كان نصف أمين فقد تقبل المنحة المالية وبنى عدة فصول دراسية وأقام « فيلا » فخمة من نفس الأموال الموقوفة على العمل الإسلامى .

وبعض آخر يتاجر فى أموال الوقف أو التبرع فيضعها فى البنوك بفائدة معينة إلى زمن معين ومن ربح هذا المال يأخذ فى

تنفيذ المشروعات بتلكؤ ، وتعثر ، وسير بطيء ،

وبعضهم يدخر هذه التبرعات لينفق منها على سفرياته إلى أوروبا وأمريكا ليخطب خطبة عصماء ثم يرجع وقد دفع هذه الأموال إلى شركات الطيران غير المسلمة ، والفنادق غير المسلمة ، ويقتنع أنه أنفق المال في سبيل الدعوة الإسلامية .

وقد سافرت إلى ماليزيا في يناير سنة ١٩٨١ م وزرت داراً مسلمة للأيتام في منطقة سكانها جميعاً بوذيون فوجدت بعض هؤلاء الذين يجمعون آلافاً مؤلفة من الدولارات للعمل الإسلامى قد كتب كلمة بليغة مقدراً هذا العمل الجليل الذى يرفع براعم المسلمين ، ولما سألت مدير الدار عن القيمة التى تبرع بها صاحبنا فقال لا شيء ، فكتبت تحت كلمته : يا شيخ فلان إذا جئت زائراً هذه الأماكن فاحمل معك من أموال المسلمين ما تدفع عن أصحاب هذه الحقوق غيلة الفقر والفاقة .

وبعض آخر يأخذ الزكاة ويدخرها ليشتري بها ماء وجوه الناس فيدفعها عنه أهله أو أهل أصحابه أو أتباعه للمساعدة

في مشروعات تحسب لاسمه ، ويمتدح بها ، ويتيه بها على
الناس فخراً وإعجاباً .. ويكون كل هذا باسم العمل
الإسلامي ؟؟

إن الله لا يتقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه
الكريم

﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾
(العنكبوت ٦)

٣ - فرض وصاية على العاملين في حقل الدعوة الإسلامية :

في عام ١٩٧٤ م جاءني صاحب كريم يستحثونني للإسهام
في تذليل العقبات أمام العلامة المجاهد الكبير الذي يدفع عن
الإسلام غيلات الزحف الشيوعي ، وهجمات التيارات
المناهضة للإسلام وذلك ليقبل بحثه الذي يريد أن يتقدم به
لنيل درجة الدكتوراه ، وكانت مدته القانونية قد انتهت وكان
موضوع رسالته غير لائق علمياً مع الكلية التي يطلب فيها
شهادة الدكتوراه .

وأذكر أنهم يوم أن عرضوا عليّ مسألته قد أفهموني أن

الإسلام سوف يضيع على ضفاف الخليج العربي إذا لم يحمل ذلك الرجل شهادة الدكتوراه فإنها سلاح له من أجل رفع كلمة التوحيد ، ونشر مبادئ الإسلام ، ومحاربة التبشير المتغلغل في جنبات الخليج العربي وخلايا الشيوعية المتسربة في كل شبر .. الخ وصدقتهم لأنه رجل له سمعة طيبة أيام أن كان طالباً .. وشاء الله وأذن وهو وحده المدبر والمسير للأمر ومنح هذا العالم ذائع الصيت شهادة الدكتوراه بعد بذل مساع عديدة وكثيرة ومتنوعة لفتح باب قبول البحث للمناقشة .

ودارت الأيام وسمح الله لي أن أطلع على الأحوال في بلاد الخليج العربي فوجدت المجاهدين في سبيل الله قد قلبوا العمل الإسلامي إلى عصابة قاطعة للطريق وهي أيضاً تتعلل بهذه العلة : الجهاد في سبيل الله .

لقد وجدت هؤلاء القوم قد فرضوا وصاية على كل كلمة تقال حتى ولو كانت من بعض أصحابهم لأنهم يرفضون صوتاً يعلو على صوت إمامهم وشيخهم ، فالعمل الإسلامي هنا يسير بإشارة من سبابته وليس لأحد رأى .

فلا أحد يظهر في التلفاز ، ولا يتكلم متكلم في الإذاعة ولا يصعد أحد منبرا ، ولا ينشط في جهة من الجهات إلا بإذنه وأمره ، ولو صادف أن استطاع واحد أن يفلت من

الحصار فإنه ينبه على الأتباع ألا يذهبوا إلى الاستماع إلى ذلك المنشق المتطاول على سيادته ومن يذهب يعاقب ويهدد بإلغاء العقد ، أو الطرد من محبة ذلك الكبير .

يضاف إلى هذه الشائعات التي تلاحق ذلك المنشق والافتراءات والمكايد وتسلط السفهاء عليه .. وكل ذلك يتم باسم الجهاد في سبيل الله .

هذا جانب ، وجانب آخر فقد قسم هؤلاء الأصحاب المنافع وجلب الأموال على جغرافية بلاد الخليج العربي فالذى يقطن الطرف الغربى من الخليج يستحوذ عليه ويؤلب الناس لصالحه ، ويغلق أبواب منطقته على من يسكن وسطه أو شماله أو شرقه .

وتجد بين هؤلاء الأخلاء الذين يجاهدون في سبيل الله متخاصمين متقاتلين من أجل وضع قوسين على كل المنافع لصالح كل منفرد .

وكان من ثمرة ذلك أن ضاع الجهاد في سبيل الله وانزوى هؤلاء فى نقرة من الحقد وانطلق التبشير يقيم كنائس فارهة واسعة عالية ، وانفسح المجال له للمراسلة والدعوة إلى داخل قعر بيوت هؤلاء فقد أداروا للإسلام ظهورهم وأقبلوا على الدنيا ببهرجتها وزخرفها ولكن للأسف مازالوا يكذبون على الله وعلى الناس ويقولون إنهم مجاهدون فى سبيل الله وأنهم هم الأوصياء على دين الله وكل من يعمل فيه ؟..

ومن أين لهم هذا ؟؟ لا أدري فإن سيدنا خالد بن الوليد رضى الله عنه يوم أن جاءه خطاب العزل من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وكان يتهياً للمعركة الفاصلة يوم اليرموك لم يدفعه حماسه لنفسه أن يترك المعركة ويسلم القيادة لأبى عبيدة ليصنع فى الحرب مايشاء ، فإن ذلك مضيعة للجيش وللمعركة ، بل إن سيدنا خالد بن الوليد رضى الله عنه ضرب لنا المثل الأعلى للعقلية المجاهدة بصدق فى سبيل الله فأخفى الخطاب حتى انتهت المعركة وانتصر المسلمون وعندئذ فقط سلم خالد النصر الذى أحرزه وخطاب العزل إلى القائد الجديد وصار خالد واحداً من عساكر المسلمين تحت امرة أبى عبيدة بن الجراح .

فانظر إلى خلقية الجهاد الحقيقى فى التصور الإسلامى ، وانظر إلى المنصب المبتدع الذى أضفاه هؤلاء المتاجرون باسم الإسلام أنهم وحدهم الأوصياء على دين الله وعلى كل من يعمل فى سبيل الدعوة إلى الله ..؟؟

هل يتصور أن قوماً يزكون أنفسهم بدون مبرر ولا أصل يتقبل الله منهم ' عملاً فينصرهم ؟؟
إن نصر الحركة الإسلامية المعاصرة مؤجل حتى يستغفر

الذين من فعالهم التى لا تتفق مع أخلاق الدعوة وأخلاق الجهاد النقى بصدق لتكون كلمة الله هى العليا .

(الحل)

قبل أن نرقى إلى التجرد الشفاف الذى يفرض علينا حلول هذه الأخطاء أحس بسؤال يضغط على أعصاب كل مخلص وهذا السؤال هو :

هل سنقبل الحل؟

إن بعض الأمراض تصيب الناس بتلذذ حتى يصير الداء الذى من الدواء وبخاصة أولئك الذين يعيشون فى الوهم ويقتنعون أنفسهم بأحلام اليقظة أنها آمال ستتحقق ؟
إن الله جل جلاله فى سورة التوبة قد وضع مواصفات للعقلية الإسلامية التى تنصاع إلى الحق وتنساق فى سلوكيات يتطلبها الإيمان الصادق يقول الله تعالى :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ٢٣
قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ آلِهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ (التوبة ٢٣ ، ٢٤)

وهذه التجلية لمطالب الإيمان مرحلة أساسية في صحة العقيدة وقد أطنب القرآن الكريم في كثير من سورته وآياته ليوضح مدلول المؤمن الخالص الصادق : ففي سورة التوبة :

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ السُّعَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا خُرْجَنَا مَعَكُمْ يَهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ ٤٢

(التوبة ٤٢)

ويقول جل شأنه :

﴿ لَا يَسْتَعِذُّنَا الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ ٤٤ إِنَّمَا يَسْتَعِذُّنَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ (التوبة ٤٤ ، ٤٦)

إذن العقلية المسلمة الصادقة هي التي تنزع إلى الجانب السلوكي لمطالب الإيمان دون ريب أو اعتذار أو تبرير أو تأويل .

وتنجلي الصفات الإيجابية للشخصية الإسلامية في سورة
النور يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ
جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ؕ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ؕ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن
شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللّٰهُ إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ ۞

(النور ٦٢)

وتنضم سورة الحجرات إلى هذه الأريحية في تبيان
خصائص الشخصية المسلمة الخالصة فيقول الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ؕ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَهِدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ۞

(الحجرات ١٥)

وكذلك آيات سورة الأنفال يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ
عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ
يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ

حَقَّالَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

(الأنفال ٢ ، ٤)

وهذه الشخصية الإسلامية لها أصرة يترابط بها المؤمنون جميعاً « فتجعل » الأمة الإسلامية كلها جسداً واحداً في تحمل المسئوليات وتقبل التوجيهات ، يقول الله تعالى :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

﴿ ٧١ ﴾

(التوبة ٧١)

والقرآن الكريم حريص كل الحرص على أن يثبت للتاريخ أن هذه الأصرة طبقت ونفذت حسبما نزلت آيات القرآن تفصل سماتها للشخصية الإسلامية ، يقول الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

(الحشر ٩)

الْمُفْلِحُونَ ﴿ ١ ﴾

ولقد باتت السنة المطهرة تحرس هذه الإيجابيات السلوكية
وتؤكد وجوب استمراريتها كخاصية للأمة الإسلامية ففي
السنة الصحيحة :

— لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .
— ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد
الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى
والسهر .

ومن دقة الحرص النبوى على تلقائية استمرار هذه
الشخصية المؤمنة فقد حذر النبى ﷺ من كل خصلة سيئة
تفرق الأمة أو تهدد تلقائية الاستجابة للتكاليف الشرعية ففي
السنة المطهرة :

— إن الله كره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال .
— لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض .
— كفى بالمرء فقهاً إذا عبد الله وكفى بالمرء جهلاً إذا أعجب
برأيه .

— من علامات الساعة التدافع على الإمامة .
— دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ... الخ مثل هذه الأحاديث
الشريفة .

هكذا صان لنا مولانا وسيدنا رسول الله ﷺ الشخصية
المؤمنة كشخصية عملية إيجابية تستجيب لنداء الله ورسوله
إذا دعاهم لما يحييهم .

فهل العقلية المعاصرة لديها مثل هذا الاستعداد ؟
هل تستطيع أن تنفذ أوامر الله ورسوله دون حرص على
المصلحة الشخصية وشهوة الحكم والشهرة ، وجمع المال ،
والجري وراء المناصب ؟؟؟
إن كان الأمر كذلك فما أيسر الحل وأقربه ، وإن كان غير
ذلك فما أصعبه وأبعده ؟؟؟
أما عن الحل ففي آيات بينات من كتاب الله تعالى : -

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾

(الحشر)

- ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ .
- ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ .
- ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ .
- ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ .
- ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ .
- ﴿ فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ .
- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يَظْلِمُونَ فِتِيلًا ﴾ .

— ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾ .

يعنى بايجاز مقنن فإن الحل يكمن فى :

— فلنسقط الرايات جميعاً إلا راية لا إله إلا الله محمد رسول الله .

— ولنسقط الزعامات جميعاً إلا زعامة سيدنا محمد ﷺ .

— ولنلغ الروابط الشخصية جميعاً إلا رابطة : إنما المؤمنون -إخوة .

— ولنفسد الصناعات جميعاً إلا صناعة يعدها المسلمون .

فهل ستقدر العقلية المسلمة المعاصرة وهى متدابرة متصارعة تنهبها السياسة نهباً وتقطعها الإقليمية تقطيعاً ، وتمزقها الأهواء تمزيقاً ، وتبيعها الأهواء بثمن بخس هل ستقدر العقلية المسلمة المعاصرة على تقبل قسوة هذا

الحل ... ؟؟؟

أما السنة النبوية الشريفة فقد تفاعلت بوجود جماعة مخلصه تحمى حمى الإسلام وجماعة المسلمين ، ففى السنة :

— لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى يأتهم أمر الله وهم ظاهرون .

— « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله : ينفون عنه تحريف

الغالين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » ، فطوبى لمن

كان واحداً من جند الله فى هذه الطائفة .

وصدق الله العلى العظيم وهو يعد باستمراره هذه الطائفة

التي تفاعل بها سيدنا رسول الله ﷺ ، إذ يقول الله تعالى :
﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ١٠٤

(آل عمران)

فطوبى لمن يستجيب ؟؟؟
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا
بدعوته واهتدى بهديه إلى يوم الدين .

الأستاذ الدكتور
رعوف شلبي

الفهرس

الموضوع	الصفحة
● الاقناع أو محاولة التدريب على التفكير المنظم	٧
● محاولة اقناع العقول والشعور	١٢
● الألوهية	١٢
● مناقشة دعاوى المشركين	١٤
● النوع الثانى فى تسميتهم الملائكة بنات الله وقالوا اتخذا الله ولدا	٢١
● تصحيح الدين	٢٨
● مفهوم الدين وعناصره	٣٢
● وحدة الدين	٣٧
● عالمية الدين	٤٠
● تصحيح فكرة أن لله ولدا	٤٢
● عيسى ابن مريم	٤٦
● النبوة والقرآن الكريم	٤٩
● النقطة الثالثة : إن هذا إلقاء قول البشر	٦٤

٦٥	● أولاً : دعاوى المعارضة
٦٧	● ثانياً : موقف النبى ﷺ
٦٩	● ثالثاً : الدليل على أن القرآن وحى
٧٠	● الطريق الأول
٧٧	● الطريق الثانى : التحدى
٨٣	● رابعاً : اتبع ما أوحى إليك من ربك
٨٧	● عقيدة البعث
٨٨	● الأول : تصوير مقالات المشركين
٨٩	● الثانى : الرد على المعاندين
٩٩	● النتائج
١٠١	● نشر لواء التوحيد
١٠١	● الحقيقة العليا
١٠٤	● الشهادة عليها
١١٣	● توريث هذه الوظيفة
١١٨	● بناء الدولة الإسلامية
١٢١	● الفكرة والتنفيذ
١٢٤	● مكونات الدولة

الموضوع	الصفحة
● الاعتراف بالدولة الإسلامية	١٢٧
● ممارسة السيادة	١٢٨
● الواقع الفعلي والتصور المستقبلي	١٣٣
● شهادة التاريخ وبساطة النظم	١٣٥
● الدولة الإسلامية والمخططات المعادية	١٣٦
● أى الناس أولى بالتصور السليم لمعنى الدولة	١٣٧
● تحويل الخصوم إلى أتباع مجاهدين	١٣٩
● سهيل بن عمرو	١٣٩
● صفوان بن أمية	١٤٢
● المنهجية	١٤٧
● منهج التبليغ	١٤٩
● قنوات الاتصال	١٦١
● المؤتمرات الدورية هي مواسم الحج	١٦٥
● منهج العمل مع الجماعة	١٧٠
● أولاً : ثقة الداعية	١٧٣
● ثانياً : تحديد الهدف	١٧٨
● ثالثاً : التعرف على طبيعة المجتمع	١٨٤

- رابعاً : تربية قيادة ١٩١
- خامساً : العرض الواضح ١٩٥
- سادساً : ايجاد استقطاب حول الدعوة ٢١٦
- سابعاً : السلوك المطابق للمبادئ ٢٣١
- ثامناً : الصبر وتحمل المشاق ٢٤٥
- مرونـة الأساليب ٢٥٩
- الأخطاء ٢٨٢
- الجبرية ٢٩٠
- الجمود ٢٩٧
- التكسب ٣٠٣
- أولاً : مكاتب بيع المنح الدراسية ٣٠٥
- ثانياً : الاستيلاء على التبرعات ٣٠٨
- ثالثاً : فرض وصاية على العاملين في حقل الدعوة الإسلامية ٣١١
- الحـل ٣١٥

قضايا إسلامية معاصرة

تصدرها

الأمانة العامة

لجنة العليا للدعوة الإسلامية

بالأنهر الشريف

المشرف العام

د. عبد الوود د. إبراهيم شلبي



البحث القادم

الغزو والفكرى

وهم؟ أم حقيقة؟؟

للدكتور

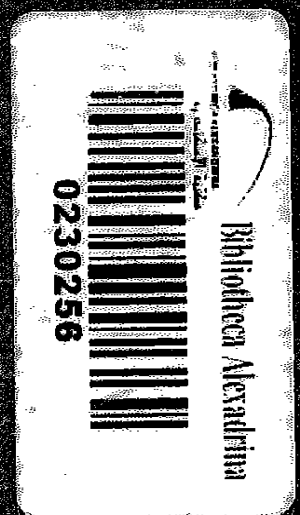
محمد سلامة

كتاب قضايا إسلامية

٨٨/٢٩٨٣

رقم الایبداع

طبع بمطابع روز اليوسف



To: www.al-mostafa.com